حماة الوحي

آیت الله العظمی
الشيخ محمد الفاضل اللنكراني

بسم الله الرحمن الرحیم

حماه الوحی

کاتب:

محمد فاضل لنکرانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مرکز فقه الائمه الاطهار (علیهم السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

حماه الوحی ----- ۱۴

اشاره ----- ۱۴

اشاره ----- ۱۴

المقدّمه قیم الامم عری موثقه ----- ۲۰

قیمه السلعه: ----- ۲۰

السبب الأهمّ: ----- ۲۱

قیمه الشخص: ----- ۲۱

القرآن الکریم: ----- ۲۲

أهل البیت: ----- ۲۳

طموحات المجتمعات: ----- ۲۴

مهمّتنا: ----- ۲۴

الدافع من تألیف الکتاب: ----- ۲۵

الإمامه علی ضوء القرآن الکریم ----- ۳۰

اشاره ----- ۳۰

القرآن و الإمامه: ----- ۳۱

الدلیل الأوّل من القرآن ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

الهدف من الامتحان: ----- ۳۴

النبی إبراهیم و التمحیص: ----- ۳۴

مواد التمحیص: ----- ۳۵

الدلیل الثانی من القرآن ----- ۳۸

اشاره ----- ۳۸

بحث فی الآیه المبارکه: ----- ۳۹

لمن الطاعه؟ ----- ۴۱
خلاصه البحث: ----- ۴۳
مزید من الضوء علی آیه أُولی الأمر: ----- ۴۶
الحدیث الأوّل: ----- ۴۷
ملاحظه: ----- ۴۸
تحقیق آخر فی الآیه: ----- ۴۹
الحدیث الثانی: ----- ۵۰
الحدیث الثالث: ----- ۵۱
الحدیث الرابع: ----- ۵۳
خلاصه التحقیقات: ----- ۵۴
الإمام فی رساله سیّد الشهداء علیه السلام ----- ۵۶
الدلیل الثالث من القرآن ----- ۶۲
اشاره ----- ۶۲
توضیح المُراد: ----- ۶۳
قضیه مهمّه: ----- ۶۴
إشاره إجمالیه إلی بعض الروایات الوارده فی تفسیر الآیات الدالّه علی الإمامه ----- ۶۶
دراسه ضروریّه ----- ۶۹
بحث مختصر: ----- ۷۱
خلاصه ما مرّ: ----- ۷۳
خلاصه البحث: ----- ۷۷
الدلیل الرابع من القرآن ----- ۸۰
اشاره ----- ۸۰
دعوه النبی إبراهیم علیه السلام: ----- ۸۱
الآیات و الالتفاتات: ----- ۸۲
دلیل حی: ----- ۸۳
مزید من التوضیح: ----- ۸۴

كشف النقاب عن أصاله الإمامه: ---------- ۸۴
ما نخلص إليه من هذه الآيات: ---------- ۸۵
نتيجه هذه الدراسات: ---------- ۸۵
سؤال يطرح نفسه: ---------- ۸۶
جواب: ---------- ۸۶
حديث مع صاحب تفسير المنار: ---------- ۸۷
سؤال آخر: ---------- ۹۰
إشكال مهمّ: ---------- ۹۴
فهرس الكتاب إلى هنا: ---------- ۱۰۰
سؤال يثير الأسف: ---------- ۱۰۱
الجواب: ---------- ۱۰۲
قبسات من شرائط الإمامه ---------- ۱۰۴
اشاره ---------- ۱۰۴
خلاصه شرائط الإمامه: ---------- ۱۰۵
بحث فی تفاصيل هذه الشرائط: ---------- ۱۰۵
سؤال: ---------- ۱۰۶
الجواب: ---------- ۱۰۷
القرآن و شرائط الإمامه ---------- ۱۰۷
طلب قائد للجيش ---------- ۱۱۲
ملاحظه مهمّه: ---------- ۱۱۳
طالوت: ---------- ۱۱۴
خلاصه هذا البحث: ---------- ۱۱۶
التابوت: ---------- ۱۱۶
حديث أبی بصير: ---------- ۱۱۸
قولنا أم قول المفسّرين؟ ---------- ۱۱۹
الجواب: ---------- ۱۲۰

زبده الكلام: ---------- ۱۲۱
النقطه الثانيه: ---------- ۱۲۶
العنوان الأوّل: قصص الأنبياء و الامم الماضيه: ---------- ۱۲۷
اشاره ---------- ۱۲۷
النتيجه: ---------- ۱۳۱
خلاصه الحديث: ---------- ۱۳۲
نتيجه هاتين النقطتين: ---------- ۱۳۲
العنوان الثانى لقصه طالوت: ---------- ۱۳۳
الآيات الثلاث: ---------- ۱۳۴
هذه الآيات الثلاث و هدفها: ---------- ۱۳۶
دليلنا: ---------- ۱۳۷
أمير المؤمنين عليه السلام و آيات قصّه طالوت: ---------- ۱۳۸
عود إلى شرائط الإمامه المستفاده من القرآن ---------- ۱۴۴
آيه الاصطفاء ---------- ۱۴۴
الأمر الأوّل: ---------- ۱۴۴
رفع إشكال: ---------- ۱۴۵
الجواب: ---------- ۱۴۶
جواب آخر: ---------- ۱۴۷
مَنْ هُم آل إبراهيم؟ ---------- ۱۴۸
هدف سامٍ: ---------- ۱۴۹
هدف الآيه: ---------- ۱۵۱
نتيجه هذه الأبحاث: ---------- ۱۵۲
الحسين عليه السلام و الآيه الكريمه: ---------- ۱۵۳
الآيه المُباركه و أحاديث الإماميه: ---------- ۱۵۳
خلاصه الآيات و الروايات: ---------- ۱۵۵
ملاحظه: ---------- ۱۵۶

علم الإمام علیه السلام ----- ۱۵۸
الزعامه فی الإسلام: ----- ۱۵۸
القرآن و علم الأنبیاء علیهم السلام: ----- ۱۵۹
مفاد الطوائف الثلاث من الآیات: ----- ۱۶۳
علم الأئمّه علیهم السلام: ----- ۱۶۴
نقطه ضروریه: ----- ۱۶۵
الآیه الأُولی: ----- ۱۶۷
اشاره ----- ۱۶۷
نظره أعمق: ----- ۱۶۸
الآیه الثانیه: ----- ۱۶۸
اشاره ----- ۱۶۸
منصب یوسف علیه السلام: ----- ۱۶۹
الآیه الثالثه: ----- ۱۶۹
الآیه الرابعه: ----- ۱۷۰
ثمره هذا البحث القرآنی: ----- ۱۷۰
علائم الإمام علیه السلام: ----- ۱۷۲
التصدّی للانحراف: ----- ۱۷۳
هدف الآیات النافیه لعلم الغیب: ----- ۱۷۴
آیات أُخری: ----- ۱۷۶
هدف الأئمّه من نفی العلم بالغیب: ----- ۱۷۷
إخبار أمیر المؤمنین علیه السلام: ----- ۱۷۷
الأخبار الغیبیه لعلی علیه السلام: ----- ۱۷۹
الروایات و علم غیب الأئمّه علیهم السلام: ----- ۱۸۰
بحث مختصر حول آیه قرآنیه: ----- ۱۸۲
علل الزعامه: ----- ۱۸۴
وحده الموضوع: ----- ۱۸۵

الذهول و الدهشه!! ----- ۱۸۵

خلاصه هذا الفصل: ----- ۱۸۷

ثمره هذه الخلاصه: ----- ۱۸۸

روایه عمیقه: ----- ۱۸۸

شرح الروایه: ----- ۱۹۰

دوافع نفی الإمام علمه بالغیب الدافع الأوّل: ----- ۱۹۲

الدافع الثانی: ----- ۱۹۳

روایتان: ----- ۱۹۵

ملاحظه: ----- ۱۹۵

تکرار و تذکیر: ----- ۱۹۶

الدلیل الأوّل: ----- ۱۹۶

الدلیل الثانی: ----- ۱۹۷

الدلیل الثالث: ----- ۱۹۸

دراسه الآیه: ----- ۱۹۹

عباد، أم صفوه مصطفاه من العباد؟ ----- ۲۰۰

مَنْ هُم المصطفون من العباد؟ ----- ۲۰۰

الدلیل الدامغ: ----- ۲۰۰

وارث الکتاب الکریم: ----- ۲۰۲

کیف یعلم الجمیع؟! ----- ۲۰۳

الشواهد الحیّه!!! ----- ۲۰۴

طرق الأئمّه علیهم السلام فی الحصول علی العلم: ----- ۲۰۴

أمیر المؤمنین علیه السلام و الآیه الکریمه: ----- ۲۰۶

المعلّم الأوّل: ----- ۲۰۸

المعلّم الثانی: ----- ۲۰۹

الإمام الصادق علیه السلام و علم الإمام: ----- ۲۰۹

القرآن و علم الإمام علیه السلام: ----- ۲۱۰

أسئله و أجوبه: ----- ۲۱۰
العلم الشائی: ----- ۲۱۲
إیضاح: ----- ۲۱۲
علم الإمام سیّد الشهداء علیه السلام بحادثه کربلاء ----- ۲۱۴
اشاره ----- ۲۱۴
ثلاثه أخطاء رئیسیه: ----- ۲۱۵
الخطأ الرئیسی الأوّل: ----- ۲۱۵
الخطأ الرئیسی الثانی: ----- ۲۱۶
الخطأ الرئیسی الثالث: ----- ۲۱۷
الکتاب و الخطأ الأوّل: ----- ۲۱۷
اشاره ----- ۲۱۷
نتیجه الأدلّه: ----- ۲۳۲
الموضوع الأوّل: ----- ۲۳۳
الموضوع الثانی: ----- ۲۳۳
جواب الموضوع الأوّل: ----- ۲۳۳
جواب الموضوع الثانی: ----- ۲۳۴
جواب السؤال الثالث: ----- ۲۳۵
طریق مغلق؟! ----- ۲۳۷
۵- خطبه «خُطّ الموت ...» ----- ۲۴۵
المؤلّف و الإقرار بالعلم: ----- ۲۴۹
الحدیث الأوّل: ----- ۲۵۴
مناقشه الحدیث: ----- ۲۵۵
الحدیث الثانی: ----- ۲۵۷
وقفه مع الحدیث: ----- ۲۵۸
الحدیث الثالث: ----- ۲۵۹
ما ینبغی الالتفات إلیه فی الحدیثین: ----- ۲۶۰

دلیل آخر: ---------- ۲۶۲
نتیجه البحث: ---------- ۲۶۳
مفاد الروایتین: ---------- ۲۶۴
۳- الجمع بین الرساله و عدم قتل جماعه: ---------- ۲۶۵
افتراض آخر: ---------- ۲۶۵
الحدیث الرابع: ---------- ۲۶۷
تحقیق مختصر: ---------- ۲۶۷
زبده الکلام: ---------- ۲۶۹
شهاده الإمام فی کربلاء علی لسان أهل البیت علیهم السلام و أتباعهم: ---------- ۲۷۱
بُکاء محمّد بن الحنفیه: ---------- ۲۷۴
حدیث رائع: ---------- ۲۷۵
السرّ الأکبر: ---------- ۲۷۶
الکتاب و الخطأ الرئیسی الثانی: ---------- ۲۷۷
اشاره ---------- ۲۷۷
حادثه کربلاء نفخت الروح فی جسد الإسلام: ---------- ۲۷۹
الجهاد فی الإسلام: ---------- ۲۷۹
المعطیات الخالده للحادثه: ---------- ۲۸۳
النظره السطحیه: ---------- ۲۸۵
یأس الامّه: ---------- ۲۸۵
خطبه زینب الکبری: ---------- ۲۸۷
المنطق الغاشم: ---------- ۲۸۷
سر عدم النجاح: ---------- ۲۹۰
الصوره الثانیه: ---------- ۲۹۳
معطیات الحادثه بعد وقوعها: ---------- ۲۹۴
الحسین علیه السلام و الإسلام: ---------- ۲۹۵
الکتاب و الخطأ الرئیسی الثالث ---------- ۳۰۱

اشاره ----- ۳۰۱
ملاحظه: ----- ۳۰۲
ما هی الاقتراحات الثلاث؟ ----- ۳۰۲
ملاحظه: ----- ۳۰۴
تکرار: ----- ۳۰۶
هل للإمام أكثر من هدف؟ ----- ۳۰۷
الصلح المشرّف! ----- ۳۰۹
الأهمّ من كلّ هذه الأقوال: ----- ۳۱۵
ثوره الإمام علیه السلام لیست دفاعاً عن النفس ----- ۳۱۸
مصادر التحقیق ----- ۳۲۵
تعریف مرکز ----- ۳۳۲

حماه الوحی

اشاره

سرشناسه : فاضل موحدی لنکرانی، محمد، ۱۳۱۰ -

عنوان قراردادی : ائمه اطهار (علیهم اسلام) یا پاسداران وحی در قرآن کریم. عربی.

عنوان و نام پدیدآور : حماه الوحی /محمد الفاضل اللنکرانی، شهاب الدین الاشراقی ؛ المترجم عبد الرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم: مرکز فقه الائمه الاطهار علیهم السلام، ۱۴۲۵ق.، =۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ۳۲۸ ص.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال۹۶۴۷۷۰۹۲۱۹

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

شناسه افزوده : اشراقی، شهاب الدین

شناسه افزوده : طهرانی، عبد الرحیم

شماره کتابشناسی ملی : ۱۱۶۵۹۵۸

ص: ۱

اشاره

المقدّمه قیم الامم عری موثقه

قیمه السلعه:

الحدیث المتداول فی الوسط الاقتصادی إنّما یدور حول السلعه و السوق.

و السؤال الذی یثیره الاقتصادیون هو ما ثمن سلعه ما؟ و عاده ما یتراوح ثمن السلعه بین الهبوط و الارتفاع؛ الامر الذی یصطلح علیه بتأرجح القیمه.

و یرتبط تأرجح القیمه بحاجه الأمّه بصوره مباشره، فاذا کانت هناک من حاجه ارتفعت القیمه و بخلافه تنخفض، و علیه فهی خاضعه لقضیه العرض و الطلب، و القاعده بینهما عکسیه فإذا ازداد الطلب قلّ العرض بینما یزداد العرض إذا قلّ الطلب، و من هنا تزداد القیمه إذا ازداد الطلب بینما تهبط فی العکس. إذن فالمشتری یشکّل أحد عناصر قیمه السلعه، و من هنا تعمد البلدان إلی تقییم رفع مستوی قیمه سلعها و تبعث بخبرائها الذین یقیّمون التسویق من أجل مضاعفه عدد الزبائن و زیاده حجم الصادرات، لدیمومه عجله الاقتصاد بغیّه الحدّ من الهواجس التی یستبطنها الفقر.

السبب الأهمّ:

العنصر الأهمّ فی قیمه الأشیاء یکمن فی نفس السلعه، فالسلعه لیست بذات أهمیه إذا کان تأرجح قیمتها علی ضوء الحاجه فهی تحمل قیمتها معها، و غلاء مثل هذه السلع إنّما یتوقّف علی طلب الناس؛ و یعزی ذلک إلی خلوّ السلعه فی حدّ ذاتها من القیمه المطلوبه. فالذهب من السلع الثمینه، و هو رصید لسائر السلع، و لیس للطلب من تأثیر یذکر فی ارتفاع سعره. فقد یقلّ الطلب إلّا أنّ سعره لا یهبط. و السؤال الذی یطرح نفسه هنا: لِمَ کان الذهب غالیاً فی جمیع البلدان و لا یفقد قیمته؟ و یبدو أن علل الإجابه علی هذا السؤال تحظی بأهمّیه فائقه نوکلها إلی علماء الاقتصاد، إلّا أنّنا نخوض فی بعض الأمور بهذا الشأن: فالذهب معدن قوی و مقاوم فی مختلف الظروف و لا یفقد خصائصه إلی جانب جماله و جذّابیه لونه، فهو لا یتأثر بالماء و سائر العناصر المؤثّره فی خصائص المعادن، و بریقه یخطف الأبصار و إن دفن لسنوات تحت التراب، و لا یمکن مقارنته بالنحاس الذی یفقد صفاته إلی حدّ الصدأ إذا ما تعرّض لبعض الظروف المؤثره کالرطوبه. و علیه یمکن القول بأنّ غلاء هذا الفلز نابعاً من کونه نفیساً.

قیمه الشخص:

الإنسان کالذهب و لا بدّ من تعیین قیمته من خلال الالتفات إلی ثمن هذا الفلز و سبب غلائه. و للإنسان شخصیتان؛ إحداهما فردیه، و الأخری اجتماعیه. و یمکن تحدید شخصیته الفردیه علی غرار مثال الذهب فیقال: أی إنسان ذو قیمه؟ فی حین لا بدّ من استطلاع رأی الآخرین فی تحدید شخصیته الاجتماعیه، و العنصر المهمّ فی تعیین موقعه و قیمته إنّما یتأتّی من معطیاته علی مستوی المجتمع، کما یکتسب المجتمع

قیمته العالمیه من خلال موقعه. فالفرد القیّم من ذاع نبوغه و مجده فی المجتمع، و توقّفت عجله تنمیته علی خصائصه و امتیازاته. و أمّا المجتمع القیّم فهو ذلک الذی یتمتّع بخصائّص بارزه تمیّزه فی المجتمع الدولی، و النظام الناجح للمجتمعات البشریه هو النظام الذی یتمتع بالزعامات التی یفرزها فکر و نضج ذلک المجتمع. و قد التفتت الدنیا الیوم إلی هذه الحقیقه، و هی أنّ البلدان إنّما تحتذی حذو الشعوب المقتدره الحیّه فی إعداد و بلوره شعوبها، حیث یشکّل هذا الاحتذاء البنیه التحتیّه لخلق المجتمع المطلوب. إلّا أنّ التحقیقات و الدراسات التی قام بها علماء الاجتماع بشأن عناصر ظهور المجتمعات الناجحه أو الفاشله تفید أنّ الشعب الحی هو الشعب الذی یقود مسیرته الأفذاذ من الزعماء الحکماء و القاده النجباء یمسکون بمقدّراته و یتولّون دیمومته و حفظ حیویّته بفضل أفکارهم السامیه و تطلّعاتهم النبیله.

القرآن الکریم:

لقد قدّم القرآن الکریم- کتاب المسلمین- هذه الأطروحه العالمیه العظیمه من أجل إرساء دعائم المجتمع الحیّ و حفظ سیاده المسلمین فی الأسره الدولیه. و قد عزا الکتاب الحکیم ظهور البلدان العامره و المستقله ذات الشعوب المقتدره إلی وجود القاده الأکفّاء و الثقه باللَّه و الانفتاح علی الغیب. و قد لفت القرآن أنظار المسلمین إلی أطروحته المذکوره المتمثّله بالقاده الذین یتکفّلون بسعاده الأمّه فی الدارین فقال: أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ(۱). کما أرشدنا إلی تحقّق الأمّه المنیعه التی ینظر إلیها العالم بعین

۱- سوره النساء: الآیه ۵۹.

الإجلال و الإكبار و التی تمتلک عناصر القوّه و الفکر فی ظلّ الزعامه الدینیّه الرشیده فقال: فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً(۱). و علیه فالمدرسه القرآنیه تولی أهمّیه للزعماء الربّانیین فی نشوء البلدان المستقلّه المرفّهه السعیده.

أهل البیت:

و بناءً علی ما تقدّم فإنّ هناک صفوه من أهل بیت النبی الأکرم صلی الله علیه و آله تنهض من بعده بقیاده الأمّه و إیصالها إلی سعادتها و کما لها المنشود. هذه الصفوه الجلیله الحافظه للوحی و الأمینه علی العقیده و الناهضه بزمام أمور الإسلام، هی أهل البیت و ولاه الأمر الوارد ذکرهم فی القرآن و أطروحه القرآن هی أنّ زعامه أهل البیت تخلق الأمّه المقتدره و الرشیده التی تسود العالم؛ و ذلک لأنّهم صفوه عالمه، رشیده، زاهده، شجاعه، کریمه، مضحّیه، عالمه بأسرار القرآن، مستنده إلی الغیب، ربیبه مدرسه النبوه و المصطفاه من قِبل اللّه، فهم القاده الذین یتکفّلون بضمان سعاده الأمه، و هم الزعماء المفعمون بحبّ اللّه؛ رحماء بالأمّه لا یکنّون لها سوی الرأفه و الشفقه. لقد نعتهم القرآن و أثنی علیهم بمختلف الصفات، و من هنا منحهم صفه الزعامه المطلقه: «أولی الأمر». فهم و بلطف اللّه و عنایته منزّهون عن کلّ آفه روحیه، ذوو بصائر ثاقبه و صدور منشرحه و قلوب أوعیه لعلم اللّه. هم مَن نسمّیهم الأئمّه الأطهار علیهم السلام.

۱- سوره النساء: الآیه ۵۴.

طموحات المجتمعات:

تتطلّع المجتمعات الحيّه لمثل هؤلاء الزعماء فی تحقيق أهدافها و سعاده شعوبها؛ لأنّها أيقنت بأنّ سعادتها مرهونه بوجود هؤلاء القاده البرره. و قد تفضّل البارئ سبحانه علينا بأن جعل الأئمّه الأطهار عليهم السلام قادتنا إلی السعاده و الفلاح. و هكذا يتبلور المجتمع الشيعی اليوم و بالاستناد إلی هؤلاء البرره بما يلفت انتباه العالم إلی رشده و ازدهاره و تربيته الصائبه الناجحه.

مهمّتنا:

إنّنا إنّما نواجه حدودنا و اعتبارنا الإنسانی إذا ما قصّرنا فی تخليد أئمّتنا و الاعتزاز بهم، فأنّی لهذه الطائفه الحقّه أن تبلغ الكمال و الرقی و نيل الأهداف المقدسه إن غيّبت العداله و اندثر العلم و زال الورع و التقوی. و لعلّ العدو الغاشم المتربّص- الذی يهمّ بشق عصا المسلمين و تجريدهم من عظمتهم و مجدهم- يری أنّ أفضل سبيل يمكّنه من تحقيق أطماعه و سلب الأمّه هويتها إنّما يكمن فيما يوجّهه من ضربه قاصمه لزعامتها الربّانيه، الأمر الذی ينبغی أن يلتفت إليه المسلمون و يتأمّلوا ما يستنبطه من أفكار هدّامه لا- تضمر سوی توجيه سهامها المسمومه نحو زعمائنا الربّانيّين الأئمّه الأطهار عليهم السلام انطلاقاً من بعض المسمّيات الخلّابه من قبيل الثقافه و الانفتاح و حريه الفكر و ما إلی ذلك من المفردات القلقه. فأعداء الإسلام لا يتورّعون فی التشبّث بكلّ الوسائل من أجل الوقوف بوجه عناصر القوّه و الشخصيات التی يعتمدها القرآن الكريم، فخوار عجل السامری ما زال يسترجع فی حناجر الأجانب الطامعين. و عليه فلا ينبغی الانسياق وراء هذه الأطروحات الزائفه و الأساليب العصريه التی لا تنوی سوی النيل من عظمه القرآن الكريم و القضاء علی الإسلام العزيز.

الدافع من تأليف الكتاب:

إنّ الدافع الذى يقف وراء تأليفنا لهذا الكتاب هو ما برز اليوم فى أوساط المجتمع الإيرانى الذى يهدف إلى استغفال الشباب من خلال ما يسمّى ب «الانفتاح الفكرى» و «الدين الميسَّر» المغلّفه بشعار «حسبنا كتاب اللَّه» الذى يعنى الإسلام من دون زعامه النبى صلى الله عليه و آله و هدايه أهل بيته الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم القاده و الزعماء الأدلّاء على الطريق، فإن أصررتم على هذا الشعار كان عليكم الإقرار بزعامتهم على ضوء تأكيدات الكتاب، فزعامتهم و مكانتهم لا تخرج عن إطار القرآن البته. لقد حاولنا طرح المباحث العلميّه بأسلوب ميسّر، ليتسنّى لنا الردّ على الأسئله و الاستفسارات التى تدور فى الأذهان. و قد استندنا إلى القرآن الكريم فى كلّ بحث، أمّا التمسّك بأخبار أهل البيت فى بعض الموارد فإنّما كان على سبيل تأييد ما ورد فى القرآن، فى حين غضضنا الطرف عن مثل هذه الأخبار فى إثبات إمامه الأئمّه عليهم السلام. يشتمل الكتاب على أربعه أقسام، يقتصر الهدف الأصلى للكتاب على الأقسام الثلاث الأولى منه، بينما يتكفّل القسم الرابع ببحث علم سيّد الشهداء و معطيات نهضته المباركه و ... فهو ليس بأهمّيه الأقسام الثلاث التى تتعرّض لقضيه الإمامه من وجهه نظر القرآن. و بالطبع فإنّ بحث الإمامه ليس من الأبحاث الجديده، فقد ألّف كبار علماء الشيعه و محدِّثيهم عدّه مؤلّفات بهذا الشأن من قبيل: ۱- كتاب الشافى للسيد المرتضى علم الهدى، المتوفّى عام ۴۳۶. ۲- كتاب الألفين لآيه اللَّه جمال الدين العلّامه الحلّى المؤلَّف تلبيه لطلب ولده الجليل فخر المحقّقين المتوفّى عام ۷۲۶. ۳- إحقاق الحقّ للقاضى نور اللَّه، المتوفّى سنه ۱۰۱۹. ۴- غايه المرام للسيّد هاشم البحرانى، المتوفّى سنه ۱۱۰۷ أو ۱۱۰۹. ۵- الصراط المستقيم إلى مستحقّى التقديم لعلى بن يونس النباطى البياضى،

المتوفّى عـام ٨٧٧. ۶- عبقـات الأنوار للمير حامـد حسـين الهنـدى، المتوفّى عام ١٣٠۶. ٧- الغـدير للعلّامه الأمينى، المتوفّى عام ١٣٩٠، و عشـرات الكتب الحـديثه بلغه بسـيطه. آملين أن تـوفّر مطـالعته بعض الفوائـد لكـافّه الإخوه من البـاحثين و المحقّقين و المثقفين و الشـغفين بمقـام الإمامه. سائلين الإخوه من العلماء الأعلام و المطّلعين الغضّ و الإغماض عمّا بـدر منّا من زلل و خطأ. ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. شهاب الدين الإشراقى- محمّد الفاضل اللنكرانى

الإمامه على ضوء القرآن الكريم

اشاره

ترى الشيعه أنّ الإمامه منصب إلهى، فهم يقولون: ليس للدين من خلود و بقاء إذ كان هناك فراغ يعقب النبى صلى الله عليه و آله لا- وظيفه للدين فيه، كيف يجوز على اللَّه الذى ارتضى الإسلام للناس ديناً خالداً إلى الأبد أن يترك الناس سدىً بعد الرسول الأ- كرم صلى الله عليه و آله دون أن يعيّن لهم وظيفتهم فى حفظ أساس الدين و تطبيق التعاليم الإسلاميه؟ و بناءً على هذا، لا بدّ أن تكون هناك صفوه تنهض بمسئوليه زعامه المسلمين و تتولّى بيان الأحكام و التعاليم القرآنيه للُامّه الإسلاميه و تتكفّل بحفظ الشريعه السمحاء و إرشاد المسلمين و العمل على حلّ مشاكلهم و رعايه ديمومه الدين. إذن فالإسلام يتطلّب وجود الإمام بعد النبى صلى الله عليه و آله، فإذا فوّضت الإمامه إلى الناس كان معنى ذلك تزلزل أركان الدين الإسلامى القائم على أساس بسط العدل و القِسط و إشاعه التوحيد و سلب روح الفضيله و أُسس الوحدانيه؛ و ذلك لأنّه

أوكـل الأـمّه لنفسـها و خوّلهـا انتخاب الإمام، رغم وجود البعض من عبـده الأهواء و حبّ الجاه و الرئاسه الـذين لا يتورّعون عن اعتمـاد الحيله و الخـداع من أجـل الحكم و الأخـذ بزمـام الأـمور؛ و هـذا لن يؤدّى بالتـالى إلّا إلى سـياده الظلمه و الطغاه الـذين يتّخـذون عبـاد اللَّه خولًا و مـاله دولًا. و عليه و بحكم العقل و المنطق فإنّ اللَّه الـذى أراد لـدينه المُبين أن يكون الـدين الخاتم و الخالـد إلى يوم القيامه، و الذى أسّـس بُنيانه على أساس حكومه العدل و القِسط و بثّ العلم و إشاعه الحريات و الحياه الخالده و العيش الهنى ء الـذى تسوده المسـاواه و المواساه، قـد فرغ من تحديـد تكليف المسـلمين لمرحله ما بعـد رحيل النبى، حـذراً من الهرج و المرج و الفوضـى التى تخلّفهـا حكومه الطُّغـاه، و التى تقود فى خـاتمه المطاف إلى زوال الـدين. و هـذا ما دفع بالطائفه الحقّه لأن تؤمن بأنّ الولايه و الإمامه منصب إلهى ربّانى كالنبوّه، حيث أوجبها اللَّه و حصـرها فى صـفوه من أجل خلود الـدين و بقاء كلمه التوحيد و سياده حكومه العدل العالمى. هذه خلاصه مقتضبه من حكم العقل الذى يرى ضروره وجود الإمام بعد النبى من أجل زعامه الأمّه الإسـلاميه و إداره شـئونها، كما يـدرك هـذا العقل بأنّ اللَّه سـبحانه قـد أودع هـذا المنصب لمن لهم أهليّه القيام بمسئوليته.

القرآن و الإمامه:

مـا يُفهم من القرآن الكريم أيضـاً هو أنّ الإمـامه منصب إلهى، و لاـ بـدّ لنـا من أجـل توضـيح هـذا الأمر أن نسـتعرض النصوص القرآنيه. فالـذى يفيـده القرآن هو أنّ إمـامه الامّه و الولايه عليها إنّما تفوق النبوّه، أى أنّ صـلاحيه الإمامه متوفّره فى النبى، حيث إنّ مجابهته للأحداث و الوقائع المريره

جعلت مقـام النبوّه أعظم ثقلًا فأمـدتّه بالأرضـيه الخصـبه لممارسه منصب زعامه الامّه و إمامتها. و عليه فلا ينبغى أن يسى ء أحد فهم هذه القضيه ليتصوّر بأنّنا نريد أن نقول:

إنّ الإمـام فوق النبى. كلّا، بل المقصود هو أنّ الإمامه فوق النبوّه و أنّ النبوّه قـد تشـتمل أحياناً على الإمامه. و من هنا يتّضـح بأنّ كـلّ نبى فى نفس الوقت الـذى يبلغ فيه مقـام النبوّه و يخبر عن المغيّبـات فهو إمـام للأُـمّه قـد محّص بالبلاء ليكون جـديراً بتولّى منصب الإمـامه. فـالنتيجه التى نخلص إليها أنّ القرآن فى الوقت الـذى يُعتبر فيه الإمامه منصـباً إلهياً، يلفت الانتباه إلى مزيّتها التى تفوق النبوّه، و الآن نتناول بالبحث، الآيات القرآنيه الوارده بهذا الخصوص:

الدليل الأوّل من القرآن

اشاره

قـال سبحانه فى كتـابه العزيز: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمـاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ(۱). دراسه الآيه الكريمه: «الكلمه» أحياناً تطلق هذه اللفظه و يُراد بها المعنى، كما تُطلق أحياناً أُخرى على الكلام «و كلمه بها كلام قد يؤم»، و قد أطلقها القرآن الكريم على لسان آياته على نوع من الحقائق، كما عبّر عن عيسى عليه السلام بأنّه كلمه إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ(۲). فعيسى عليه السلام حقيقه قيّمه و إنسانيه مدهشه عجيبه، و أنّ اسم هذا الإنسان العجيب هو «عيسى بن مريم». إذن فالكلمه إشاره إلى تلك الحقيقه و الحدّ الوجودى لعيسى، و اسم هذا

۱- سوره البقره: الآيه ۱۲۴.

۲- سوره آل عمران: الآيه ۴۵.

الموجود أو الكلمه هو عیسی، و توکل التفاصیل إلی محلّها(۱). «الابتلاء» الامتحان و التمحیص، و لمّا کان أصله هو البلاء، فکلّ تمحیص و امتحان اشتمل علی البلاء و المصاعب کان ابتلاءً. «الإتمام»: الإکمال و الإتقان.

الهدف من الامتحان:

الهدف من الامتحان هو دراسه قوی الشخص الممتحن و الوقوف علی استعداداته بالنسبه للمادّه التی تخضع للامتحان، فلو امتحن شخص فی مسأله ریاضیه، فإنّه یکون موفّقاً فی الامتحان و یُکتب له النجاح إذا تمکّن من حلّ المسأله بصوره صائبه، أمّا إذا عجز عن حلّها و فشل عن الإتیان بالإجابه الصحیحه، إلّا أنّه کتبها بخطّ واضح جمیل فإنّ درجته فی الامتحان صفر رغم أنّه أجاد کتابتها بخطّ لطیف. لقد محّص إبراهیم بعدّه حقائق مریره و قد اجتازها بقوّه، و قد خرج مرفوع الرأس أمام الحقّ المطلق فی هذا الاختبار و التمحیص. نعم ما محّص به إبراهیم کان بعض الحقائق الصعبه المریره، أمّا الغرض من ذلک التمحیص فقد تمثّل بالوقوف علی صموده و تجلّده تجاه تلک الحقائق، و حیث نجح فی الامتحان، فقد اتّضح بأنّه عالم ثابت الجِنان صلب بالنسبه لمواد الامتحان.

النبی إبراهیم و التمحیص:

۱- لقد محّص إبراهیم بالإنابه إلی اللّه و التوکّل علی الحقّ و الحقیقه و التوحید، فخرج من هذا التمحیص مطمئنّ القلب ذا یقین خالص؛ و علیه فإبراهیم کان رجلًا

۱- انظر تفسیر« کلام الحقّ» لآیه اللّه الإشراقی.

موقناً و ثابت الجنان منقاداً للحق مسلماً للذات الإلهيه المقدّسه. ٢- إنّ إبراهيم كان يعتمد على علم جمّ فى إثبات مفهوم التوحيد و وجود واهب الوجود بحيث بهت خصمه و لفّته الحيره من منطق إبراهيم و أدلّته و براهينه المحكمه. ٣- كانت شخصيه إبراهيم لا تعرف للقوميه و الوطنيه و القبليه من معنى فى قبال الذوبان و الفناء فى اللّه و الثبات على العقيده. ۴- أبدى إبراهيم غايه الصبر و الصمود و المقاومه من أجل عقيدته و دافع عنها مستميتاً. ۵- كان خلع حبّ الدنيا عن قلب إبراهيم- و عدم اغتراره بزبرجها- هيناً عليه فى جنب طاعه اللّه و التسليم لأوامره. ۶- كشف إبراهيم عن مدى شجاعته و عمق شخصيته الذاتيّه فى إطار مواجهته لطاغوت عصره نمرود. ٧- أثبت إبراهيم باستجابته لذبح ابنه مدى زهده فى الدنيا و عشقه للجمال الإلهى المطلق، و أنّه لا يملك لنفسه من خيره تجاه أمر اللّه سوى الطاعه و التسليم، و ليس هناك من علاقه أسمى من العلاقه باللّه و الرغبه بامتثال أوامره، و ليس هنالك من أثر يمكنه الحدّ من هذه العلاقه حتّى رابطه الأب بابنه و إن كان وحيده، فقد ملئ قلبه بحبّ اللّه و لم يدع فيه مثقال حبّه من خردل لحبّ غيره.

مواد التمحيص:

يتبيّن من النقاط آنفه الذكر أنّ المواد التى مُحّص فيها إبراهيم، و قد اجتازها بنجاح هى عباره عن: اليقين التامّ و الإدراك الكامل للحقّ و الحقيقه و خالق العالم،

و الصبر و الاستقامه لإثبات وجود اللّه، و امتلاكه الحجّه القاطعه و العلم الذى يدعو للحيره و الذهول، و الحلم و التضحيه و الزهد و التغاضى عن زخارف الدنيا و زبرجها، و الشجاعه و المروءه و احتمال الصعاب، و محاربه الأفكار الضالّه و عدم التأثّر بعواطف العوامّ إلى آخر ما هنالك. أجل لقد مُحّص إبراهيم بهذه المواد و قد وفّق فيها جميعاً، و هو نبىّ، فلمّا مُحّص بهذا التمحيص و كُتب له النجاح و التوفيق جعله اللّه إماماً مُفترض الطاعه على الناس. إذن: فالإمامه لا- تتوقّف على قوميّه الشخصيه أو روابطها النسبيه، و هى ليست تفويضيه، كما أنّها ليست خاضعه لآراء الأمّه و وجهات نظرها من أجل تحديد مصير البلاد و الإسلام، و لا يمكن لرأى أفراد الأمّه أن يعيّن الزعامه على الأمّه على ضوء النظره الإسلاميه، بل الإمامه فى عرض النبوّه و تابعه للإراده الإلهيه و هى منصب ربّانى رفيع لا يشغله إلّا من كان له علم كافٍ و درايه بالأحكام و التعاليم الإلهيه و إشاعه روح التوحيد، ليتسنّى له الردّ على الشبهات و الإشكالات التى تثيرها سائر الأديان ضدّ اللّه و الدين، و تفنيد النظريات و الفرضيات الجديده التى تهدف إلى زعزعه أساس التوحيد. و على هذا فلا بدّ أن يكون عالماً بأفكار الناس و عقائدهم و اسلوب تفكيرهم، إلى جانب وقوفه على العلوم التى من شأنها تهديد الدين الإسلامى الحنيف. بل الإمام هو الشخص الذى لا تأخذه فى اللّه لومه لائِم و لا يخشى القِتال من أجل الإسلام، و ألّا يُكلّف سوى نفسه فى هذا الشأن. و الإمام هو الشخص الذى لا تزحزحه الشدائد و الويلات و المصائب المروّعه عن الاستقامه و الثبات على الحقّ، فهو مثال الصبر و الحلم.

و الإمام هو الشخص الذی لیس لزخارف الدنیا و زینتها من سبیل إلی روحه الآمنه و نفسه المطمئنّه. و الإمام هو الشخص المُستقیم و الصامد المضحّی الذی لیس لأفکار العامّه و خرافاتها و انصیاعها للأراجیف و الأوهام أن تبعده عن الدفاع عن العقیده، و یعیش الاستقامه و الصلابه تجاه العواطف الطائشه البعیده عن التعقّل و المنطق. و أخیراً فالإمام هو الشخص الذی یمتلک الشجاعه و الإقدام الذی لا یدعه یصمت مقابل القوّه الجبّاره التی تناهض اللّه و الحقّ، بل تدفعه شجاعته لإحقاق الحقّ و الإفصاح عن حقائق الدین. ما مرّ معنا کان قبسات مقتضبه من شرائط الإمامه، و سنخوض بصوره أکثر تفصیل فی هذا الموضوع من خلال دراسه الآیات الأُخری الوارده بهذا الشأن.

الدلیل الثانی من القرآن

اشاره

قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلًا(۱). کلمه «أمر» لفظ عامّ یشمل جمیع الأقوال و الأفعال، و یمکن اعتباره هنا بمعنی أعمال المجتمع و شئوناته. و لا یُستبعد هنا أن یکون المُراد بالأمر المعنی الاصطلاحی، فیکون المُراد بأولی الأمر فی هذه الحاله الأفراد الذین لهم صلاحیه الآمریه أو إصدار الأوامر، و کأنّ أوامرهم علی درجه من الاعتباریه و وجوب الاتّباع بحیث عرفوا فی القرآن بهذه الصفه «اولی الأمر» أی الأفراد المطاعون فی کلّ ما یأمرون به، فالصفه المذکوره ملازمه لهم، و هی من قبیل الصفه التی ینعت بها بعض الناس الذین ینشطون فی مجال الصناعه و الاستثمار، حتّی صارت صفتهم التی یعرفون بها فیطلق

۱- سوره النساء: الآیه ۵۹.

علیهم أصحاب الصناعه. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ هناک جماعه من الناس تمیّزت فی إسلامیتها بحیث وجبت طاعتهم فیما یأمرون و ینهون، و منصبهم هو منصب إلهی یتمیّز بالإمره حتّی عرفوا بأنّهم «اولی الأمر». و بالطبع فإنّ هنالک مسأله لم یلتفت إلیها البعض من أولئک الذین خاضوا فی مِصداق اولی الأمر أو استغرقوا فی مفهومه، فذهبوا إلی أنّ الأمر بمعنی شأن من الأفعال و الأقوال، ففسّروا اولی الأمر علی أنّهم الأفراد الذین تکون کافّه الشئون و الامور تحت تصرّفهم و ولایتهم.

بحث فی الآیه المبارکه:

الطاعه هی اتّباع الأمر، إذن فمفهومها یفید صدور الحکم و الأمر من المطاع، طبعاً الأصل الأوّلی هو عدم وجود حکومه و إمره لفرد علی فرد آخر. فالإنسان کائن خُلِق حرّاً، و ینبغی أن یعیش الحریه فی الفکر و العمل، فالحریه جزء من فطره الإنسان و الأصل الابتدائی لخلقته الإنسانیه، و ذلک لأنّه مجهّز بالفکر و العقل و الإراده، و لا معنی لسلبه حریه التفکیر و الإراده، فهو إنّما یستطیع اتّخاذ القرار فی تقریر مصیره و أعماله و أفعاله علی ضوء العقل، الفصل الممیّز للإنسان، فهو یشخص الأمور بقوّه العقل ثمّ تأتی إرادته فی تحقیق الصالح من الطالح من الأعمال. و بناءً علی هذا فهو حرٌّ و مختار فی تقریر مصیره و أعماله و أفعاله علی ضوء إدراکه و عقله، و لیس للآخرین من سبیل لأن یجرّدوه من حریته فی الفکر و العمل و اتخاذ القرار و أن یفرضوا قوّتهم علی إرادته. أضف إلی ذلک أنّ الفرد الذی یری نفسه خاضعاً لتشخیص الآخرین و امتثال أوامرهم و نواهیهم إنّما هو فرد ذلیل؛ لأنّه لیس هنالک من امتیاز لأحد علی آخر فی الخلقه الاولی حتّی یستسلم فرد

لآخر، و لذلک نقول بأنّ الأصل الأوّلی هو عدم حکومه فرد لفرد آخر أو عدّه أفراد. و علی ضوء ما تقدّم فإن کان هنالک بعض الأفراد الذین یتمّتعون ببعض السمات و الامتیازات فهم یتمّتعون ببُعد الآمریه قطعاً. کالأفراد الذین یضاعفون من قواهم العقلیه إثر کثره الدراسات و التحقیقات العلمیه و التجارب فی الحیاه، فتکون لهم قدره تمیّزهم عن الآخرین فی تشخیص الأمور و تحدید العناصر الأساسیه التی تلعب دوراً فی تحقیق سعاده الإنسان و فلاحه، فمثل هؤلاء الأفراد و بفضل کونهم أکثر درایه و بصیره و أعظم قوّه و اقتداراً و ملکه عقلیه فی إدراک الأمور بما لا یسع الآخرین درکه أن یکون لهم حقّ الإمره و الحکومه علی الأفراد الذین یفتقرون لتلک المواصفات. و لذلک نری الفطره تقود إلی هذا النهج و الأُسلوب، فالطفل الذی یقصّر عن تشخیص الأشیاء أو یفتقر لهذا التشخیص یطیع والدیه و یمتثل ما تقتضیه مشیئتهما، و هذا ما علیه الحال بالنسبه للجاهل تجاه العالم، و الفرد الخام إزاء الناضج، و القلق الخاوی حیال المستقرّ المحکم، فهو یطیعه و یقتفی أثره فی طریقه حیاته. إذن فالأصل الأوّلی یفید عدم تمیّز الأفراد علی بعضهم البعض، و الحرّیه فی العمل، و عدم حکومه فرد لآخر، إلّا أنّ هذا الأصل قد یخرق فی بعض الحالات و لا یمکن تطبیقه، فإذا کان هناک شخص أو أشخاص یتمّتعون بقدرات فکریّه و عقلیّه تفوق الآخرین، فإنّ الفطره تقتضی فی هذه الحاله بضروره تبعیّه الجاهل للعالم و الناقص للکامل و الضعیف للقوی. أمّا الأمر المهمّ الذی لا ینبغی أن یغیب عنّا هنا هو أنّ طاعه الجاهل للعالم لا تقتصر علی علمه فقط، و انقیاد الفرد البسیط للناضج الحکیم إنّما یختص بما له فیه الحکمه و هکذا دوالیک. و لکن إذا فرضنا فرداً کان نموذجاً للآخرین فی تجاربه، و یفوق جمیع الناس

علماً و عملًا و قـدره و بصـيره و فكراً و إحاطه بـدقائق الأُمور، و كان وجوده علماً و إدراكاً و درايه و حكمه، و لم يقصـر ببصـره على الـدنيا، بل امتـدّ نظره إلى الآخره بما يجعله قادراً على إرشاد الناس و هدايتهم إلى الفلاح و السـعاده و الفوز بالحياه الأبديّه، بل إذا كان علمه خارقاً محيطاً بجميع الكمالات و السعادات الأبديّه، و كان له عقل نورانى ليس معه ظلمه، بل كان كائناً ملائكياً و منبعـاً للفضائل و الخصال الحميـده، فهل ترى الفطره فى هـذه الحاله أن تكون طاعته محصوره فى حـدود معينه، كأن يُطاع فى مورد و يعصـى فى آخر؟ أم أنّ الفطره تقتضـى التسـليم له و اتّباعه حيثما حلّ و الاستسلام إلى حكومته و تفويضه كافّه مقدّرات حيـاته، ليتسـنى له أن يبلغ الكمـال الإنسانى، و بالتالى يكون المجتمع مجتمعاً مقتـدراً فاضـلًا يسوده العـدل و القسط حتّى تصـبح البلاـد فى ظلّ طاعته بمثابه المـدينه الفاضـله؟ لا شكّ أنّ حكم العقل و اقتضاء الفطره يرى أنّ طاعه مثل هؤلاء الرجال العِظام لا بـدّ أن تكون طاعه مطلقه عمياء، و سوف لن تعـدّ هذه الطاعه مذمومه، و لا تتعارض مع الوجدان و العقل و لا تتضارب و الطبيعه الأُولى فى عـدم أحقيّه حكومه فرد لآـخر، بـل هى طـاعه سـليمه كما يراها العقل و يـدعو إليها. فالـذى نخلص إليه ممّا سـبق أنّ الأصـل الأوّلى و إن أفـاد عـدم حكومه و إمره فرد على آخر، إلّا أنّ هـذا الأصل لا يصـدق فى بعض الأحوال؛ لأنّ العقل يحكم بلزوم طـاعه الأُـمّه لأفرادهـا من ذوى الفضل و الكمال، لكن إذا كان فضـله و امتيازه محـدوداً كانت طاعته محـدوده أيضاً، و إن كانت امتيازاته مطلقه كانت طاعته مطلقه فى كلّ شى ء.

لمن الطاعه؟

سؤال: إنّ ما قيل على سبيل الفرض هو عين الصواب؛ لأنّ العقل يقضى

بالطاعه المطلقه للإنسان بالصيغه المذكوره سابقاً، أى إذا كان المُطاع هو فرد أكمل من الجميع فى كافّه الكمالات و أعلمهم فى جميع العلوم الإنسانيه و أعرفهم بسبيل سعاده الإنسان و فلاحه، فإنّ العقل يحكم بجواز بل بوجوب طاعته، و لكن أين مثل هذا الفرد؟ و لمن ينبغى أن يسند هذا المقام لنطيعه؟ جواب: لقد تكفّلت الآيه القرآنيه- آنفه الذكر- بحلّ إشكاليه هذا السؤال، فالطاعه المطلقه للّه، و اللّه هو الذى عدّ طاعه الرسول كطاعته، كما أنّ اللّه هو الذى أوجب طاعه أُولى الأمر. و عليه فمصداق ذلک الفرد ليس سوى رسول اللّه و أُولى الأمر، لكن يبدو أنّ هناک نقطه مهمّه وردت فى الآيه لا بدّ من الالتفات إليها، فقد وردت لفظه «الطاعه» مكرّره فى الآيه، حيث قالت: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ و نفهم من هذا التكرار أنّ طاعه رسول اللّه فى طول طاعه اللّه، فطاعه اللّه لا- ينبغى أن يتخلّلها أىّ تأمّل و لا يشوبها أىّ توقّف، أمّا طاعه الرسول الواقعه فى طول طاعه اللّه فهى إنّما تنتهى إلى إراده اللّه و تؤدّى إلى تحقّق التوحيد و العدل و الفضائل، و إلّا فإنّ طاعه الرسول ليست لازمه قطّ إذا كانت على الخلاف من ذلک، و كان السبيل الذى يسلكه لا ينتهى إلى اللّه و الفضيله و تحقيق السعاده للناس و لا يقود إلى الكمال، بينما قال سبحانه وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أى أنّ ما يقوله إنّما هو الشى ء الذى يجب أن يؤول إليه البشر، و الحكومه التى ينهض بها إنّما تمثّل الحكومه التى يجب أن تنضوى كافه الإنسانيه تحت لوائها، لتتمكّن الأُمّه فى ظلّ تلك الحكومه و زعامه ذلک القائد أن تنال الحياه الآمنه و الوادعه المستقرّه المشتمله على السعاده، و أن تجعل دنيا الناس حرّه سعيده متّصله بالآخره بعيده عن كلّ خمول و تخلّف، سواء فى الحياه الدنيويه أو فى كسب الفضائل و التزوّد للحياه الاخرويه الأبديّه. ثمّ أردفت عباره الآيه أَطِيعُوا اللَّهَ بقوله تعالى: وَ أُولِى الْأَمْرِ و لم تتكرر

کلمه «الطاعه» و یعود عدم تکرار الطاعه إلی تساوی و وحده هدف طاعه الرسول و طاعه أُولی الأمر، فکما أنّ طاعه الرسول تؤدّی إلی السعاده و الفلاح و حکومته تبسط الاستقرار و تشیع الخیر و الصلاح فإنّ طاعه أُولی الأمر کذلک. إذن فطاعه الرسول هی طاعه أُولی الأمر، و لیس هنالک أدنی تفاوت و اختلاف فی الآثار و الفوائد التی تترتّب علی کلّ طاعه، سواء کانت طاعه الرسول أم طاعه أولی الأمر. و عوداً إلی الآیه الشریفه، فإنّها ذکرت طاعه النبی و أُولی الأمر و أوجبتها بصوره مطلقه، و حیث أوردتها علی نحو الإطلاق، فإنّ ذلک یعنی أنّ طاعتهم لازمه فی کلّ الأُمور. و علی ضوء هذا الإطلاق و ما ورد فی المقدّمه یتحصّل أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و ولاه الأمر إنّما هم أفراد یتمتّعون بقوی و قدرات تفوق سائر البشریه، کما یتبیّن أنّهم فی قمّه السموّ و ذروه الکمال الإنسانی، و هم أعظم من غیرهم فی العقل و الإدراک و البصیره و الخبره بکافّه حوادث الدنیا و طرق السعاده و الفلاح، بحیث یحکم العقل و تقضی الفطره بوجوب تسلیم کافّه العُقلاء و العلماء و المجرّبین فضلًا عن سائر شرائح الأُمّه لهم فی کافّه شئون حیاتهم الدنیویه و الأُخرویه.

خلاصه البحث:

۱- الأصل الأوّلی یقتضی عدم أحقیّه حکومه فرد أو أفراد لفرد أو أفرادٍ من الآخرین. ۲- المبنی الأساس لصحّه هذا الأصل هو عدم وجود التمایز بین شرائح الأُمّه من حیث قوی العقل و الإدراک و سائر الصفات و الخصائص الممیزه، و لیس هناک من معنی للطاعه فی هذه الحاله سوی صوره واحده، و هی «الترجیح بلا مرجّح» و هذا الترجیح مرفوض بحکم العقل.

٣- یشذّ هذا الأصل فی بعض الحالات و لا یصحّ تطبیقه، أی فی الحالات التی یکون فیها امتیازات لفرد أو بعض الأفراد علی الآخرین من حیث الفضائل المعنویه و القوی العقلیه و البصیره بالأُمور، فإنّ طاعه مثل هؤلاء الأفراد طبیعیه بل ضروره لازمه بحکم العقل و الفِطره، إلّا أنّ هذه الطاعه إنّما تکون بمقدار الامتیاز و مورده. ٤- إذا کان هناک أفراد یتمتّعون بامتیازات مطلقه غیر محدوده فی کافّه الکمالات، فإنّ طاعه الآخرین لهؤلاء الأفراد بحکم العقل مطلقه لا تعرف الحدود، أی لا بدّ من اقتفاء آثارهم فی کلّ أمر و الائتمار بأوامرهم و نواهیهم و التسلیم و الانقیاد التامّ لهم. ٥- طالما أقرّت الآیه الکریمه طاعه الرسول و أُولی الأمر فی طول طاعه اللّه و أوجبت علی الأُمّه مطلق الطاعه، فالذی یتبیّن علی هذا الضوء أنّ ولاه الأمر فی الإسلام کرسول اللّه فی أنّهم ممتازون مطلقاً فی جمیع الصفات الإنسانیه و الکمالات الروحیه. و هنا نقول بعد هذه الخلاصه: إنّنا نعرف رسول اللّه و هو محمّد بن عبد اللّه صلی الله علیه و آله، و نعلم أیضاً بأنّه محیط من خلال الوحی بکافّه الأسرار التی تتضمّن سعاده البشریه، حتّی أوجب القرآن الکریم طاعته المطلقه فقال: وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا(١). و لکن من هُم اولی الأمر الذین جعل اللّه طاعتهم فی طول طاعته، ثمّ قرنَ طاعتهم بطاعه رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟ فإن قُلنا- علی ضوء ما تقدّم-: إنّ القرآن و الإسلام لا یری أنّ کلّ فرد یمکنه أن یکون من ولاه الأمر و إن تمّ اختیاره مِن قبل الأُمّه فإنّنا لم نقل جزافاً؛ و ذلک

١- سوره الحشر: الآیه ٧.

لأنّنا ذكرنا سابقاً بأنّ لأُولى الأمر كما للرسول طاعه مطلقه، كما قلنا بأنّ الطاعه المطلقه مساوقه و ملازمه للاشتمال على الامتيازات المطلقه، أى لا بدّ من القول- على ضوء هذه الآيه دون تفسيرها و تعيين مصداقها- بأنّ اولى الأمر لا بدّ أن يكونوا أفراداً ممّن يستند علمهم إلى معدن الوحى، و إلّا يكون علمهم جهلًا مركّباً، و ألّا يقتصر على مائه آيه أو أقلّ أو أكثر، كما لا يكون علمهم مستنداً إلى تجارب معينه أو دراسات و أبحاث اجتماعيه محدوده، بل لا بدّ أن يكونوا قد نهلوا العلم و رضعوه من ثدى الوحى، و أن يكونوا عالمين بالقرآن و السنّه محيطين بجميع أسرار الدين و مصير المسلمين و سبل السعاده و طرق الشقاوه، و لا بدّ أن يكونوا أفراداً ذوى بصائر مطلقه و تامّه بأوضاع المجتمع و روحيّات الأُمّه و فى اسلوبهم فى الحكم و زعامه المسلمين. و يجب أن يكونوا على درجه من الزهد و الورع و التقوى بحيث لا تحرفهم زخارف الدنيا و زِبرجها و حلاوه رئاستها عن جادّه الصواب و سبيل الحقّ، و ينبغى أن يكونوا على درجه من التوسّم و قوّه التشخيص بما يحول دون خطأهم و زللهم، حتّى لا يصدروا جِزافاً الأحكام الخاطئه و القوانين المخالفه للقرآن و السنّه فيخرّبوا البلاد و يُهلكوا العباد، كما لا بدّ أن يكونوا معصومين من الذنب و الخطأ و الاشتباه، و أخيراً ينبغى ألّا يبخلوا بالتضحيه بالغالى و النفيس و الجود بالنفس من أجل عظمه الإسلام و تحقيق عزّه المسلمين و رفعتهم، و ألّا تأخذهم فى اللّه لومه لائم فى إحقاق الحقّ و استيفاء حقوق المسلمين، و ألّا يألوا جهداً فى الدفاع عن القرآن و الإسلام و تطبيق الأحكام و التعاليم الإسلاميه. إذن و على ضوء سياق الآيه و ما يفهم منها نعرف مَن هم أُولى الأمر؟ فالذى يمكن فهمه من قوله تعالى: وَ أُولِی الْأَمْرِ أى و أطيعوا أُولى الأمر- فإنّ طاعتهم هى طاعه رسول اللّه، و أنّ طاعه رسول اللّه إنّما هى بمثابه طاعه اللّه- هو أنّ أُولى الأمر الذى أوجبت الآيه الكريمه طاعتهم ليسوا إلّا أُولئك الذين رضعوا من ثدى

الوحی عرفوا کتاب اللَّه، و علموا بما یجری علی المسلمین من حوادث، و أحاطوا بکافّه أحکام الإسلام استناداً إلی منطق الوحی. نعم، لا یمکن أن یکون ولاه الأمر سوی أولیاء اللَّه الذین یتّصفون بالورع و التقوی و الزهد و البصیره و الدرایه و الزهد و العصمه و الشجاعه و السماحه و المروءه و التضحیه من أجل حفظ کیان الإسلام و الذود عن أحکام القرآن.

مزید من الضوء علی آیه أُولی الأمر:

ذکرنا آنفاً أنّ الآیه الکریمه تفید عدّه أُمور: ١- کون الطاعه المطلقه و مطلق طاعه اللَّه و الرسول و أُولی الأمر واجباً و فریضه. ٢- هناک سنخیه بین طاعه الرسول و طاعه اللَّه، أی أنّ الرسول لا یهدف فی آمریته سوی رضا اللَّه و تحقق التوحید و سعاده الأُمّه، و أنّ کلّ ما یأمر به إنّما یستند إلی حقیقه الوحی و البصیره التامّه و العلم الشامل بمصیر البشریه و الصراط المستقیم الذی ینبغی أن تسلکه الإنسانیه جمعاء. ٣- طاعه أُولی الأمر مساوقه لطاعه رسول اللَّه، و علیه فلا بدّ من الإذعان لهذه الحقیقه، و هی أنّهم یستندون فی منطقهم علی غرار رسول اللَّه إلی الوحی، و هم یحوزون علی ذات البصیره و العصمه عن الخطأ التی حاز علیها رسول اللَّه، و إلّا لما جازت طاعتهم المطلقه فی کافّه شئون الحیاه الدنیویه و الأُخرویه. و لکن هناک نقطه لا بدّ من عدم إغفالها؛ و هی أنّ ولاه الأمر لا یتلقّون الوحی- کالرسول- إلّا أنّ علمهم إنّما یأتی عن طریق مجاری الوحی و تعالیم رسول اللَّه لهم، و لکن حیث قرنت طاعتهم بطاعته فإنّ ذلک یوجب علمهم و معرفتهم بکافّه الحوادث الخفیّه التی یعلمها الرسول و یحیط بها.

أجـل، إنّ مغزى هـذا الكلام هو تعيين مصـاديق أُولى الأمر، و لا ـ نرى من حـاجه إلى التعيين من خلال سائر الأدلّه، و على هـذا الضوء لا ـ بـدّ من القول بـأنّ جميع الأخبار و الروايات المتواتره التى صـرّحت بأنّ أُولى الأمر هم الأئمّه الأطهار عليهم السـلام، لا تعتبر من قبيل الأدلّه التعبديّه التى تفرض علينا التعبّد بها دون الحاجه إلى إقامه البراهين العقليه؛ و لا بدّ من القول أيضاً بأنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام قد أشاروا لما من شأنه أن يفيده التأمّل و التمعّن فى مفاد الآيه الكريمه، و لم يستندوا فى ذلك إلى علمهم بالمغيبات لعدم وجود ضـروره تدعو إلى مثل ذلك. و بعباره أُخرى: فإنّ كون الأئمّه الأطهار مصداقاً لعنوان «اولى الأمر» إنّما هو تعيين قهرى لا تعيينهم هم أنفسـهم، و إذا تتبّعنا الأخبار فهى ليست سوى إضافه و تصريح لما أفادته الآيه الكريمه، و لا يسعنا هنا إلّا أن نـذكر بعض النماذج من الروايات التى صـرّحت بولاه الأمر، لعلّنا نتوقّف بصوره أعمق و أكثر جديّه على الحقائق، و إليك ما ساقه الأئمّه الأطهار عليهم السلام بشأن هذه الآيه و سائر الآيات المماثله:

الحديث الأوّل:

ابن بابويه الصـدوق قال: حدّثنا غير واحد من أصـحابنا قالوا: حدّثنا محمّد ابن همام، عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزارى، عن الحسن بن محمّـد بن سـماعه، عن أحمـد ابن الحـارث قـال: حـدّثنى المفضّـل بن عمر، عن يونس بن ظبيـان، عن جـابر بن يزيد الجعفى قـال: سـمعت جـابر بن عبـد اللّه الأنصـارى يقول: لمّا أنزل اللّه على نبيّه محمّـد صـلى الله عليه و آله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُـوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ قلت: يـا رسول اللّه عرفنـا اللّه و رسوله فمن أُولو الأمر الـذين قرن اللّه طـاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه السلام: هم خُلفائى يا جابر و أئمّه المسلمين من بعدى، أوّلهم على بن أبى

طالب، ثمّ الحسن ثمّ الحسین، ثمّ علی بن الحسین، ثمّ محمّد بن علی المعروف فی التوراه بالباقر، و ستدرکه یا جابر، فإذا لقیته فأقرأه منّی السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسی بن جعفر، ثمّ علی بن موسی، ثمّ محمّد بن علی، ثمّ علی بن محمّد، ثمّ الحسن بن علی، ثمّ سمیّی محمّد و کَنِیّی حجّه اللّٰه فی أرضه و بقیّته فی عباده ابن الحسن بن علی»(۱).

ملاحظه:

فی الروایه عدد من النقاط الجدیره بالاهتمام، و هی: ۱- لقد فهم جابر من الآیه الکریمه عین ما ذکرناه کراراً سابقاً، کما ذهب إلی أنّ طاعه أُولی الأمر مماثله و مشابهه لطاعه رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله. ۲- لقد عبّر رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله عن ولاه الأمر بخلفائه و أئمّه المسلمین بعد رحیله، و الحال لیس هنالک من معنی للخلیفه سوی الخلافه فی المناصب و الوظائف الرسالیه. ۳- لقد ذکر رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله أسماء الأئمّه من بعده الذین لم یلدوا ذلک الحین، کما ذکر خصال إمامین منهم، و أنّ تسمیتهم بأسمائهم و ذکر بعض صفاتهم و الإخبار عن لقاء جابر للإمام الباقر علیه السلام إنّما یدلّ علی أنّ ذلک الإخبار کان مستنداً للوحی، و أنّ الوحی هو الذی صرّح بأسمائهم و ولایتهم؛ فالذی نخلص إلیه من هذه الروایه هو أنّ اللّٰه عیّن هؤلاء الأئمّه لا رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله. بعباره أُخری: هناک فرض یصرّح بأنّ الإمامه بعد النبی صلی الله علیه و آله کانت متروکه له، فالنبی یستخلف من یشاء، حیث فوّض اللّٰه له ذلک. کما هناک الفرض الآخر الذی یذهب إلی أنّ اللّٰه سبحانه هو الذی عیّن الأئمّه و بیّن صفاتهم للنبی صلی الله علیه و آله،

۱- کمال الدین: ۲۵۳ ح ۳، و عنه تفسیر کنز الدقائق ۲: ۴۹۳.

و الروایه دلیل علی صحّه الفرض الثانی، و بناءً علی هـذا فإنّ الأئمّه الأطهار هم خُلفاء النبی وقاده الأُمّه و زعماء الـدین إلی یوم القیامه، و أنّ خلافتهم تستند إلی نصب إلهی، و أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله لم یـذکر أسماءهم و صفاتهم إلّا عن طریق الوحی.

تحقیق آخر فی الآیه:

ما المُراد بالطاعه التی یؤخذ بنظر الاعتبار فی مفهومها الأمر و الآمر؟ هل تختصّ طاعه ولاه الأمر ببیان أحکام اللّه و الحلال و الحرام، أی هل یجب علی الأُمّه أن ترجع إلیهم و تطیعهم فی الواجبات و المحرّمات و المستحبّات؟ و بعباره أُخری: هل أنّ الأمر بالطاعه هو أمر إرشادی یقتصر علی رعایه امتثال الأحکام الإلهیه و تطبیقها علی أقوال ولاه الأمر و الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و أن لیس هنالک أیّه طاعه خارج بیان الأحکام؟ فیکون معنی الآیه الکریمه، أن ارجعوا فی تشخیص الواجبات و المحرّمات إلی النبی و الإمام و أطیعوهما؟ أم أنّ ولایه الأمر تعنی ولایتهم للمسلمین فی کافّه الشئون الاجتماعیه و السیاسیه الفردیه و الجماعیه التی تتعلّق بمصیر و تعیین أُسلوب الحکم، و أنّ ولایتهم فی هذا الحکم إنّما ترتکز علی تعالیم الإسلام؟ أم أنّ الطاعه المُفترضه أبعد من هذین الاحتمالین، أی لا بدّ من وجوب طاعتهم فی الواجبات و المحرّمات و المستحبّات و المکروهات و المباحات، کما تجب طاعتهم و الإذعان لهم فی کافّه الشئون الاجتماعیه و السیاسیه و شئون الحکم و تطبیق الإسلام علی أنّهم قاده المسلمین و زعماء الحکومه الإسلامیه؟. یبدو أنّ الاحتمال الثالث هو الأقوی و الأتمّ، أی أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم زعماء و أدلّاء علی الطریق مطاعون فی الأحکام التعبدیّه، کما أنّهم رؤساء الحکومه الإسلامیه و الحاکمون علی مقدّرات العالم الإسلامی و مطبّقو الأحکام

و التعـالیم القرآنیه؛ لأنّ ظـاهر الآیه أُولِی الْأَمْرِ یقول: و أطیعوا أُولی الأمر، و لو اقتصـرت طاعتهم علی الأحکام التعبـدیّه لما کان هنـاک من انسـجام بین هـذا الأـمر و التعبیر عنهم بولاه الأمر، فالأمر الـذی یُعنی به الشأن أو ذلک المعنی الاصـطلاحی لا یمکن الاقتصـار به علی أحکـام الإسـلام، بـل یمکن القول: إنّهم لیسوا آمرین فی تفسـیر أحکـام القرآن و بیـان السُـنّه النبویّه، إنّمـا هُم مفسّـرون و شـارحون. و من هنا یتبیّن أنّ ولایه الأمر تشـتمل علی معنی أکثر شـمولیه من تفسـیر القرآن الکریم و تبیین الحلال و الحرام. و علیه: فـإنّ طـاعه ولاـه الأـمر تعنی الانقیـاد لهم فی کـافّه الشـئون الاجتمـاعیه و المهامّ السیاسـیه للبلاد الإسـلامیه، و إذا أصـبحوا هم القـاده و الزعمـاء وجب أن تکون للإسـلام مؤسّـساته و جمعیاته و حکومته التی تسـتند إلی القرآن و السـنّه النبویّه، فالأـئمّه الأطهار هم رؤساء هـذه الحکومه، و کما اسـتطاع رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله أن یشـکّل الحکومه الإسـلامیه و یـدیر شئون البلاد، فقد تزعمها کذلک أمیر المؤمنین علی علیه السلام معتمداً نفس الاسس و الخطط التی اعتمدها النبی صلی الله علیه و آله. و لدینا بعض الروایات التی تؤکّد هذا الأمر: فقد صرّحت بعض الروایات المعتبره فی کتاب الکافی و غیره بهذا المضمون:

«نزلـت: أطیعـوا اللَّه و أطیعـوا الرسـول ... فقـال رسـول اللَّه صـلی الله علیـه و آلـه فی علی علیه السـلام: ألاـ من کنت مولاـه فعلیّ مولاه»(۱). إذن فالآـیه «أطیعوا اللَّه ....» بـانیه دعامه الوحـده الإسـلامیه و الحکومه الإسـلامیه، و معتبره الأئمّه الأطهار زعماء هـذه الحکومه.

الحدیث الثانی:

محمّد بن یعقوب الکلینی، عن علی بن إبراهیم، عن محمّد بن عیسی، عن

۱- الکافی ۱: ۲۸۶ ح ۱، و عنه تفسیر کنز الدقائق ۳: ۴۹۶- ۴۹۷.

یونس، عن حمّاد بن عثمان، عن عیسی بن السری قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السلام:

حدّثنی عمّا بنیت علیه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زکی عملی و لم یضرّنی جهل ما جهلت بعده، فقال: «شهاده أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّداً رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و الإقرار بما جاء به من عند اللّه، و حقّ فی الأموال من الزکاه، و الولایه التی أمر اللّه بها ولایه آل محمّد صلی الله علیه و آله- إلی أن قال:- قال اللّه عزّ و جل: أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فکان علیّ علیه السلام، ثمّ صار من بعده حسن، ثمّ من بعده حسین، ثمّ من بعده علی بن الحسین، ثمّ من بعده محمّد بن علی، ثمّ هکذا یکون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح إلّا بإمام»(۱).

الحدیث الثالث:

محمّد بن یعقوب الکلینی، عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن محمّد بن أبی عمیر، عن عمر بن أُذینه، عن برید العجلی، عن أبی جعفر علیه السلام فی قول اللّه عزّ و جل: فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً(۲) جعل منهم الرسل و الأنبیاء و الأئمّه، فکیف یقرّون فی آل إبراهیم علیه السلام و ینکرونه فی آل محمّد صلی الله علیه و آله؟ قال: قلت: وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً؟ قال: الملک العظیم أن جعل فیهم أئمّه، من أطاعهم أطاع اللّه و من عصاهم عصی اللّه، فهو الملک العظیم(۳). و هنا لا بدّ من الالتفات إلی أنّ «الملک» بمعنی البلاد بضمّ المیم و بکسرها یعنی المال، کما یُقال: المَلِک لصاحب البلاد؛ و المالک لصاحب المال؛ و لذلک فاللّه سبحانه هو ملک الوجود و مالکه قُلِ اللّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ ...(۴) و حیث کانت مالکیه الحقّ

۱- الکافی ۲: ۲۱ ح ۹.

۲- سوره النساء: الآیه ۵۴.

۳- الکافی ۱: ۲۰۶ ح ۵، و عنه تفسیر کنز الدقائق ۲: ۴۸۲- ۴۸۳.

۴- سوره آل عمران: الآیه ۲۶.

تبـارک و تعالی علی الإطلاق مالکیه حقیقیه لا اعتباریه؛ لـذلک یُقال له: «مالک الملک». إذن فقولنا: صاحب المُلک و صاحب المِلـک لا یتنافی و الآیه القرآنیه الکریمه، و هناک الآیات القرآنیه الأُخری التی تؤیـد هـذا المعنی فی أنّ الملک بالضمّ یعنی به البلاد، فقد صرّحت الآیه قائله: وَ شَدَدْنا مُلْکَهُ وَ آتَیْناهُ الْحِکْمَهَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ(۱) إلّا أنّ هذه الآیات التی تتحدّث عن الملک لا تقتصـر علی الإشاره إلی البلاد، بل الأهمّ من ذلک: أنّها تتحدّث عن صاحب البلاد، فمثلًا هذه الآیه التی تقول بخصوص نبی اللّه داود: وَ شَـدَدْنا مُلْکَهُ تفیـد أنّ البلد الذی یقوده داود علیه السـلام قد أصـبح بلداً قویاً إثر زعامته و قیادته، و کأنّ الذی یتبادر من الآیه أنّ قوّه البلاد إنّما تکمن فی قیادته و زعامته القویّه و العالمه المقتـدره، إذن فالملک العظیم هو البلد القوی الذی یحکم من قبـل زعیم قوی و مقتـدر و عـالم، بحیث إذا قیل: البلـد الفلانی هو بلـد قویّ و واسع و عامر، کان لا بـدّ من الإذعان إلی أنّ هـذه المَنعه و القوّه إنّما تعود إلی زعامه ذلک البلـد. إذن فالملک العظیم من وجهه نظر القرآن إشاره إلی امتلاک الزعامه الناجحه، و هـذا بدوره یزیح السّـتار عن أمر عظیم فی العثور علی بلد عامر و قوی و مسـتقلّ من شأنه أن یلعب دوراً عالمیاً من خلال اعتماده علی ذاته و مقوّمـاته، أی أنّ رمز ظهور مثـل هـذه البلـدان لیس سوی امتلاکها لزعیم قوی مقتـدر. و بناءً علی هـذا فإنّ قول الباقر علیه السـلام هو عین الصواب، و حقاً إنّه لباقر علوم الأوّلین و الآخرین إذ قال علیه السلام: «الملک العظیم أن جعل فیهم أئمّه ...» و من هـذه الجهه فإنّ هذه الآیه دلیل واضح علی وجوب کون الأئمّه الأطهار هُم زعماء البلاد وقاده الأُمّه، فإذا ما کانوا قاده الأُمّه کانت بلاد المسلمین قویّه مقتدره.

۱- سوره ص: الآیه ۲۰.

الحدیث الرابع:

من الروایات المشهوره و المعروفه بین الفریقین التی لا یشکّ أحد فی تواتُر صدورها عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله روایه الثقلین، و التی یمکن الجزم بأنّ دلالتها صریحه فی وجوب طاعه الأئمّه الأطهار علیهم السلام. و قد صرّح العالم النحریر شیخ المشایخ و استاذ الفُقهاء الشیخ مرتضی الأنصاری فی کتاب الرسائل- الذی یعدّ من الکتب النفیسه فی أُصول الفقه- فی فصل حجیّه ظواهر الکتاب(۱) قائلًا: «لیس لخبر الثقلین من ظهور سوی فی وجوب طاعه القرآن و العتره و حرمه مخالفتهما». و هنا لا بدّ من القول: بأنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله إنّما قال حدیث الثقلین تأییداً و بیاناً لقوله سبحانه: أَطِیعُوا اللَّهَ و علی ضوء الخبر فإنّ العتره لا بدّ أن تکون فی عرض القرآن الکریم، فالقرآن مُطاع و العتره مُطاعه کذلک. و القرآن کتاب سماوی محیط علیم بکافّه الحوادث و الوقائع التی یعیشها المسلمون، و قوانینه جاریه إلی یوم القیامه، و هی أساس تشکیل الحکومه الإسلامیه علی مدی التأریخ، و العتره المُرادفه للقرآن کذلک، و لذلک حین تطالعنا الأخبار المتظافره التی تصف أمیر المؤمنین علی علیه السلام بأنّه القرآن الناطق(۲) و الکتاب السماوی هو القرآن الصامت فبالالتفات إلی آیه أَطِیعُوا اللَّهَ و حدیث الثقلین، و لا ینبغی أن یکون هناک شکّ و تردید فی هذا الأمر. و رغم کون هذا الأمر غنیّاً عن التوضیح و أنّ مفاد خبر الثقلین هو ذات مفاد آیه أَطِیعُوا اللَّهَ و لحصول المزید من الاطمئنان، لا بأس بتسلیط الضوء علی هذا الأمر، فنقول: هناک نوع من تجرید الفرد المطیع من الاختیار فی حیاته فی ظلّ الطاعه

۱- فرائد الاصول، المعروف ب« الرسائل» ۱: ۱۱۹.

۲- بحار الأنوار: ۳۹/ ۲۷۲.

المطلقه، و ذلک لأنّ المطیع إنّما یجعل فکره و إرادته و عمله تحت تصرّف المُطاع، و قد ذکرنا بأنّ علّه طاعه المُطاع بنحو مطلق هی کون المُطاع یمتلک علماً مطلقاً، و بصیراً و ذا درایه بکافّه سبل الهدایه و طرق السعاده و الفلاح، و هو عارف بنمط الحیاه التی یسودها الأمن و الاستقرار و السکینه، و التی لا تعرف القلق و الاضطراب، کما أنّه خبیر بکلّ ما یؤدّی إلی السعاده و الشقاوه، و حیث تحکم الفطره بضروره التسلیم لمثل هذا الفرد، کان لا بدّ من القول بأنّ الآیه أَطِیعُوا اللَّهَ إنّما توجب علی الناس الانقیاد و التسلیم إلی اللّه و الرسول و ولاه الأمر، بالشکل الذی تکون فیه إراده الناس تابعه إلی إراده ذلک الفرد، فلم تعد لهم من إراده، و هذا ما یمثّل منتهی الإدراک و العقل و الدرایه بحیث یکون الإنسان علی هذا النوع من التسلیم تجاه معلّمیه من ذوی العلم و البصائر لیظفر بسعادته و فلاحه. هذا هو المعنی الذی نفهمه من الآیه الشریفه، و هو نفس المعنی الذی یفیده حدیث الثقلین، لا سیّما بالالتفات إلی کلمه «التمسّک» الوارده فی الحدیث «إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا أبداً: کتاب اللّه، و عترتی ...»(۱) فالتمسّک یعنی التسلیم و الانقیاد للمتمسّک به، فهی لا تفید سوی الطاعه المطلقه للمُطاع التی صرّحت بها الآیه الشریفه. و أخیراً فإنّا نری أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد خلّف للمسلمین ثقلین: الأوّل هو القرآن الکریم الذی یُعتبر دستور الحکومه الإسلامیه و رکنها الرکین و قائدها، فإنّ الأئمّه الأطهار هم أساس الحکومه و زعماؤها و لیس للأُمّه من سبیل سوی الانصیاع لقیادتهم و الانقیاد لهم.

خلاصه التحقیقات:

علی ضوء الروایه المنقوله عن ابن بابویه القمی فإنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قد عیّن

۱- بحار الأنوار ۲۳: ۱۰۴- ۲۰۵ ب ۷.

ولاه الأمر، و قد كان مفاد الروايه- التى وردت بشأن الآيه القرآنيه- أَطِيعُوا اللَّهَ- أنّ الأئمّه عليهم السلام هم اثنا عشر و أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله نصبهم بوحى من اللّه، أى أنّ اللّه هو الذى نصبهم و جعلهم أئمّه، فما كان من رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلّا أن أبلغ المسلمين الخبر. كما اتّضح من «التحقيق الآخر فى الآيه الكريمه» أنّ وظيفه الأئمّه لا تقتصر على شرح و بيان الحلال و الحرام، بل هم زعماء الأُمّه وقاده البلاد و رؤساء الحكومه الإسلاميه، و أنّ رسالتهم هى تطبيق التعاليم الإسلاميه و الأحكام القرآنيه فى العالم الإسلامى، و الأُمّه مأموره بطاعتهم ليتمكّنوا من إجراء الأحكام الإسلاميه و يأخذوا بيد الأُمّه إلى شاطئ السعاده و الفلاح، كما أنّ زعامتهم أبديه خالده، كما ذكرنا بعض الروايات التى تؤيّد بل تشكّل الدليل القطعى على هذا المدّعى، و قلنا بأنّ طاعه الأئمّه لا- تعنى سوى آمريتهم و زعامتهم للحكومه الإسلاميه، كما فهمنا من روايه بريد العجلى عن الإمام الباقر عليه السلام بأنّ الأُمّه إذا أقرّت بمثل هذه الزعامه للأئمه، كانت حصيله هذه الزعامه بلاد واسعه و مستقلّه و حرّه قائمه على أساس العدل و القسط، و قد ذكّر الإمام بأنّ شرط الحكومه الإسلاميه العالميه و الملك العظيم إنّما يكمن فى زعامه الأئمّه الأطهار و حاكميتهم المطلقه. كما ذكرنا بأنّ مفاد حديث الثقلين هو نفس مفاد آيه الطاعه، أى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد جعل القرآن و العتره الركيزتين الأساسيتين لقيام الحكومه الإسلاميه. و بناءً على ما تقدّم فليست هناك من حاجه لأن نستعرض سائر الروايات لإثبات ما ذا تعنى ولايه الأمر؟ و من هُم ولاه الأمر؟ و ما هى وظيفه ولاه الأمر؟ إلّا أنّنا نذكّر بقضيه مهمّه أشرنا إليها سابقاً، و هى أنّ شخصيه الإمام ليست شخصيه علميه شارحه و مفسّره لأحكام القرآن الكريم و السنّه فحسب، بل

الإمامه مساویه للنبوّه و من المناصب الإلهیّه، أی أنّ اللّه سبحانه قد جعل صفوه من الناس بعد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله أئمّه الدین و جعل لهم الحکومه التی یصرفون شئونها بالاستفاده من علومهم التی ورثوها عن النبی صلی الله علیه و آله و لم یجعل اللّه الزعامه و الإمامه الإسلامیه إلّا إلی الصفوه التی اتّصفت بالزهد و البصیره و العصمه و الشجاعه و المروءه و التضحیه، العالمه بأوضاع الأُمّه و التی لیس لعلمها حدود بالحوادث الواقعه، لیبقی الدین خالداً أبدیاً و الأُمّه قویّه مستقله سعیده فی دینها و دنیاها، کما أنّ بقاء دین الحقّ و شعور المسلمین بالحیاه الحرّه الکریمه و الاستقلال من شأنه أن یفجّر طاقاتها و یجعلها تعیش الحیاه الهانئه و تسعی لنیل الحیاه الأُخرویّه.

الإمام فی رساله سیّد الشهداء علیه السلام

أشار الإمام الحسین علیه السلام إلی مقام الإمام فی رسالته التی بعثها ردّاً علی رسائل أهل الکوفه الذین کتبوا إلیه مطالبین بزعامته و تشکیل الحکومه الإسلامیّه تحت لوائه فقال علیه السلام: «فلعمری ما الإمام إلّا الحاکم بالکتاب، القائم بالقسط، الدائن بدین الحقّ، الحابس نفسه علی ذات اللّه و السلام»(۱)، فالرساله تشیر إلی لحاظین مهمّین بالنسبه للإمام: اللحاظ الأوّل: ما هو مقام الإمام فی الأُمّه؟ فالإمام لیس ذلک الفرد الذی یقبع فی زاویه و ینأی بنفسه بعیداً عن التدخّل فی شئون الأُمّه و تحقیق مصالح عامّه الناس، بل لا بدّ أن یکون الإمام هو الآخذ بزمام الامور و علی رأس الحکومه، و هو حاکمها المطلق الذی یسعی لاستیفاء حقوق الضُّعفاء من الأقویاء.

۱- الإرشاد لأبی عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان العکبری البغدادی، المعروف بالشیخ المفید(م ۴۱۳). تحقیق مؤسسه آل البیت لتحقیق التراث، مجلّدان. نشر و طباعه دار المفید ج ۲ ص ۳۹.

اللحـاظ الثـانى: إنّ وظيفه الإمـام فى هـذه الحكومه هى العمل بالقرآن و تطبيق أحكامه و تعاليمه، فالقرآن لم ينزل لتقتصـر الأُمّه على تلاوته، و تحتكم فى عملها و وظائفها للقوانين الوضعيه التى يبتدعها بعض الأفراد بما لديهم من أفكار و آراء؛ الأفراد الذين لاـ يسـعهم النظر إلى أبعـد من الواقع الـذى يعيشون فيه و يفتقرون للإحاطه التامّه بجميع المصالـح و المفاسـد، فالمجتمع فى ظلّ حكومه هؤلاء الأفراد يعيش فى دوامه من القلق و الاضـطراب و الفساد و الانحراف، فهى حكومه الأهواء و الشـهوات التى تحرق الأخضـر و اليـابس من قيم الأُـمّه. أجـل لا بـدّ أن يكون القرآن هو المنهـج الـذى تسـتمدّ منه القوانين فى الـدوله الإسـلاميّه التى يتزعّمهـا الإمام، فتكون وظيفته الانتصار للمظلوم و بسط القسط و العـدل، بحيث لا يطمع القوى فى حيفه و لا ييأس الضـعيف من عدله، و لا ينبغى أن ينحرف الإمام قيد أنمله فى إجرائه للقوانين الإسلاميه التى تضمن العدل و تزيل الظلم و الجور، و أن يحبس نفسه للّه و لا يرى سوى رضاه. و بناءً على هذا لا ينبغى لأىّ عنصـر سوى الحقّ أن يؤثّر على الإمام فى بسطه للعدل و القسط، من قبيل النسب و الحصول على الجاه، و القبليه و القوميه، و ما إلى ذلک، و إلّا فهو أسـير بيـد الشـيطان، و ليس لمثل هذا الفرد أهليه زعامه الإسـلام و المسـلمين. هـذه هى وظائف الإمام، و لـذلک قال أمير المؤمنين على عليه السـلام حين ولى أمر الخلافه: «ليس أمرى و أمركم واحداً، إنّى اريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسـكم، أيّها الناس أعينونى على أنفسكم، و أيم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظـالمه و لأقودنّ الظالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ»(۱). فأمير المؤمنين إنّما يحكم من أجل اللّه، و حكومته إجراء العـدل و الانتصار

۱- نهج البلاغه/ لمحمّد عبده: ص ۳۰۶.

للمظلوم من الظالم، لا يرى سوى اللّه و ليس للهوى من سبيل إليه. و بناءً على ذلک فمن وجهه نظر أمير المؤمنين و ولده السعيد الحسين الشهيد عليهما السلام أنّ الإمام هو ذلک الشخص الذى يهيّئ نفسه لقياده المسلمين و زعامتهم، و أنّ الإمام هو الشخص الـذى يتربّع على كرسى الحكم و يكوّن حكومه اجتماعيه فعّاله تستهدف تجسيد العداله و الوقوف إلى جنب المظلوم، و تطبّق القرآن الكريم فى المجالات المختلفه للحياه. و الإمام فى تطبيقه لهـذه البرامج يكون شخصيّه إنسانيّه متساميه، لا يفكّر بغير اللّه تعالى، و لا مجال للأهواء و الشهوات فى إداره تلک الحكومه، و لا يحكم إلّا من أجل رضا اللّه تعالى. و إذا لم يتّخذ القرآن الكريم برنامجاً لعمله، لا لأجل تثبيت سلطته الشخصيه، التى تجد طريقها إلى قلوب الناس من خلال إشاعه العدل و التوحيد، و من خلال هذا الطريق يحاول أن يثبّت سلطته و يُحكم سيطرته، بل تطبيق العداله لأجل العدل و إصلاح البلاد و إعمار المدن، و إيواء المظلومين و الأخذ بحقّهم، و إحياء آثار النبوّه، و حفظ كتاب اللّه، و أخيراً لإحياء اسم اللّه و دعوتهم إليه سبحانه و إقبالهم على اللّه تعالى بقلوب متيمه بحبّ الذات الأقدس. و لذلک يصف عليه السلام هدفه من الحكومه و زعامه المسلمين: «اللهمّ إنّک تعلم أنّه لم يكن الذى فينا منافسه فى سلطان و لا التماس شى ء من فضول الحطام، و لكن لنردّ المعالم من دينک و نظهر الصلاح فى بلادک، فيأمن المظلومون من عبادک و تقام المعطّله من حدودک»(۱).

۱- نهج البلاغه/ لمحمّد عبده: ص ۳۰۰.

یـا أَیُّهَـا الَّذِیـنَ آمَنُـوا مَـنْ یَرْتَـدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَـوْفَ یَأْتِی اللَّهُ بِقَـوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَی الْمُـؤْمِنِینَ أَعِزَّهٍ عَلَی الْکـافِرِینَ یُجاهِـدُونَ فِی سَبِیـلِ اللَّهِ وَ لاـ یَخـافُونَ لَوْمَهَ لاـئِمٍ ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (سوره المائـده: الآیه ۵۴) إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاـهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ راکِعُونَ (سوره المائـده الآیه: ۵۵). وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (سوره المائده: الآیه ۵۶)

الدليل الثالث من القرآن

اشاره

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ(۱). الولايه للّه و الرسول، ثمّ لعدد من المؤمنين، و كلمه «الذين آمنوا» ذات دائره واسعه، ممّا حدا بالقرآن لقصرها على طائفه خاصّه من المؤمنين فقال: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ. فليس لجميع المؤمنين الولايه على الآخرين، بل الولايه لفئه منهم، فإن قيل بأنّ «الذين آمنوا» لها ظهور في عامّه الأفراد، و هي تشمل كافّه المؤمنين على نحو القضيه الحقيقيه، و لا تُشير على نحو القضيّه الخارجيّه إلى طائفه معينه، نقول: ليس لهذا الكلام من معنى قابل للإدراك و التعقّل؛ لأنّه لا يمكن أن تكون الولايه لجميع المؤمنين على أنفسهم، فولايه الجميع على الجميع لا- تكون سوى الفوضى و الهرج و المرج و انهيار النظام الاجتماعي، في حين وردت الآيه القرآنيه في مقام جعل

۱- سوره المائده: الآيه ۵۵.

منصب الولا-یه، أی کما أنّ الرسول هو ولی الأُمّه الإسلامیه و القائم علی تدبیر شئونها؛ فإنّ لبعض المؤمنین- بنص الآیه- مثل هذا المنصب، و القرائن التی وردت قبل هذه الآیه و بعدها إنّما تؤیِّد صحّه هذا المدّعی. فقد خاطبت الآیه السابقه جمیع المسلمین قائله: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ .... و صرّحت الآیه اللاحقه بنفس المضمون قائله: وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ.

توضیح المُراد:

الادّعاء القائم هو أنّ العباره «و الذین آمنوا»- فی الآیه التی نحن بصدد بحثها- مقتصره علی جماعه معیّنه من المؤمنین، فولایه المسلمین بعد رسول اللَّه لهذه الجماعه، و الشاهد علی صحّه و تمامیّه ذلک الآیه التی سبقت: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا و الآیه اللاحقه وَ مَنْ یَتَوَلَ، فالآیه الشریفه خطاب لکافّه المسلمین، فالمراد بالضمیر المتّصل فی جمله إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ هؤلاء المسلمون، و المعنی: «أیّها المسلمون إنّما ولیکم اللَّه و رسوله و بعض من المؤمنین». أمّا إذا قلنا إنّما ولیّکم اللَّه و رسوله و أنتم المسلمون جمیعاً، فإنّ هذا المعنی لیس بمعقول، فإنّه لا- یمکن أن یکون للمسلمین جمیعاً الولا-یه علی أنفسهم، أ فلیس مثل هذا الجعل للحکم و المنصب لغواً؟ أو لا یوجب مثل هذا الأمر تصدّع و انهیار النظام الاجتماعی؟!. أمّا الآیه اللاحقه وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ ... أی أنّ کلّ من امتثل حکومه و ولایه هؤلاء الأفراد بعد اللَّه و رسوله، فإنّ ذلک سیؤدّی إلی ظهور مجتمع قوی مقتدر و حزب یعرف باسم حزب اللَّه و ستکون له الغلبه علی الدوام.

بنـاءً على هـذا فإنّ هناك طائفه تقرّ بهـذه الولايه «و من يتولّ اللَّه ...» و هناك طائفه يجب أن تكون هى المتولّيه للأُمور، و عليه: فعباره «و من يتولّ اللَّه» إنّما تعيّن وظيفه المسلمين فى الانقياد للجماعه ذات الولايه، و العباره «و الذين آمنوا» تعيّن ولاه المسلمين «إنّما وليكم اللَّه و رسوله و الذين آمنوا». و بناءً على ما ذكر فإنّ العباره «و الذين آمنوا» حصرت ولاه الإسلام فى جماعه خاصّه و طبقه معيّنه محـدوده، إضـافه إلى مـا ذكرنـا من أنّ الآـيه الكريمه وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ ... قـد حثّت المؤمنين على الانضواء تحت ولايه تلك الجماعه المعيّنه و تشـكيل حزب هو حزب اللَّه الذى يتمتّع المسـلمون فى ظلّه بالقوّه و المنعه بحيث لن تنالهم الهزيمه أبداً. فالذى نسـتفيده من الآيات الثلاث:- ١- تحـذير الأُـمّه من التراجع و النكوص عن دينها و خسارتها للمقام الـذى حباها اللَّه تعالى به، و تذكيرها بعناصر القوّه من جهه أُخرى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِی اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ .... ٢- أنّ الأُـمّه الإسـلاميّه محتـاجه إلى مَن يقودهـا، و ولىّ الأـمر و القيّم على أُمورهـا هـو اللَّه و النـبى ثمّ طـائفه من المـؤمنين. ٣- الاستجابه لهذه الولايه ستؤدّى- قهراً- إلى ظهور حزب قوى يتكفّل بغلبه الأُمّه على أعدائها و عدم الفشل و الهزيمه.

قضيه مهمّه:

كان بحثنا السابق يدور حول ظاهر الآيه الشـريفه. أمّا إذا أردنا أن نخوض فى سبب النزول فإنّ المُسلّم به هو أنّ الآيه المُباركه قد نزلت بشأن أمير المؤمنين على عليه السـلام. فقد ذكر أبو ذر الغفارى: أنّ رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله صـلّى الظهر بالمسلمين، فدخل فقير المسجد و سأل فلم يجبه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء و قال: اللّهمّ اشهد

إنّی سألت فی مسجد نبیّک فلم یعطینی أحد شیئاً، و کان علی علیه السلام راکعاً، فأشار إلی السائل بیده فانتزع خاتمه، فلمّا رأی ذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله و فرغ من الصلاه قال:

اللّهمّ إنّی أسألک ما سألک موسی علیه السلام فی أخیه هارون فاستجبت له، اللّهمّ اجعل علیّاً علیه السلام خلیفتی، اشدد به أزری و أشرکه فی أمری. قال أبو ذر: فو الله ما أتمّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله دعاءه حتی نزل علیه جبرائیل بالآیه إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ ...(۱). هذه واحده من عشرات الروایات التی أشارت صراحه إلی مصداق قوله.

الَّذِینَ آمَنُوا و لا نری حاجه للخوض فی الروایات التی وردت فی سبب النزول؛ لأنّها صرّحت علی سبیل القطع بأنّها نزلت فی علی علیه السلام، علماً أنّ منهج الکتاب إنّما یستند إلی القرآن لا الروایات. أمّا الحدیث، فقد أکّد أنّ «و الذین آمنوا» إنّما هم عدّه خاصه، و لیس للجمیع النهوض بهذه الوظیفه الخطیره المتمثّله بالزعامه، و لا ینبغی التصدّی لها إلّا من قِبل أولئک الذین لهم صلاحیه و أهلیه التصدّی، و أفضل نموذج للتصدّی لها هو علی علیه السلام. إذن فالقرآن الکریم فی هذه الآیه المُبارکه قد عیّن أئمّه المسلمین، کما أشار إلی زعامه علی بن أبی طالب علیه السلام، و لا یقتصر هذا الکلام علی عُلماء الشیعه و کبار المحدّثین، بل ذهب مفسّرو العامّه إلی أنّ هذه الآیه قد نزلت فی علی علیه السلام. فقد شحن تفسیر ابن کثیر بعدّه روایات عن عتبه بن أبی حکیم، و عن سلمه بن کهیل. و کذلک عن مجاهد و ابن عباس بعدّه طرق، و عن السدّی أنّ الآیه قد وردت بحقّ علی علیه السلام(۲)، و من أراد المزید فلیراجع ما سطّرته العامّه من کتب بهذا الشأن. و بناءً علی ما سبق فإنّ الآیه الَّذِینَ آمَنُوا قد أشارت إلی موقع بعض

۱- مجمع البیان ۳: ۳۴۶- ۳۴۷.

۲- تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ۲: ۷۱.

المسلمين الذين لهم كفاءه التصدّی لُامور المسلمين، و هذا ما عليه عُلماء الشيعه و السنّه فی أنّ الآيه نزلت بشأن علی عليه السلام و زعامته. و حيث لا يعقل نهوض جميع المسلمين بمنصب الزعامه و الإمامه، و كان من القطع أن تكون آيه الَّذِينَ آمَنُوا محصوره فی بعض الأفراد الأكفّاء، و تری الشيعه بأنّ علی عليه السلام من هؤلاء الأفراد، كما تری العامّه أنّ المُراد بالآيه هو مولی المتّقين علی عليه السلام، كان لا بدّ من القول علی ضوء اعتراف الفريقين و بالاستناد إلی عدم معقوليه كون المُراد بالآيه الَّذِينَ آمَنُوا عموم المسلمين، أنّ القرآن الكريم قد صرّح فی هذه الآيه بإمامه المسلمين و قلّدها ربيب النبوّه علی بن أبی طالب عليه السلام.

إشاره إجماليه إلی بعض الروايات الوارده فی تفسير الآيات الدالّه علی الإمامه

يسرّنا هنا أن نتناول بالبحث بعض الروايات لنستمع من خلالها إلی ما صرّح به نفس الأئمّه عليهم السلام بشأن ما أوردناه سابقاً من زعامتهم و إمامتهم: ۱) وردت فی كتاب وسائل الشيعه روايه عن الصدوق بسند معتبر عن المعلّی ابن خنيس، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: قول اللّه عزّ و جل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ(۱) فقال: «عدل الإمام أن يدفع ما عنده إلی الإمام الذی بعده، و امرت الأئمّه أن يحكموا بالعدل، و امر الناس أن يتّبعوهم»(۲). ۲) كما وردت روايه عن الكلينی: محمّد بن يعقوب عن عدّه من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسی، عن أبی عبد اللّه المؤمن، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبی

۱- سوره النساء: الآيه ۵۸.

۲- الفقيه ۳: ۲ ح ۲، و عنه وسائل الشيعه ۲۷: ۱۴، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضی ب ۱ ح ۳۳۰۸۴.

عبد اللّه علیه السلام قال: «اتّقوا الحکومه؛ فإنّ الحکومه إنّما هی للإمام العالم بالقضاء العادل فی المسلمین لنبیّ أو وصیّ نبیّ»(۱). ۳) و روی العیاشی أنّ سعد قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن الآیه الشریفه:

لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها(۲) فقال: «آل محمّد صلی الله علیه و آله أبواب اللّه و سبیله و الدعاه إلی الجنّه و القاده إلیها و الأدلّاء علیها إلی یوم القیامه»(۳). ۴) نقل حمزه بن الطیّار أنّه عرض علی أبی عبد اللّه علیه السلام بعض خطب أبیه حتّی إذا بلغ موضعاً منها قال له: «کفّ و اسکت، ثمّ قال أبو عبد اللّه علیه السلام: إنّه لا یسعکم فیما ینزل بکم ممّا لا تعلمون إلّا الکفّ عنه و التثبت و الردّ إلی أئمّه الهدی حتّی یحملوکم فیه علی القصد و یجلوا عنکم فیه العمی، و یعرّفوکم فیه الحقّ. قال اللّه تعالی:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(۴)»(۵). ۵) و نورد هنا بعض ما أوصی به أمیر المؤمنین علی علیه السلام لکمیل: «یا کُمیل لا تأخذ إلّا عنّا تکن منّا ... یا کُمیل هی نبوّه و رساله و إمامه، و لیس بعد ذلک إلّا موالین متّبعین أو عامِهین مبتدعین، إنّما یتقبّل اللّه من المتّقین»(۶). ۶) الحدیث المتواتر و المتّفق علیه من العامّه و الخاصّه و المعروف بحدیث الثقلین الذی لم ینکره أحد، و أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله قاله علی سبیل الیقین، فقد عیّن رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی هذا الحدیث وظیفه المُسلمین إلی یوم القیامه، معتبراً فیه القرآن

۱- الکافی ۷: ۴۰۶ باب أنّ الحکومه إنّما هی للإمام ح ۱.

۲- سوره البقره: الآیه ۱۸۹.

۳- تفسیر العیّاشی ۱: ۸۶ ح ۲۱۰، و عنه بحار الأنوار ۲: ۱۰۴.

۴- سوره النحل: الآیه ۴۳ و سوره الأنبیاء: الآیه ۷.

۵- الکافی ۱: ۵۰ باب النوادر ح ۱۰.

۶- تحف العقول: ۱۷۱ و ۱۷۵.

و العتره الثقلين الذين لن تضلّ الامّه إذا ما تمسّكت بهما إلى يوم القيامه، فقال صلى الله عليه و آله:

«إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللّه، و عترتى أهل بيتى و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض»(۱). ۷) هناك روايه صحيحه أو حسنه فى كتاب الوسائل عن محمّد بن يعقوب، عن على بن إبراهيم، عن أبيه و عن عبد اللّه بن الصلت جميعاً، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز بن عبد اللّه، عن زراره، عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث فى دعائم الإسلام، قال: «أما لو أنّ رجلًا قام ليله، و صام نهاره، و تصدّق بجميع ماله، و حجّ جميع دهره، و لم يعرف ولايه ولى اللّه فيواليه، و يكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على اللّه حقّ فى ثوابه و لا كان من أهل الإيمان»(۲). فالذى يتّضح من هذا الحديث أنّ الإتيان بالتكاليف و الوظائف الإسلاميّه لا بدّ أن يكون من خلال إرشادات و ولايه الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فهم زُعماء الدين وقاده المُسلمين، و لا بدّ من تفويض الأعمال إليهم بهدف حفظ النظام الاجتماعى و منع الفوضى و الهرج و المرج. ۸) ورد فى الكتاب المذكور عن محمّد بن يعقوب، عن عدّه من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبى بصير يعنى المرادى، عن أبى عبد اللّه عليه السلام- فى قول اللّه عزّ و جل: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ(۳)- «فرسول اللّه صلى الله عليه و آله الذكر، و أهل بيته المسئولون و هم أهل الذكر»(۴).

۱- كفايه الأثر: ۸۷؛ مختصر بصائر الدرجات: ۲۱۳ ح ۲۵۴؛ المراجعات: ۲۷۹.

۲- وسائل الشيعه ۱: ۱۱۹ ح ۲۹۸ نقلًا عن الكافى ۲: ۱۹ ح ۵.

۳- سوره الزخرف: الآيه ۴۴.

۴- وسائل الشيعه ۲۷: ۶۲ ح ۳۳۲۰۳.

دراسه ضروریّه

استفاضت لدینا الروایات- کهاتین الروایتین- التی صرّح فیها الأئمّه علیهم السلام قائلین: نحن أهل الذکر و حمله القرآن، و علی الأُمّه أن تأخذ بهدینا فی عملها بالقرآن، فهذه الروایات تفوّض المسئولیه للأئمه علیهم السلام، و علیه: فلا بدّ أن یُناط حلّ المشاکل و إرشاد الأُمّه و الأخذ بیدها- مع الأخذ بنظر الاعتبار تفسیر الأئمّه علیهم السلام للآیه الکریمه- بزعماء الدین. أمّا ما ورد فی الآیه الشریفه وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ فإنّه یدعونا إلی التأمّل فی سوره الزخرف حیث تقول: فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَیْکَ إِنَّکَ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ* وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ(۱)، فقد قال الإمام الباقر و الصادق علیهما السلام: نحن قوم النبی صلی الله علیه و آله. فالآیه تصرّح بأنّ الصراط المستقیم هو القرآن، و قد قلّدک القرآن- و الأئمّه من بعدک- مسئولیه خطیره، کما أفاض علیکم هذا الکتاب علماً و إدراکاً لیس لکم أن تنهضوا بعبئه و مسئولیته. أ فلا نفهم من هذه الآیه و بضمیمه الروایه أنّ المسئولیه التی کلّف بها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قد کلّف بها الأئمّه الأطهار علیهم السلام أیضاً؟ أو لیست هذه الآیه فی مقام نصب الأئمّه کهداه للُامّه الإسلامیه علی غرار النبی الأکرم صلی الله علیه و آله؟ بلی، الآیه الکریمه علی ضوء تفسیر الإمام قد جعلت الأئمّه کرسول اللَّه صلی الله علیه و آله هداه أدلّاء علی الطریق، و أنّ الصراط الذی یسلکونه هو الصراط الذی أوحاه لهم القرآن الکریم، و أنّ هذه الهدایه وظیفه خطیره و مسئولیه عظیمه بحیث إنّهم یُسألون عنها یوم القیامه: «و سوف یُسألون».

۱- سوره الزخرف: الآیتان ۴۳- ۴۴.

إذن فهم الأئمّه و الزُعماء إلی یوم القیامه، و علیهم أن ینهضوا بهذه المهمّه و لا یتوانوا فی أدائها، و ذلک أنّهم مسئولون عنها یوم القیامه. و بناءً علی ما تقدّم فالذی نستفیده من الآیه الکریمه و روایه التفسیر:- ۱- أنّ الأئمّه علیهم السلام کالنبی صلی الله علیه و آله هم هُداه و أدلّاء علی الطریق. ۲- أنّهم إنّما یستندون إلی الآیات القرآنیه فی هذه الهدایه. ۳- أنّ وظیفه الأئمّه کوظیفه النبی بالتمسّک بالقرآن من أجل الهدایه. ۴- أنّ هذه الوظیفه- أی هدایه الأُمّه بالقرآن- هی وظیفه أبدیّه إلی یوم القیامه. ۵- أنّ مسئولیّه الأئمّه کالنبی فی القیام بهذه الوظیفه، فهی مسئولیه کبیره و لیس لهم أن یقصّروا فی أدائها. ۶- الأئمّه کرسول اللَّه صلی الله علیه و آله سیسألون یوم القیامه عن القیام بهذه الرساله الخطیره. ۷- للأئمه کما لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله إحاطه تامّه بالقرآن و أسراره؛ لأنّه ذکر لهم کما هو ذکر لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله: وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ. و علیه: فإنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم زُعماء مسئولون، و أنّ القرآن قد حباهم بشرائط الإمامه و ألهمهم الإحاطه بامور المسلمین، و علیهم أن یقوموا بوظیفتهم بإمامه کافّه شئون المسلمین و حلّ مشاکلهم و تلبیه متطلّباتهم، و أن یأخذوا بأیدیهم من خلال التمسّک بالقرآن إلی شاطئ الأمان و السعاده و الفلاح. ملاحظه: لقد تواترت الروایات التی تجاوزت حدّ الاستفاضه فی تفسیر هذه الآیه، و من أراد المزید من أجل الوقوف علی صحّه هذا الادّعاء فلیراجع الأخبار الوارده بهذا الشأن. ۸- ورد فی الکتاب المذکور و الباب المذکور عن الصدوق فی کتاب الأمالی و عیون الأخبار، عن علی بن الحسین بن شاذویه، و جعفر بن محمّد بن مسرور

جمیعاً، عن محمّد بن عبد اللّه بن جعفر الحمیری، عن أبیه، عن الریّان بن الصلت، عن الرضا علیه السلام- فی حدیث- أنّه قال للعلماء فی مجلس المأمون: أخبرونی عن معنی هذه الآیه: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا(۱)، فقالت العلماء: أراد اللَّه بذلک الامّه کلّها، فقال الرضا علیه السلام: «بل أراد اللَّه- عزّ و جلّ- العتره الطاهره»(۲).

بحث مختصر:

الاصطفاء: علی وزن الافتعال و أصله من الصفو، و الصفو یعنی الخالص، و علیه: فإنّ الاصطفاء یعنی الانتخاب الخالص، و المصطفی یعنی المنتخب الخالص «صفوه الشی ء: خالصه». عباد جمع عبد، و العبد هنا بمعنی العابد، لا بمعنی المملوک؛ لأنّ جمع العبد بمعنی المملوک هو عبید. قال الراغب الأصفهانی فی المفردات: «و جمع العبد الذی هو مسترقّ عبید، و جمع العبد الذی هو عابد عباد». و یؤیّد القرآن الکریم قول الراغب، فقد نعتت جمیع الآیات القرآنیه التی تحدّثت عن الکُفّار الذین اتّبعوا هوی أنفسهم و الأوثان بالعبید، بینما أطلقت لفظ «العباد» علی من عبد اللّه سبحانه، و لم تستعمل لفظه «العباد» فی مقابل «الإماء» إلّا فی آیه واحده هی وَ أَنْکِحُوا الْأَیامی مِنْکُمْ وَ الصَّالِحِینَ مِنْ عِبادِکُمْ وَ إِمائِکُمْ(۳)، و لا یبعد هنا أن تکون لفظه «العباد» قد جاءت من أجل التشاکل اللفظی.

۱- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

۲- وسائل الشیعه ۲۷: ۷۲، کتاب القضاء، أبواب صفات القاضی ب ۷ ح ۳۳۲۳۳ عن أمالی الصدوق: ۶۱۵ ح ۸۴۳ و عیون أخبار الرضا علیه السلام ۱: ۲۲۸ ب ۲۳ ح ۱.

۳- سوره النور: الآیه ۳۲.

و یؤیّد ذلک ما ورد فی النصوص الفقهیّه و آثار الأئمّه علیهم السلام، حیث وردت کلمه «العبید و الإماء» حیثما کان الکلام عن العبد المملوک. علی کلّ حال فإنّ العباد فی الآیه الشریفه هی جمع عابد. فقد ردّ الإمام الرضا علیه السلام علی العُلماء الذین قالوا: إنّ المراد بالآیه الشریفه الأُمّه کلّها، بأنّ اللَّه أراد بها العتره الطاهره، فاحتجّ علیه السلام بالآیه الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا حیث المصطفی من العباد غیر جمیع العباد، فهو أضیق دائره، و لمّا کان المصطفی یعنی المنتخب الخالص، فإنّهم من العباد المخلصین و الموحّدین، و لذلک لا بدّ أن یکون هؤلاء الأفراد مصطَفین تامّی الإخلاص فی عباده الحقّ. و بعباره أوضح: أنّ مُراد الآیه: أخلص الناس فی عباده الحقّ من بین عباد اللَّه الموحّدین، و لیس هناک بین الناس أخلص فی عباده اللَّه تعالی- بعد النبیّ صلی الله علیه و آله- غیر الأئمّه علیهم السلام. و لذلک قال علیه السلام: لیس المراد بالعباد- هنا بقرینه الاصطفاء- سوی العتره الطاهره، فالقرآن یقول: لیس لکلّ فرد وراثه القرآن، و إنّ وراثته مختصّه بمن اصطفینا من العباد، و قال الرضا علیه السلام: نحن ورثه القرآن، فالأئمّه هم ورثه الکتاب، و لمّا کان الانتقال مُعتبر فی مفهوم «الإرث» یتبیّن أنّ ما أفاض القرآن علی النبی صلی الله علیه و آله إنّما ینتقل إلی الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و نحن نعلم أنّ القرآن إنّما أفاض علی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله العلم و الحکمه و الإمامه و الولایه و المسئولیه و أمثال ذلک، و علیه:

فالأئمّه إنّما یرثون هذه الأمور عن النبی صلی الله علیه و آله. فکما أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عالم بدقائق القرآن و أسراره، فالأئمه علیهم السلام عالمون بها بالوراثه، و کما أنّ النبی یدرک بالوحی بطون القرآن، فإنّ للأئمّه مثل هذا الإدراک و الإحاطه بالوراثه. و أخیراً فکما أناط القرآن بالنبی صلی الله علیه و آله وظیفه الزعامه و تفسیر الأحکام و بیان التعالیم و إمامه الأُمّه الإسلامیه فإنّ الأئمّه علیهم السلام قد ورثوا عنه هذه الوظائف، و لذلک

لمّا کان یوم الدار- أوائل بعثه النبی الأکرم صلی الله علیه و آله- جعل النبی صلی الله علیه و آله علیاً علیه السلام خلیفته و نصبه إماماً، فقال: «هذا أخی و وارثی و وزیری و خلیفتی فیکم بعدی»(۱) و قد صرّحت بعض الروایات بأنّ علیّاً علیه السلام قال: «یا رسول اللّه و ما أَرِثُک؟»، قال: «ما ورثت الأنبیاء قبلی: کتاب اللّه و سنّتی»(۲).

خلاصه ما مرّ:

إنّ الإسلام لیس دین الاعتزال و الرهبه، بل دین یشتمل علی برامج و تعالیم من شأنها تنظیم حیاه البشریه و ضمان المعیشه الهنیئه التی یسودها العدل و الإنصاف و المساواه و الإخاء و التساوی فی الحقوق الاجتماعیه المقرّره لکلّ طبقه بما یصونها عن السلب و النهب، و إنّ هناک حاجه ماسّه فی هذا الدین لتدوین دستوره المتین الذی یقف حائلًا أمام الظلمه، فلا یدعهم یمدّون أیدیهم لیعتدوا علی حقوق الأُمّه، کما یتکفّل بحفظ الشخصیه الإنسانیه لکلّ فرد فی المجتمع من سطوات الجبابره و عداوتهم، و تتحقق فی ظلّه العداله الاجتماعیه و التمتّع بالحقوق الفردیه و الجماعیه و ارتفاع المستوی العلمی و الثقافی للناس و نیلهم السعاده الدنیویه التی تؤهّلهم لنیل الخلود و استثمار الإیمان الذی یدعو إلی کسب الفضائل الأخلاقیه و المعنویه، و ممّا لا شکّ فیه أنّ القرآن الکریم هو دستور الإسلام الذی تکفّل بتحقیق هذه الأهداف: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ(۳). إلّا أنّ هذا القرآن قد تعرّض لشئونُ حیاه الأُمّه من خلال آیاته الشریفه، و لا تتفق هذه الآیات بأجمعها فی کیفیّه شرحها لمفردات الحیاه التی تعیشها الأُمّه،

۱- علل الشرائع ۱: ۱۷۰، ب ۱۳۳ ح ۲، و عنه بحار الأنوار ۱۸: ۱۷۸ ح ۷.

۲- تفسیر فرات الکوفی: ۲۲۷ ح ۳۰۴، بحار الأنوار ۳۸: ۳۴۶ ح ۲۱، تفسیر المیزان ۸: ۱۱۷.

۳- سوره الإسراء: الآیه ۹.

فهناك بعض الآيات القرآنيه التى وردت بصيغه الرمز و الإشاره و الكنايه، بل وردت مُبهمه متشابهه بحيث قد تكون أحياناً أقرب إلى خلاف المراد فى دلالتها اللفظيه، و هذا ما أشارت إليه الآيه: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ(۱). فالقرآن شأنه شأن سائر القوانين، حيث وردت بعض نصوصه مجمله، و واضح أنّ المجمل يحتاج إلى ما يُفسّره و يوضّحه. و القرآن كسائر القوانين، قد يصدر أحكامه على نحو العموم ثمّ يخصّصها بينما يصدرها على نحو الإطلاق لكنّها تتضمّن التقييد. فأحكامه على أنواع من قبيل العام و الخاص و المطلق و المقيّد و .... و القرآن يتطرّق أحياناً إلى قصص الامم الماضيه من أجل تحقيق بعض الأهداف الكُبرى و إثبات دعوى النبوّه، فيورد حقبه تأريخيه عميقه فى جمله قصيره مقتضبه، بالشكل الذى يتطلّب الوقوف على تلك الحقائق إلى مؤرّخ عالم بنشوء الأديان و قصص سالف الامم و متخصّص بلغه القرآن، و القرآن قد يصدر حكماً معيناً لمده استناداً للمقتضيات السياسيه و المصالح الإسلاميه العليا ثمّ ينسخه بحكم حقيقى آخر لا بدّ من مراعاته و تطبيقه، و القرآن قد عيّن المقنن و المنفذ من أجل بسط العدل و القسط و تحقق الوحده و التضامن و المجتمع الإسلامى، ليتسنى للُامّه أن تقيم الحكومه العادله فى ظل ولايه و زعامه هؤلاء الأفراد. و أخيراً فإنّ بعض الآيات القرآنيه تحمل رساله دعوى الناس إلى الصراط المُستقيم الذى يؤدّى إلى السعاده الأبديّه و الجنّه الخالده، إلى جانب كسب الفضائل الإنسانيه و بلوغ السموّ و الكمال.

۱- سوره آل عمران: الآيه ۷.

إذن فدستور الإسلام هو القرآن، و إنّ الحياه الحره الكريمه المقرونه بالرفاه و السعاده فى القرآن. و القرآن طائفه من الآيات التى تشكّل موادها أساس النظام الداخلى للحياه، غير أنّنا رأينا أنّ آياته قد تكون مجمله و أحياناً مُتشابهه كما قد تكون أحياناً أُخرى مُطلقه أو مقيّده و ناسخه أو منسوخه، كما فهمنا أنّ القرآن هو دعامه حكومه العدل و القسط بالنسبه للُامّه الإسلاميه، و عليه شئنا أم أبينا؛ فإنّ القرآن يتطلّب استاذاً ماهراً و دليلًا عليماً ليوضّح مجمله و يحلّ معضله و يبيّن مطلقه من مقيّده و يفسّر متشابهه، و أن يكشف النّقاب عن قصص الامم السابقه بما يخرجها عن حاله الإجمال التى أوردها القرآن، و بالتالى عليه أن يميط اللثام عن أسراره و يميّز ناسخه من منسوخه، ليجعل الأُمّه تقف بما لا يقبل الشكّ على مفردات دستور الإسلام من أجل تشكيل الحكومه الإسلاميه، ليتمكن المسلمون فى ظل حكومه العدل القرآنى من العيش بأمن و سلام فى حياتهم الدنيويّه، بالشكل الذى يمهّد السبيل أمامهم لنيل سعاده الآخره. و بناءً على ما تقدّم فإنّ إدراك جميع حقائق القرآن- بغضّ النظر عن آياته الصريحه أو الظاهره- بحاجه إلى معلّم و دليل، و كذلك الحكومه الإسلاميه المستنده للقرآن بحاجه إلى إمام و ولى أمر. فالذى نخلص إليه هو أنّ القرآن محتاج إلى مرشد، و المسلمون أيضاً محتاجون إلى الإمام، و هنا لا بدّ أن نسأل: من هو المرشد إلى القرآن و إمام الإسلام؟ لقد دلّت الآيات و الروايات التى أوردناها فى هذا الفصل أنّ المرشد الأبدى و الإمام الواقعى للمسلمين بعد النبى صلى الله عليه و آله و فى ظلّ تعاليمه هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام كما صرّحت الأخبار بأنّ الزعامه قد فوّضت إليهم إلى يوم القيامه(۱)، و عليه فلن يسع

۱- الكافى ۱: ۲۶۵- ۲۶۸.

المسلمون قطّ أن يشكّلوا الحكومه العادله و المدينه الفاضله دون هؤلاء الهداه الذين لهم ولايه الأمر. فإن قال قائل: لسنا بحاجه لهذه المدينه الفاضله الإنسانيه، كما لا نريد الحكومه القائمه على أساس القرآن، فالبشريه قد شكّلت الحكومه على أساس قدراتها العلميه و العقليه و التى حقّقت لها السعاده. فإنّا نقول: لا بدّ- على ضوء هذا القول- من غضّ الطرف عن القرآن و اعتبار الإسلام دين العزله و الرهبنه، فى حين لا بدّ لمن يؤمن بالقرآن و الإسلام أن يذعن بأنّ القرآن و الإسلام من شأنهما فقط إداره شئون الحياه الإنسانيه، و أن يقرّ أيضاً أن ليس هنالك من زعامه للحكومه الإسلاميه و هدايه بالقرآن و إحاطه بحقائقه و معارفه سوى للأئمه الأطهار عليهم السلام، و لا يمكن للقرآن- بما أوردناه من خصائص- أن يكون هادياً للبشريه دون أولئك الهُداه الذين يهدون بأمر اللّه، كما لا يمكن القول بأنّ الحكومه العادله مطلوبه، لكن دون الحاجه إلى زعماء الدين و مجسّدى أحكام و قوانين القرآن؛ لأنّ الأخبار و الآيات دلّت على أنّ أئمّه الدين و هُداه المسلمين هم تلامذه الرساله و ربيبى مدرسه النبوّه الأئمّه الأطهار عليهم السلام. إذن، فلا يمكن ألّا يكون هؤلاء ممن توفّرت فيهم شرائط الهدايه بالقرآن و امامه الأُمّه الإسلاميه إلى يوم القيامه، و بناءً عليه فلا بدّ أن يكونوا محيطين بجميع رموز القرآن و أسراره، عارفين بمحكمه و مُتشابهه و مطلقه و مقيّده، عالمين بجميع الحوادث التى تواجه المسلمين؛ و إلّا فأنّى لهم أن ينأوا بالمجتمع بعيداً عن آفات تلك الحوادث؟ فهل يسع ربّان السفينه أن يتكفّل بضمان سلامه ركّابها و هو يشقّ عباب البحر دون علم بأمواجه و جزره و مدّه و الحوادث التى يمكن أن تطرأ عليه؟!

خلاصه البحث:

يمكن خلاـصه مـا مرّ منّا خلال البحث فى ما يلى: ۱- لا يستغنى الدين الإسـلامى عن إمام، كما لا يسـتغنى القرآن- الذى يُعتبر دسـتور و قانون المجتمع الإسلامى- عن شارح و مفسّر. ۲- لا يقتصـر الإسلام على كونه سلسله من الصفات الأخلاقيه و المعنويه المكمله للخصائص الإنسانيه الساميه فحسب، بل هو دين ينطوى على تعاليم شامله تستهدف بناء المجتمع الإسـلامى المقتدر فى ظلّ الحكومه الإسـلاميه التى تنشـد تربيه الإنسان الصالح. ۳- تسـتند الحكومه الإسـلاميه إلى اسس القوانين و التعاليم القرآنيه و مبادئ السنّه النبويّه الشريفه. ۴- يتعذّر التعامل مع النصوص القانونيه القرآنيه دون توضيحها و شرحها من قِبل ذوى الاختصاص من زعماء الدين. ۵- تفيد الآيات و الأخبار أنّ للأئمّه صلاحيه و أهليه الخوض فى التعاليم و البرامج القرآنيه و توضيحها و سبر أغوارها. ۶- أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم زُعماء الأُمّه الإسلاميه بعد النبى صلى الله عليه و آله، و أنّهم مكلّفون بالنهوض بمسئوليه هذه الزعامه إلى يوم القيامه. ۷- نتيجه هـذه الخلاصه هى أنّ الأئمّه يملكون شرائط الزعامه و الإمامه، و حيث إنّ أحد شروط زعـامه المسلمين إلى يوم القيـامه يتمثّل بالعلم التام و الوقوف على جميع الحوادث و الأخبار الخاصّه، و الإحاطه بأسرار القرآن، و المعرفه بما غاب عن فهم الأُمّه و إدراكها من الامور، كان من اللازم القول بأنّ للإمام علماً و إحاطه تامّه بخفايا القرآن و السنّه، و بخلافه فليس بوسعه أن يكون زعيماً للأُمّه إلى الأبد و مفسّراً للقرآن هادياً به.

وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَ إِسْماعِیلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ (سوره البقره: الآیه ۱۲۷) رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ وَ أَرِنا مَناسِکَنا وَ تُبْ عَلَیْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ (سوره البقره: الآیه ۱۲۸) رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ (سوره البقره: الآیه ۱۲۹)

الدليل الرابع من القرآن

اشاره

لم نتعرّض فی الآیات السابقه إلی جذور الإمامه و لا إلی الصفوه من بنی هاشم التی تتمثّل بشکل واضح بالأئمّه الأطهار علیهم السلام، بل أشرنا إلی أنّ «أُولی الأمر» هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام، کما ذهبنا إلی أنّهم مصداق قهری لهذا العنوان من خلال التأمّل فی آیات القرآن الکریم، و قلنا فی خصوص الآیه «و الذین آمنوا»: إنّها تشیر إلی شکل الزعامه و الإمامه، ثمّ خلصنا إلی أنّ أمیر المؤمنین علی علیه السلام هو مصداق هذه الزعامه، بالاستعانه بالروایات و أسباب النزول، أمّا الآیات التی نعرض لدراستها الآن فهی تتناول أصاله الإمامه و تجذّرها فی القرآن الکریم إلی جانب تأریخ تبلور و نشأه إمامه أئمّه الإسلام منذ زمان إبراهیم الخلیل علیه السلام. أجل، إنّ إبراهیم علیه السلام سأل اللَّه أن یرزقه من ذریّته إماماً یتزعّم شئون الأُمّه الإسلامیه، و ذریّه صالحه تتولّی من بعده زعامه الأُمّه. و بعباره أوضح: فإنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللَّه أن یبعث رسولًا من بنی هاشم، و أن تکون لهذا النبی ذریّه تتولّی هدایه الأُمّه و إمامتها.

إذن، فالآـيه القرآنيه المُباركه قـد خاضت بوضوح فی أصاله الإمامه و ضـخامه ثقلها فی المجتمع، و أشارت بصـراحه إلی صـفوه من بنی هاشم من شأنها زعامه و إمامه الأُمّه الإسـلامیه. یبدو أنّ إثبات هذا الادّعاء یتطلّب مزیداً من الدقّه و التأمّل فی عدّه آیات من سوره البقره وردت بهـذا الشـأن، راجین من القُرّاء الأـعزّاء الالتفـات إلی النقاط التی بحثت سابقاً، لیصـدروا بعـدها أحکامهم المنصفه بهذا الخصوص.

دعوه النبی إبراهیم علیه السلام:

ما الذی أراده إبراهیم و إسـماعیل علیهما السـلام من الحقّ تبارک و تعالی؟ یقول القرآن: إنّ إبراهیم و إسـماعیل علیهما السـلام هما رافعا قواعد بیت اللّه و الکعبه، فقد کان إبراهیم یبنی البیت و کان إسماعیل یساعده فی هذا البناء، بینما کان إبراهیم منهمکاً بالبنـاء- یساعـده فی ذلـک إسـماعیل- سأل اللّه تعالی أن یتقبّل منهما هـذا العمل. إذن فالبنّاء هو إبراهیم، و العامل إسـماعیل، و المقاول هو اللّه جلّ و علا. فالبناء کان یهـدف إلی إنشاء مرکز التوحیـد و العباده و هـذا المرکز هو الکعبه، و یصـرّح القرآن بأنّ لإبراهیم و إسـماعیل خمس دعوات سألاها اللّه سبحانه، و هی: ۱- ربّنا اجعلنا مسلمَین لک. ۲- و من ذرّیتنا أُمّه مسلمه لک. ۳- أرنا مناسکنا و تُب علینا. ۴- و ابعث فیهم رسولًا منک. ۵- یتلو علیهم آیاتک و یعلّمهم الکتاب و الحکمه و یزکّیهم.

الآیات و الالتفاتات:

تطالعنا فی هـذه الآیات عدّه أُمور، منها: ۱) فنّدت الآیه مزاعم الیهود بشأن الکعبه و قبله المسلمین حین کثر اللغط الذی یصرّح بعدم صحّه نبوّه النبی صلی الله علیه و آله فهو یصلّی الصبح صوب بیت المقدس، ثمّ یستقبل الکعبه فی صلاه العصر، و إنّ مثل هـذه الأعمال لا تصدر من عاقل، و إلّا لما غیّر القبله، فقد کان الهدف المهم هو بیان أصاله الکعبه؛ لأنّ إبراهیم هو الذی بناها و رفع قواعدها، و إن کان النبی صلی الله علیه و آله قد استقبل بیت المقدس لمدّه قصیره فإنّما کان ذلک طبقاً لمقتضیات المصالح الإسلامیه العُلیا لا ـ علی أساس عدم العلم و الإحاطه بالمغیبات. ۲- نبیّنا محمّد صلی الله علیه و آله شخصیه أصیله متجذّره تستند رسالته و نبوّته لدعاء إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام، إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام اللذان أعادا بناء مرکز التوحید، و هما عبْدا اللَّه، الذین أخلصا له العبودیّه و الطاعه، فسألاه تبارک و تعالی أن یبعث من ذریّتهما رسولًا ینطلق من قاعده الإخلاص و العبودیه و الطاعه، و علیه فالیهود ینظرون أعمق من غیرهم إلی أصاله محمّد صلی الله علیه و آله. ۳- أنّ محمّداً صلی الله علیه و آله الذی ینتمی إلی ذریّه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام هو من طائفه بنی هاشم، و قد سألا الحقّ سبحانه أن یبعث هذا النبی من تلک الطائفه لینهض بمسئولیه تعلیم و تزکیه هذه الطائفه: وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ .... و بعباره اخری: أنّهما سألا ـ اللَّه أن یبعث رسولًا من بنی هاشم یتولّی تعلیم و تزکیه جماعه من بنی هاشم، أمّا کیف ندّعی أنّ الرسول المطلوب من بنی هاشم و أنّه یعلّم و یزکّی جماعه من بنی هاشم، فممّا لا شکّ فیه أنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام طلبا رسولًا من عقبهما لتعلیم و تزکیه ذریّتهما، حیث سألا أن یکون

ذلک الرسول المبعوث هو معلّم تلک الذریّه، فقد قالا: وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... و حیث استجیب الدعاء المطلوب؛ و هو بعث محمّد صلی الله علیه و آله کنبیّ، و محمّد من نسل إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام و من نسل بنی هاشم، فالطائفه التی یتوجّه إلیها التعلیم و التزکیه لا بدّ أن تکون تلک الطائفه الصالحه المُنقاده للّه من نسل بنی هاشم. فالخلاصه، تفید الآیه: وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... أنّ نبی الإسلام صلی الله علیه و آله یجب أن یتلو آیات القرآن علی بنی هاشم و یعلّمهم القرآن و أسرار الدین، لینتهی بهم إلی التزکیه و الطهر و النزاهه.

دلیل حی:

قلنا: إنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللّه سبحانه أن یبعث من ذریّتهما رسولًا من بنی هاشم، ثمّ سألاه أن یعلّم هذا الرسول طائفه من بنی هاشم خفایا الدین و أسرار القرآن و معالم الإسلام. أمّا شاهدنا علی ذلک فروایه وردت فی تفسیر العیاشی و هو من الکُتب المعتبره، ففیه: عن أبی عمرو الزبیری، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: قلت له: أخبرنی عن امّه محمّد صلی الله علیه و آله من هم؟ قال: أُمّه محمّد بنو هاشم خاصّه، قلت: فما الحجّه فی امّه محمّد أنّهم أهل بیته الذین ذکرت دون غیرهم؟ قال: قول اللّه عزّ و جل: وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَ إِسْماعِیلُ ...(۱) فلمّا أجاب اللّه إبراهیم و إسماعیل و جعل من ذریتهما امّه مسلمه، و بعث فیها رسولًا منها- یعنی من تلک الامّه- یتلو علیهم آیاته و یزکّیهم و یعلّمهم الکتاب و الحکمه(۲).

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۷.

۲- تفسیر العیّاشی ۱: ۶۰ ح ۱۰۱.

مزید من التوضیح:

نورد مزیداً من الإیضاح رغم أنّ الحدیث المذکور صریح فی ما ادّعیناه، فالواو فی الآیه المُبارکه: وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ(۱) عاطفه، أی و اجعل من ذُرِّیَّتِنَا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ نسألک لبعض هذه الذریّه ما سألناک لأنفسنا أن اجعلنا مسلمین لک، فاجعلهم مسلمین لک، و بناءً علی هذا فکلمه «من» فی قوله: «و من ذریّتنا» تفید التبعیض، أی بعض هذه الذریّه. إذن، فسنخ تسلیم هذه الطائفه من سنخ تسلیم إبراهیم و إسماعیل، و من هنا یعلم أن عطف طلب إبراهیم و إسماعیل، یعود إلی ظهور طائفه مصطفاه من الأُمّه الإسلامیه تکون فی مصاف آبائها إبراهیم و إسماعیل فی الخشوع و الطاعه و التسلیم. و علیه: فدعاء إبراهیم و إسماعیل لا یشمل کافّه ذریّه إسماعیل لیکونوا علی هذه الدرجه من التسلیم، لیصدق ذلک علی جمیع قریش، و ذلک لأنّنا أشرنا إلی أنّ «من» تفید التبعیض لا التبیین، أضف إلی ذلک- کما ذکرنا- أنّ الرسول المبعوث من ذریّه هاشم، و ذلک الرسول هو معلّم هذه الذریّه طبق ظاهر الآیه، و هذا ما ذکّر به الإمام الصادق علیه السلام.

کشف النقاب عن أصاله الإمامه:

قلنا: إنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللَّه سبحانه طائفه من الذریّه تکون بمستوی آبائها فی الإخلاص و الطاعه و التسلیم، کما قلنا: إنّ هذه الطائفه لیست إلّا الصفوه من بنی هاشم، و هنا تتّضح حقیقه اخری؛ و هی أنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام کما سألا اللَّه بعث رسول لهدایه الامّه، قد سألاه أیضاً مثل هذه الهدایه لطائفه من

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۸.

بنی هاشم، سألاه أن یبعث رسولًا من بنی هاشم، و أن تتربّی و تتلمّذ علی یدیه هذه الطائفه المتّصفه بالعبودیّه و الإخلاص و التسلیم الکامل للَّه، لتکون جدیره مؤهّله و صالحه لزعامه الإسلام و إمامه المسلمین، و إلّا لما کان هناک من هدف لسؤالهما اللَّه ظهور تلک الطائفه التی تضاهی آباءها فی الطاعه و التسلیم، و سؤال اللَّه تعلیمهم و تزکیتهم من قِبل الرسول المبعوث.

ما نخلص إلیه من هذه الآیات:

بعد أن رفع إبراهیم و إسماعیل قواعد البیت بأمر اللَّه و من أجل اللَّه و إعاده بناء مرکز التوحید، سألا اللَّه ثلاثه امور أساسیه مهمّه من أجل تحقیق السعاده و الفلاح لذریتهما علی مدی التأریخ، و هی: ۱- سألاه أن یبعث رسولًا من ذریّتهما. ۲- أن یکون هذا الرسول من بنی هاشم، و قد قال النبی صلی الله علیه و آله: أنا دعوه إبراهیم علیه السلام(۱). ۳- أن تکون طائفه من بنی هاشم مطیعه و مسلمه تنهض بزعامه و إمامه الأُمّه الإسلامیه، و أن تستند فی إمامتها إلی تعالیم النبی صلی الله علیه و آله و تعلیمه و تزکیته لهم و إلی القرآن و آیاته الحکیمه.

نتیجه هذه الدراسات:

کما أنّ رساله النبی صلی الله علیه و آله أصیله متجذّره لیست حادثه طارئه؛ فإنّ إمامه الأئمّه هی الأُخری أصیله متجذّره، و هی استجابه لدعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام. و علی ضوء هذا المشروع الذی تضمنه الدّعاء، کان لا بدّ لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن یخضع تلک الطائفه من بنی هاشم لتعلیمه المُباشر و یحیطهم علماً بکافّه أسرار و خفایا القرآن،

۱- الفقیه ۴: ۳۶۹، بحار الأنوار ۳۸: ۶۲.

بفضل ما منحهم اللَّه من أهليه و استعداد، ليعدّهم لإمامه المسلمين، و عليه: فإنّ هذه الطائفه حائزه على شرائط الإمامه من خلال تعليم النبى و ما أفاض الحقّ عليهم من إخلاص و تسليم. فالذى نخلص إليه من هذه الأبحاث هو أنّ الإمامه أصيله متجذّره كالرساله، و ليست الإمامه سوى للطائفه المصطفاه من بنى هاشم.

سؤال يطرح نفسه:

هنالك سؤال يطرح نفسه على ضوء الشرح الذى أوردناه على الآيات، و هو هل أنّ رسول اللَّه مبعوث لبنى هاشم فقط ليجتهد فى إرشادهم و هدايتهم و تزكيتهم؟ و هل سأل إبراهيم اللَّه سبحانه نبياً عائلياً لتعليم و تربيه أولاده و ذريّته؟

حتّى يقال: إنّ اللَّه استجاب دعوه إبراهيم من أجل تعليم و تربيه أولاده، إذن فهو معلّم خصوصى من أجل طائفه خاصّه من ولد إسماعيل.

جواب:

لا شكّ أنّ النبى صلى الله عليه و آله إنّما بعث لكافّه الناس إلى يوم القيامه، فقد اعتبره القرآن الكريم خاتم الأنبياء(۱)، و منذر من بلغ(۲). فما الذى حدث ليدعو إبراهيم بأن يكون النبى المبعوث من ذريّه إسماعيل لتزكيه و تعليم طائفه من ذريّتهما؟ فإبراهيم عليه السلام يعلم بأنّ رسول اللَّه محمّد المصطفى صلى الله عليه و آله سيبعث بالرساله، و أنّه من ذريّته و هو خاتم الأنبياء، و دينه ناسخ لكافّه الشرائع و مكمّل لكافّه الأديان، و أنّه سيصبح إماماً للبشريه جمعاء، و هذه ليست من الامور التى لا يعرفها إبراهيم عليه السلام، فالقرآن

۱- سوره الأحزاب: الآيه ۴۰.

۲- سوره الأنعام: الآيه ۱۹.

يصرّح بأنّ موسى و عيسى عليهما السلام يعلمان بأنّه النبى الخاتم، و هذا ما تشهد به سائر الكُتب السماويه، بل أبعد من هذا هو أنّ الامم الماضيه- و بغضّ النظر عن الأغراض- تعلم بوضوح كافّه خصائص آخر قائد للعالم، فلِمَ كانت هذه الدعوه من إبراهيم و إسماعيل؟ الجواب على هذا السؤال هو ما أوردناه سابقاً من أنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام سألا الله أن يبعث نبياً من ذريّتهما، و أن يقوم هذا المبعوث بتربيه و تزكيه طائفه ليبلغ بها السموّ و الكمال الذى يؤهّلها لزعامه الأُمّه الإسلاميه، و عليه فقد بلورا و أسّسا مبدأ الإمامه، و سألا تحقيق و تفعيل هذا المبدأ الحيوى من أجل الزعامه الإسلاميّه. و بناءً على ما تقدّم لم يكن هناك ما يستدعى لأن يكون هذا المبعوث لطائفه معيّنه، بل كان ذلك يستدعى أن يكون مبعوثاً للعالم كافّه، يكون من ذريّتهما، و أن يعدّ طائفه معيّنه من تلك الذريّه لبعض الأهداف و الغايات العليا الساميه. و بعباره اخرى: فإنّ الدعوه كانت لجعل النبوّه و الإمامه فى ذريّه بنى هاشم، و هى فى ذات الوقت تفيد كون النبوّه و الإمامه زعامه عالميه إلى الأبد. جدير بالذكر أنّ دعوه إبراهيم عليه السلام ليست جديده، فقد سأل اللّه بشأن منصب الإمامه فى ذريّته لما استكمل شرائط الإمامه و بشّره سبحانه: إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً، فردّ اللّه سبحانه هذا المنصب عمّن لا يستحقّه من تلك الذريّه لا يَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ(۱). حيث استثنى سبحانه الظلمه من النهوض بهذه المسئوليه العظيمه.

حديث مع صاحب تفسير المنار:

أعتقد أنّ صاحب «تفسير المنار» قد التفت إلى ذلك الأمر المهمّ فى الآيات

۱- سوره البقره: الآيه ۱۲۴.

الشریفه و دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام، فهو یستند فی فهمه للقرآن إلی ظواهر الألفاظ و خصائص الکلمات، إلّا أنّ روح التعصّب إذا استولت علی عالم تدفعه إلی ما یأباه الذوق السلیم و الطبع القویم، بحیث أخذ یتخبّط تخبط عشواء لیموّه علی الحقائق التی انطوت علیها الآیه الکریمه. فقد علّق صاحب تفسیر المنار علی عباره «إنّک أنت العزیز الحکیم» بأنّها وردت لتزیل إشکالًا قد یتبادر إلی الأذهان بأنّ دعوه إبراهیم تتنافی و الطبع العربی؛ لأنّ العرب تقولبت بالبداوه و أنست بالغلظه و الخشونه، و علیه فالأقوام العربیه لا تأنس بالعلم و الحکمه، بل هی عدوه للتهذیب و التربیه، فالبداوه العربیه لا تخضع قطّ للنظم الاجتماعیه و هی بعیده عن الحضاره و المدنیه، فطبیعتهم البداوه، و لمّا کان تعلیم الکتاب و الحکمه و تهذیب الأخلاق لا یعنی سوی التسلیم للنظام الاجتماعی و تقبّل الحضاره و المدنیه و التطبّع بالعادات الإنسانیه، فأنّی لإبراهیم أن یدعو اللَّه بأن یبعث محمّداً صلی الله علیه و آله لیعلّم أولئک العرب الکتاب؟ و یعلّمهم الحکمه و یزکّیهم و یهذّب أخلاقهم. فقد حصر صاحب «المنار» هذا السؤال فی زاویه حرجه، ثمّ قال للهرب منه:

نعم، إنّ هذا الوهم وارد لو لم یکن اللَّه عزیزاً و حکیماً، و حیث إنّ إبراهیم علیه السلام یعلم بأنّ اللَّه عزیز و حکیم، فإنّ ذلک الوهم لیس بوارد. أجل، فاللَّه عزیز و حکیم و بیده حلّ جمیع المشاکل، و لیس هنالک من شی ء یمکنه أن یقف حائلًا أمام إرادته، إذن، صحیح أنّ العرب تعادی العلم و الحکمه و المدنیه، إلّا أنّ إبراهیم علیه السلام یعلم بأنّ اللَّه عزیز و حکیم، و علیه فدعوته لیست مستحیله، فللقادر العزیز أن یبلغ بهذه الأُمّه منتهی العلم و التمدّن و یجعلها مستعدّه لحمل أعباء الرساله(1). کانت هذه بعض العبارات التی ذکرها صاحب المنار بشأن الآیات الکریمه،

۱- تفسیر القرآن الحکیم، الشهیر ب« تفسیر المنار»: ۱/ ۴۶۵- ۴۷۳.

و الحقّ أنّ صاحب المنار قد عمد إلى اسلوب التوريه بما فهمه من الآيات الكريمه، و أعرض عن بيان حقيقه الأمر، كما حاول أن يموّه على المطلب الأساسى أثناء إيراده لذلك الوهم، فقد أدرك مدلول الآيه، إلّا أنّه و بذكره لذلك الوهم قد عدل عن السبيل الصحيح. و لنا أن نسأل صاحب المنار هذا السؤال: هل استنبطت من الآيات أنّ إبراهيم عليه السلام سأل اللّه أن يبعث محمّداً صلى الله عليه و آله ليعلّم العرب الكتاب و الحكمه و الانصياع للنظم الاجتماعيّه؟ و تريد أن تقول بأنّ الدين الإسلامى ليس ديناً عالميّاً، و لم يبعث محمّد صلى الله عليه و آله إلّا للعرب البدو ليجرّهم إلى المدنيه و الحضاره و الالتزام بالقوانين السماويه للقرآن. و بعباره أُخرى: فإنّك استفدت التعليم العام من الآيه، إلّا أنّك تعتبر هذا العموم مقتصراً على فئه خاصّه من الأُمّه الإسلاميه، و هم العرب البدائيون؟ فإن كان هذا هو الذى فهمته، كان عليك أن تقرّ بأنّ المراد الأصلى من بعثه محمّد صلى الله عليه و آله هو الاقتصار على تعليم و تزكيه العرب، و بالذات العرب البعيدين عن الحضاره و المدنيه الذين لم يألفوا التعليم و التربيه و يأنسون بالغلظه و الخشونه؛ و هل يمكنك على ضوء هذا الإقرار أن تزعم بأنّ محمّداً صلى الله عليه و آله قد بعث للناس كافّه على مدى التأريخ؟ و إذا زعمت بأنّ هذه الآيات تستهدف تعليم النظم الاجتماعيّه الإسلاميه و تعليم و تزكيه جماعه معينه، دون أن يتنافى هذا الأمر و كون الدين الإسلامى ديناً عالمياً، إلّا أنّ إبراهيم عليه السلام سأل اللّه ليقوم محمّد صلى الله عليه و آله بتزكيه ذرّيّته، و ما ذرّيّته سوى العرب البدو الذين لا يأنسون بالعلم و الحكمه. ففى هذه الحاله لا تكون هذه الآيات بصدد إثبات عالميه الدين المقدّس، بل هى عباره عن دعوه تضمّنت تعليم و تزكيه و إعداد طائفه خاصّه، الأمر الذى أوردناه سابقاً ... إذن، فالدعوه لم تكن بعث رسول من ذريّه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام إلى طائفه

معیّنه، بل کانت تفید بعث رسول عالمی من ذریّتهما، و یقوم بتعلیم صفوه معیّنه من خاصّه القرآن و أسرار الخلقه، و یبلغ بروحهم الطاهره أقصی درجات السموّ و الطهاره و الکمال. و بناءً علی هذا فإنّنا و إیّاکم نتّفق علی معنی واحد أفادته الآیات الکریمه، و هی أنّ دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام تفید تعلیم النبی صلی الله علیه و آله و تزکیته و إعداده لطائفه خاصّه من ذریّتهما، إلّا أنّنا نختلف بخصوص هذه الطائفه الخاصّه، فنحن نقول بأنّ هذه الطائفه الخاصّه هی الصفوه من بنی هاشم، بینما ذهبتم إلی أنّها العرب البدائیّین المعادین للعلم و المعرفه. فسلکتم إثر ذلک طریقاً مسدوداً، لم یسعکم الخروج منه سوی بتفسیرکم للعزیز الحکیم الذی یفید أنّ اللَّه قادر علی أن یبلغ بالعرب البدائیین قمّه التمدّن، و یجعلهم یتناولون العلم و لو کان فی الثریا بعد أن کانوا أعداءً حقیقیّین لهذا العلم، و أخیراً یجعل أخلاقهم إنسانیه ملکوتیه تفیض بالطهر و العفاف. و الآن نسألک هذا السؤال: أیّ دلاله فی الآیات جعلتک تستند إلی هذا المعنی؟

فقد أراد إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام أن یُبعث رسول من ذریّتهما و قد بُعث محمّد صلی الله علیه و آله، أو لیس محمّد صلی الله علیه و آله الذی ینتمی إلی ذرّیّه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام من بنی هاشم؟ أولم یسأل هذان النبیّان أن یبعث نبی من ذریّتهما؟ رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ فإذا کان محمّد صلی الله علیه و آله من بنی هاشم، فهل هناک غیر بنی هاشم مرادون بالضمیر «هم» فی کلمه «منهم»؟ قطعاً لیس لک الّا أن تجیبنا بالإیجاب. و علیه فالنبیّ محمّد صلی الله علیه و آله هاشمی، مبعوث من بنی هاشم، و هذه هی دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام.

سؤال آخر:

إذا سلّمنا بأنّ محمّداً صلی الله علیه و آله قد بعث بدلاله الآیه من بنی هاشم، فمن هم الأفراد

الذين سأل إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أن يقوم هذا النبى الهاشمى بتعليمهم و تربيتهم؟

فقد صرّح القرآن قائلًا: رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِکَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ(۱) أو ليست الآيه صريحه بأنّ هذا الرسول الهاشمى منتخب من بين الهاشميين، أى أنّه يعلم و يزكّى فريقاً منهم؟ و هل من الصواب القول أنّ معنى الآيه هو أن يقوم هذا النبى الهاشمى المبعوث من بنى هاشم بتعليم و تزكيه عامّه البدو من العرب؟ سنترك الجواب للقُرّاء الأعزاء بعيداً عن التعصّب و اللفّ و الدوران. و عليه: فإنّنا سنخرج صاحب المنار من ذلک الطريق المسدود، فنقول: إنّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام سألا اللَّه أن يبعث رسولًا من طائفه من ذريّتهما. و لمّا كانت الطائفه التى بعث منها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هى بنى هاشم، فإنّ المبعوث من هذه الطائفه- بنصّ الآيه- لا بدّ أن يقوم بتعليم و تزكيه هذه الطائفه، و أمّا الطائفه التى كانت تدور فى ذهنک و التى تستلزم الدعوه الخاصّه لمهمّه خاصّه، ليست إلّا طائفه من بنى هاشم، و لذلک نقول: إنّ آباء محمّد صلى الله عليه و آله قد سألا اللَّه أمرين أساسيين: ظهور رساله النبى العالمى للإسلام فى طائفه من ذرّيتهما، و الإمامه العالميه للدين فى نفس تلک الطائفه، الإمامه التى يتلقّى الأئمّه علومها على يد رسول اللَّه و دروسه الخاصّه لينهضوا بزعامه المسلمين إلى الأبد. و على ضوء ما تقدّم لا يرد ذلک الوهم فى أنّه كيف سأل إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام اللَّه أمراً مشكلًا بل محالًا عادياً لكى يجاب عليه من خلال عزّه اللَّه و حكمته. و هنا يبرز هذا السؤال: هل نهض النبى صلى الله عليه و آله بوظيفه تزكيه و تعليم هذه الطائفه المعيّنه؟ و الجواب سيكون بالسلب؛ لأنّ النبى صلى الله عليه و آله مارس وظيفته من أجل تعليم و تزكيه الجميع بما فيهم البدو من العرب و العجم و الأُوربيين و غيرهم. و القرآن لم

۱- سوره البقره، الآيه ۱۲۹.

یصرّح بأنّه معلّم خاص، بل صرّحت الآیات بعمومیّه تعلیمه للجمیع، من قبیل الآیه: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ(۱). فالآیه الکریمه صریحه فی عمومیه تعلیم و تربیه رسول اللَّه للُامّه، و کذلک الآیه الکریمه من سوره الجمعه، رغم أنّها خصّت تعلیم الرسول بالامیّین و عرب مکّه و أُمّ القری، إلّا أنّها أزالت تلک الخصوصیه و منحت ذلک التعلیم بعداً عمومیاً، فقالت: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ* وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمَّا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ(۲). کما صرّحت الآیه: کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولًا مِنْکُمْ یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا وَ یُزَکِّیکُمْ وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ(۳). و بناءً علی هذا فالنبی الأکرم صلی الله علیه و آله معلّم عام للناس کافّه، و لا نرید أن نقول بأنّ التعلیم إنّما یقتصر علی طائفه محدوده هی طائفه من بنی هاشم، بل نقول: إنّ دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام هی قیام النبی محمّد صلی الله علیه و آله من أجل تربیه و إعداد هذه الصفوه من أهل بیت النبوّه، و هذا ما لم یتحفّظ علیه جمله من مفسّری العامّه التی أوردت فی تفاسیرها لهذه الآیات کلمه «أهل البیت». و قد کان حدیث أبی عمرو الزبیری عن الإمام الصادق علیه السلام الذی أوردناه سابقاً صریحاً فی هذا المعنی. و لا بأس بدراسه سائر الآیات بهذا الخصوص من أجل توضیح المراد بما

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۴.

۲- سوره الجمعه: الآیه ۲- ۳.

۳- سوره البقره: الآیه ۱۵۱.

لاـ يبقى معه مجال للشكّ، ففى الوقت الـذى يعتبر فيه القرآن الكريم تعليم الكتاب و الحكمه لكافّه الناس، نراه قـد صـنّف مثل هـذا التعليم لينتقل به من الاختصاص إلى العموم؛ أى أنّه خصّ التزكيه و التعليم بالأنبياء و من الأنبياء إلى طائفه خاصّه و من هذه الطائفه إلى عامّه الناس، و لا يسعنا هُنا إلّا أن نستعرض هذا التصنيف كما صرّح به كتاب اللَّه: ١- قال اللَّه تعالى بشأن عيسى عليه السـلام: وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتـابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ(١)، و خـاطب النبى الأـكرم صـلى الله عليه و آله قائلًا: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتـابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَـكَ مـا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً(٢). فالآيتان الكريمتان و أمثالهما مختصّـتان بأنبياء اللَّه، فاللَّه هو معلم عيسى و محمّد صلى الله عليه و آله، و قد تولّت الذات الإلهيّه المقدّسه تعليم الأنبياء الكتاب و الشرائع و أسرار الحكمه، فـاللَّه هـو المربّى و النـبىّ هـو التلميـذ و علم الكتـاب و الحكمه هى المواد الدراسـيه. ٢- قـام الأنبيـاء فى بعض الأحيان بوظيفه التعليم الخصوصـى، فأعدّوا طائفه من المتخصّصـين فى علم الكتاب و الحكمه و تزكيه النفس و تهذيبها، فقد علّم الخضر موسـى عليه السـلام، كمـا كـان أمير المؤمنين عليه السـلام التلميـذ الممتـاز الخاصّ للنبى الأكرم صـلى الله عليه و آله، حيث قال: «علّمنى ألف باب»(٣) و قد تتلمّذ هارون على يد أخيه موسـى عليه السـلام، كما تتلمّذ الحواريون على يد عيسـى عليه السلام. و أوضـح آيه يمكننـا الاستشـهاد بهـا بشـأن تعليم النبى الخـاصّ لتلامـذته و خاصّـته من أهله، هى التى نخوض فى بحثها وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِّيهِمْ. ٣- أمّا الآيات التى تدلّ على عموميه رساله النبى صلى الله عليه و آله و كون التهذيب

١- سوره آل عمران: الآيه ٤٨.

٢- سوره النساء: الآيه ١١٣.

٣- الإرشاد للمفيد ١: ٣٤، إعلام الورى ١: ٣١٨، بحار الأنوار ٤٠: ١٤٤ ح ٥٠.

ص: ٨١

الأخلاقى و التعليم و التزكيه عـامّه للجميع، فهى الآيه الثانيه من سوره الجمعه و الآيه ١٥١ من سوره البقره و الآيه ١۶۴ من سوره آل عمران التى ذكرناها سابقاً. فالـذى تفيـده الآيات الوارده فى هذا الباب هى: ١- أنّ الأنبياء تلامـذه مدرسه الوحى. ٢- الأنبياء أساتذه المجتمعات البشـريه. ٣- تلامـذه الأنبياء على قسـمين: تلامـذه متفوّقون يتعلّمون و يتزكّون مباشـره من قبل النبى و تعليمه الخاصّ، و تلامذه اعتياديون يتلقّون تعليم النبى و هدايته و إرشاده العام. ۴- المهمّ فى جميع هذه المدارس هو تعليم كتاب اللّه و الحكمه، فـاللّه يعلّم أنبيـاءه كتـابه من خلال الوحى كما يعلّمهم أسـرار الخلقه و الـدين، فيقوم الأنبياء بتعليم هـذه الأُمور بصوره خاصّه إلى التلامذه المتفوّقين الذين يضاهون الأنبياء بلطف اللّه فى إخلاصـهم و طاعتهم و تسليمهم للّه، كما يقومون بأنفسهم أو بواسطه هؤلاء التلامذه الأكفّاء بتعليم هذه المواد العلميه إلى عامّه التلامذه.

إشكال مهمّ:

كان البحث فى أن تسـتنبط قضـيه الإمامه من الكتاب، و قـد استشـهدنا بالآيات المرتبطه بدعوه إبراهيم عليه السـلام على أنّ مبدأ الإمامه قـد طرح منـذ زمان إبراهيم عليه السـلام، و الشـرائط التى ينبغى أن تتوفّر و تكتمل فى الإمام هى الوقوف التام على كتاب اللّه و أسـرار الدين، و اشتماله على النفس الزكيه و الروح الساميه، التى لا يشوبها أدنى دنس أو سابقه من شرك و ظلم و رجس أخلاقى و عبـاده للهوى و الهوس و الخرافـات. و قـد تمسّـكنا- لإثبـات هـذا الأمر- بـذيل الآيه التى قالت: وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِّيهِمْ ... و الحال أنّ هذه الآيه وردت بشأن تعليم و تزكيه

ص: ٨٢

عامّه المسلمين، و قد ورد فى القرآن قوله: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ(١). و بناءً على هـذا فكما يتمتّع الإمام بتعليم و تزكيه النبى، فإنّ هذا التعليم و التزكيه يشـملان عامّه المسـلمين، فأىّ امتياز للأئمه ورد فى هذه الآيات؟ فكما أنّ النبى معلّمهم و مواده الدراسـيه هى الكتاب و الحكمه و التزكيه، فهو معلّم الجميع و يعلّمهم ذات المواد، فليس هنالك أىّ مزيّه للأئمّه على غيرهم، فى أنّهم تلامـذه مدرسه الوحى، و أنّ لهم اطّلاعاً و إحاطه بجميع كتاب اللّه و أسرار الشريعه و يشتملون على كافّه الكمالات الإنسانيه، فلو كانوا كذلك، لكان كلّ تلميذ فى هذه المـدرسه كذلك أيضاً؛ لأنّ الآيات لم تثبت سوى كون النبى صـلى الله عليه و آله معلّماً لهم بصوره خاصّه و لعامّه الناس بصوره عامّه و كون المواد الدراسـيّه نفسـها. هذه خلاصه الإشـكال الذى قد يقتدح فى ذهن مَن ليس له معرفه بالقرآن الكريم، و هنا لا بدّ من الالتفات إلى أصل القضـيه ليتّضح الأمر. فقد سأل إبراهيم و إسـماعيل عليهما السـلام أمرين مهمّين هما: ١- بعث نبىٍّ من ذرّيّتهمـا من طائفه بنى هاشم. ٢- قيـام النبى المبعوث من هـذه الطـائفه بتعليم و تزكيه طـائفه من أهـل بيت النبوّه، بحيث ينهض رسول اللّه بهـذه الوظيفه مُباشـره دون واسـطه. و بنـاءً على هـذا فـإنّ مثـل هـذا التعليم الخـاص كان غايه و دعوه إبراهيم و ولـده إسـماعيل عليهما السـلام، و قد أُجيبت دعوتهما، أى قد بعث نبى من هذه الطائفه، كما قام الرسول بوظيفته التعليميه مُباشره، و لا تعنى استـجابه الـدعاء أنّ إبراهيم و إسـماعيل عليهما السـلام يريـدان فيقوم النبى و يمارس وظيفته التعليميّه دون أن يكون للأئمّه من دور فى هذا الأمر، بل معنى استجابه الدعاء هو ظهور أفراد أشدّاء و أزكياء

۱- سوره آل عمران: الآيه ۱۶۴.

و عُلماء بكتاب اللَّه و آيات الرحمن، و من ذوى البصائر بفلسفه الدين و أسرار الخليقه. و دليل هذا الظهور أنّهم فى الوقت الذى يعيشون الإخلاص و التسليم، و تنبض قلوبهم بالتوحيد و عشق الحق، فقد كانوا يتضرّعون لأن يظهر مثل هؤلاء الأفراد فى هذه الطائفه يتّصفون بالإخلاص فى العبوديه للَّه، و يعيشون الانقطاع و التسليم للَّه و الطهاره من كلّ رجس و دنس، و عليه: فهذه الطائفه المخلصه كانت تمتلك الاستعداد الروحى، و قد تعلّمت و تزكّت بفضل هذا الاستعداد فى مدرسه الرساله تحت إشراف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و تعليمه الخاصّ. و لعلّ كلمات أمير المؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغه بشأن كيفيّه ترعرعه فى حضن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و السموّ و الكمال الذى بلغه فى ظلّ العنايه التى أولاها إيّاه النبى صلى الله عليه و آله و منزلته الخاصّه لديه إشاره إلى هذا المعنى، فقد قال عليه السلام: «وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى إلى فراشه، و يمسّنى جسده و يشمّنى عرفه، و كان يمضغ الشى ء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لى كذبه فى قول، و لا خطله فى فعل. و لقد قرن اللَّه به صلى الله عليه و آله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره. و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه، يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علماً يأمرنى بالاقتداء به، و لقد كان يجاور فى كلّ سنه بحر فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحى و الرساله، و أشمّ ريح النبوّه، و لقد سمعت رنّه الشيطان حين نزل الوحى عليه صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول اللَّه ما هذه الرنّه؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ، و لكنّك وزير و إنّك لعلى خير»(۱).

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۴۳۶- ۴۳۷.

فكلمات أمير المؤمنين عليه السلام تجيب عن كلّ دعوات إبراهيم عليه السلام و توضّح استجابه دعائه. فقد سأل إبراهيم عليه السلام اللّه أن يتصدّى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لتعليم و تزكيه طائفه من ذريّته، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى إلى فراشه و يُمسّنى جسده، و يُشمّنى عَرفه، و كان ... يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علماً، و يأمرنى بالاقتداء به، و قد جهد نفسه فى تربيتى و تزكيتى حتّى أصبحت أرى ما يرى و أسمع ما يسمع، و لم يعد هناك من فارق بيننا سوى فى النبوّه و حقيقه الرساله، فلما رأى ذلك منّى قال صلى الله عليه و آله: إنّك لست بنبيّ، و لكنّك وزير و إنّك لعلى خير. فهؤلاء- أى بنى هاشم- هم مفاد الآيه وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ. أمّا سائر الآيات فليست لها من دلاله على قيام النبى بمثل هذه الوظيفه تجاه سائر الناس، و ذلك لأنّ سائر الآيات لا تفيد أنّ كافّه الناس يملكون استعداداً لتقبّل هذه التعليمات، أو أنّ النبى صلى الله عليه و آله كان مجبراً على أساس وظيفته الشخصيّه على إيصال كافّه الناس إلى تمام مراحل الكمال و تهذيب النفس و أسرار الدين، بل كانت الوظيفه فى أن يلقى النبى صلى الله عليه و آله دروسه العلميه التربويه، و يحيط الآخرين علماً بالآيات القرآنيه و الأحكام و التعاليم الإسلاميه و الأسرار الدينيه، و لكن هل تبلغ الأُمّه تمام هذه المراحل و تحيط بكافّه أسرار القرآن و تسلّم لتعليمات محمّد صلى الله عليه و آله و آيات القرآن؟ لم تبحث مثل هذه الأُمور فى الآيات القرآنيه، كلّ ما هنالك هو أنّ القرآن الكريم قد أكّد فى أكثر من آيه أنّ وظيفه النبى صلى الله عليه و آله تجاه الناس ليست بإيصالهم إلى آفاق العلم و التهذيب و الكمال، بل وظيفته إضاءه الطريق و التعريف بمعالم الدين و الطرق التربويه العلميه، فمن أراد أن يبلغ هذه الحقائق وجب عليه أن يبذل جهده و يستفرغ وسعه فى اتّباع المبادئ الإسلاميه، و من لم يرد فعلى نفسه

لا إِکْراهَ فِی الـدِّینِ قَـدْ تَبَیَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَیِّ فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْـتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقی لَا انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ(۱). بل القرآن یؤکّد أنّ وظیفه النبی صـلی الله علیه و آله هی بیان الحقائق، و الأُمّه مکلّفه بالتفکیر فی هذه الحقائق و اتّباعها: وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ(۲). و أخیراً فإنّ القرآن لم یأمر النبی صلی الله علیه و آله بحمل الناس بالقوّه علی التعلیم و التهذیب، بل وظیفته الإبلاغ و الإنذار، و وظیفه الأُمّه التدبّر فی التعالیم، فقد صرّحت الآیه قائله: کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ مُبارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ(۳)، بل سـلب القرآن عن النبی صـلی الله علیه و آله القیام بهذا الأمر: فَذَکِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَکِّرٌ* لَسْتَ عَلَیْهِمْ بِمُصَیْطِرٍ(۴). و علیه: فالآیات لا تصـرّح بأکثر من وظیفه عامّه للنبی صلی الله علیه و آله فی إبلاغ القرآن و الأحکام و سـبل التعلیم و التربیه و التزکیه، و الأُمّه مخیّره بین الاتّباع و عـدمه. أمّا الآیات التی نحن بصددها و بقرینه أنّ طائفه بنی هاشم بدعاء إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام أنّها تمثّل العبودیه و التسلیم المحض للّه، و بقرینه وظیفه النبی بتعلیمهم و تزکیتهم مُباشـره دون واسـطه، إلی جانب تصـریح أمیر المؤمنین علیه السلام بقیام النبی بهذه الوظیفه المهمّه، و بقرینه ما هو أهم من دعاء الأجداد و هو إرساء مقام الإمامه، فإنّ هؤلاء عُرفاء بفنون القرآن، و خبراء بفلسـفه الأحکام، و بُصـراء بأسـرار الکتاب، و علماء بحکمه الخلیقه و الکون، و علیه فإنّنا نستطیع أن نقول بأنّ

۱- سوره البقره: الآیه ۲۵۶.

۲- سوره النحل: الآیه ۴۴.

۳- سوره ص: الآیه ۲۹.

۴- سوره الغاشیه الآیتان ۲۱- ۲۲.

الآـيه الكريمه تفيـد أنّ هؤلاء زُعماء وقاده و فقهاء فی الـدين، و عُلماء بتعاليم الإسـلام، و خُبراء ببرامـج و خطط القرآن، و عُرفاء بالسياسه و النظم الاجتمـاعيّه و بكـافّه خفايـا و مغيبـات العالم. فالآيه الشـريفه بصـدد بيان مقام و شخصـيه الإمام و شـرائط إمامه المسـلمين من وجهه نظر القرآن الكريم. و عليه: فالفارق فی النتيجه هو أنّ النبیّ- المعلّم الأوّل- هو مربّی طائفه من بنی هاشم، و نتيجه هـذا الأمر مفيـده للغايه و قيّمه، و نفس هـذا النبی معلّم لعامّه الناس، إلّا أنّ نتيجه هـذا الأمر تعتمد علی نفس المسـلمين، و معلوم أنّ توقّع النبی من الطائفه الأُولی لا يمكن أن يكون كتوقّعه من عامّه الناس أبداً. و هذا ما أشار إليه أمير المؤمنين علی عليه السـلام إذ قـال: «لا يُقاس بآل محمّـد صـلی الله عليه و آله من هـذه الأُمّه أحـد، و لا يُسوّی بهم من جرت نعمتهم عليه أبـداً، هم أساس الدين و عماد اليقين، إليهم يفی ء الغالی، و بهم يلحق التالی، و لهم خصائص حقّ الولايه، و فيهم الوصيه و الوراثه»(۱). و قال عليه السـلام: «آل النبی عليه الصـلاه و السّلام موضع سرّه و لجأ أمره و عيبه علمه و موئل حكمه و كهوف كتبه و جبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره و أذهب ارتعاد فرائصه»(۲).

فقول أمير المؤمنين عليه السـلام يفيـد أن ليس هنالـك سوی أهـل البيت الـذين لهم الإحـاطه بالـدين، و هم عيبه علم رسول اللَّه صلی الله عليه و آله، و ملاذ المسلمين فی النوائب و المصائب، و هذا دليل علی صحّه ما أوردناه سابقاً بشأن الآيات التی صرّحت بهذا الأمر، حيث أثبتنا حينها أنّ الأئمّه عليهم السـلام و بفضل التعليم المُباشـر لرسول اللَّه صـلی الله عليه و آله لهم معرفه و اطّلاع كامل علی جميع أسرار القرآن و كافّه شئون الإسلام و الحوادث الغيبيه و الخفايا الكونيه، كما يؤكّد علی أنّ تعليمات النبی و إن كانت عامّه

۱- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ۸۲- ۸۳.

۲- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ۸۲- ۸۳.

و للمسلمين أن يغترفوا من هذه العلوم و المعارف القرآنيه و الأسرار الدينيه، غير أنّه لا يمكن مقارنتهم قط بآل محمّد صلى الله عليه و آله، فهم معدن العلم و الحكمه، و إليهم يفی ء الغالی و بهم يلحق التالی، و لا يستند أحد إلی علمه بشأن الدين إلّا أن يخرج عن الاعتدال أو يتخلّف عن قافله المسلمين، و بناءً علی هذا فالإشكال السابق الذی يُطرح بشأن مزيه الأئمّه عليهم السلام ليس بوارد، حيث دلّتنا الآيات الكريمه علی فضلهم و سبب ترجيحهم.

فهرس الكتاب إلی هنا:

ما مرّ معنا لحد الآن بعض الأُسس المتينه فی الإمامه، نشير إلی فهرسها بصوره مختصره: ۱- الدين الإسلامی دين خالد و علی هذا الدين أن يعتمد السبل التی من شأنها الإبقاء علی أبديّته. ۲- يقتضی حكم العقل أن يوفّر كلّ ذی هدف إذا أراد لهدفه الإتقان كافّه العلل و الأسباب التی تؤثّر فی تحقيق الهدف و ثباته، و لمّا أراد الحقّ الخلود للدين الإسلامی فبحكم العقل قد أعدّ موجباته، و بخلافه سينتقض الغرض، و تتصدّع عری الدين و اسس الإسلام. ۳- لقد تكفّل الحقّ بنصب الأئمّه علی ضوء الآيات القرآنيه و الأخبار التی صرّحت بهذا الأمر، بغيه الحيلوله دون فناء الدين و بقاء كلمه التوحيد، و إعداد العناصر و الأفراد الذين بلغوا قمّه الكمال الإنسانی و الذين يعدّون الخلق إلی العالم الأُخروی الأبدی. ۴- الأئمّه علی ضوء تصريح و نصّ رسول اللَّه هم اثنا عشر، و قد أشرنا سابقاً إلی هذا الأمر، و سيأتی تفصيله فی المجلد الثانی من الكتاب.

۵- لأئمّه الإسلام وظيفه فی زعامه الأُمّه و هدايتها، و هدفهم إقامه النظام الاجتماعی علی ضوء القرآن و السنّه النبويّه. ۶- إمامه أئمّه الإسلام خالده أبديّه. ٧- واجب الأُمّه تجاه هؤلاء الأئمّه هو الانقياد و الطاعه و التسليم، و ذلک بفضل مزاياهم فی کافّه شئون الزعامه و الإمامه. ٨- الإمام کما يصفه أمير المؤمنين و الإمام الحسين عليهما السلام من يقوم للّه بهذه الوظيفه، و يعمل بالعدل و القسط و الانتصار للمظلوم و إنقاذ الضعفاء و إعمار البلاد و ضمان حقوق الأفراد، و إحياء معالم الدين و سنن القرآن، و عدم الاغترار بالدنيا و زخارفها. و نخوض الآن فی شرائط الإمامه رغم اتّضاح هذا الأمر من خلال الأبحاث السابقه، و لکن قبل الدخول فی تفاصيل هذا الأمر، لا بدّ من التعرّض إلی:

سؤال يثير الأسف:

لقد ذکرتم بأنّ القرآن الکريم أشار إلی مکانه و منزله الإمام، و أنّه يستند فی تشکيله للحکومه إلی القرآن الذی يعتبر هو الدستور، و قلتم بأنّ القرآن يری الأئمّه هم زعماء الأُمّه الذين يقيمون حکم اللّه و يعملون علی إحقاق حقوق الأُمّه و إعمار البلاد، و قلتم و قلتم ... و هنا يرد هذا السؤال الذی يثير الأسی و الأسف، فإذا کان الإمام بهذه المنزله التی رسمها القرآن و حدّد معالمها، لِمَ لم يصبح الأئمّه الأطهار زُعماء للُامّه؟ و إذا کانت وظيفه الإمام تکمن فی القيام من أجل ضمان مصالح المجتمع و بسط العدل و القسط فی ربوع البلاد، لما ذا لم ينهض أئمّه الإسلام و اعتزلوا الساحه، و لم يتزعّم أحد منهم الحکومه سوی أمير المؤمنين علی عليه السلام؟

أ فلم ينصّبهم اللّه أئمّه؟ و القرآن يدعو لقيام الحکومه الإسلاميه بزعامه هؤلاء

الصفوه! و هل هذا النصب الذى لم يكن له من يشغله و هذه الحكومه التى نهض بها من ليس لها بأهل! أ فلا يدعو هذا الأمر إلى أنّ ذلك النصب و التصريح بزعامه هؤلاء للحكومه كان لغواً و عبثاً؟

الجواب:

هذا السؤال مؤسف، مؤسف فى أنّه لِمَ لم يتزعّم أولياء اللّه الحكومه، فى حين وقعت بيد بنى أُميّه و بنى العباس! و هنا لا بدّ من القول بأنّ المراد لم يكن حتميه تزعّم الصفوه للحكومه، بل كان الحديث فى أنّ القرآن يرى أنّ هذه الصفوه هى الجديره بمقام الإمامه و زعامه الحكومه الإسلاميه. هذا هو مشروع الإسلام و تخطيط القرآن، أمّا المنفّذ لهذا المشروع فهو الأُمّه، الأُمّه كانت موظّفه بإقصاء بنى أُميّه عن الحكم و الانقياد لأولياء اللّه من بنى هاشم، إلّا أنّها لم تفعل و لم تنفّذ الخطّه القرآنيه، كما ولّت ظهرها لسائر أحكام القرآن و تعاليم الإسلام، فهل يعتبر قانون تحريم المسكرات لغواً إذا ما تفشّت هذه المسكرات فى أوساط المجتمع؟ أم أنّ التحريم صائب لكن الأُمّه شقيه، مع ذلك لا بدّ من القول بأنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام قد نهضوا و قاموا و سيأتى اليوم الذى تشكّل فيه حكومه العدل الإلهى العالميه، و سنترك تفاصيل هذا الأمر إلى المجلد الثانى، ليعلم حينها أنّ الأئمّه عليهم السلام قد نهضوا بالأمر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، و قد شكّلوا الحكومه الحقّه أو كشفوا للآخرين عن معالمها، و أخيراً رسموا طريق الحقّ حتّى فى حكومه الآخرين ... سنتابع الإجابه عاجلًا.

قبسات من شرائط الإمامه

اشاره

هنالک عدّه أُمور من شأنها کشف النقاب عن شرائط الجهاز الحاکم و النهوض بمهمّه الزعامه و الإمامه مِن قبیل: خلود هذه الزعامه و اعتماد القرآن دستوراً للحکومه الإسلامیه، و إیصال الأُمّه إلی بغیتها و طموحها، و تحقیق أهدافها الإنسانیه العُلیا، و بسط العدل و القسط، و إشاعه مفاهیم الإیمان، و القضاء علی الفتن و المفاسد و الانحرافات، و تحقیق استقلال البلاد، و القیام بکلّ هذه الامور للّه و فی اللّه، و الابتعاد عن زخارف الدنیا و زبرجها و عدم الاغترار بها، و الشفقه و الرأفه بالرعیه، بحیث لا یسلب نمله جلباب شعیره، کما قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام(۱) و الاغتمام و التألّم من الاعتداء علی حقوق المسلمین، إلی جانب ذلک نری ضروره التعمّق فی القرآن الکریم من أجل الوقوف علی هذه الشرائط، و ما أورده علماء الکلام بهذا الشأن.

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۴۹۵.

خلاصه شرائط الإمامه:

۱- العصمه ۲- الأفضليه و الأرجحيه ۳- عدم الاشتمال على الظلم و الشرک ۴- العلم التامّ و الإحاطه بالقرآن و الأحکام الإسلاميه ۵- الکرم ۶- الزهد ۷- الحلم ۸- سداد الرأی ۹- الفصاحه ۱۰- الشجاعه ۱۱- المروءه و الشهامه ۱۲- طهاره المولد ۱۳- سلامه البدن و عدم النقص فی الخلقه. هذه نبذه من الصفات التی ينبغی توفّرها فی الإمام، و هناک صفات أُخری يمکن إيجازها فی هذه العباره: «أفضليته فی جميع الکمالات النفسيه علی سائر الأفراد و اشتماله علی کافّه الشرائط، و تمتّعه بالسلامه الجسميه التامّه الخاليه من النقص و العيب».

بحث فی تفاصيل هذه الشرائط:

علل الزعامه: لا تعتبر الزعامه بطبعها أمراً تعاقدياً و لو تقدّمت جماعه علی أُخری؛ فإنّ هناک عناصر توجب مثل هذا التقدّم، من قبيل التمتّع ببعض المزايا التی

تجعل البعض يتقـدّم على البعض الآخر الذى لا يتحلّى بمثل هذه المزايا، الأمر الذى يحتّم على الفاقد اتّباع الواجد و الخضوع له. فلو كـان هنـاك طفـل أعقـل و أفضـل و أرأف و أكفأ من سـائر الأطفـال؛ فإنّه يلفت نظرهم إليه و يُشار له بالبنان فى محلّته بما يجعلـه رئيسـاً لهـم فى اللعب مثلًا. و لـو كـان هنـاك فى السـوق فرد ذو كفـاءه و درايه، و كـان بعيـداً عن الغشّ و التـدليس فى معاملاته و ذا أفكار تفيـد الآخرين فى التجاره، و يعتمـد العفو و الشـجاعه و الأخـذ بيـد الضـعفاء و إعانه الفقراء من أهل السوق، فممّا لا شكّ فيه أنّه سيصـبح قـدوه للآخرين الـذين يرون أنفسـهم مضـطرّين لاتّباعه و اقتفاء أثره، و بالتالى سـيحتلّ موقعاً يجعله مرشداً و هادياً لزملائه فى العمل.

و هكذا سائر الموارد. و تصدق هذه القضـيه بالنسـبه للشرائط التى يرى الإسلام إيجابها لنهوض بعض الأفراد بقياده الامّه. و الذى نريد أن نخلص إليه هو عدم وجود القيود المفروضه من قِبل الإسلام على إشغال هذا المنصب، بل هنالك شرائط مطلوبه يقتضى الطبع السـليم و الفطره الطـاهره توفّرهـا فى الإمـام، فطبيعه فطره الإنسان تقوده إلى اختيار مثل هؤلاء الأفراد الـذين يتمتّعون بهـذه المزايا.

سؤال:

يمكن أن يُطرح سؤال، و هو إذا كانت هذه الشـرائط متوافره فى شـخص فمن الطبيعى على الأُمّه أن تختاره زعيماً و لا ترى لغيره مثل هذا المقام، فكيف اعتبرت- فيما مضى- قضيّه الإمامه انتصابيه، و أثبتَّ أنّ الإمامه من المناصب الإلهيه المرادفه للنبوّه و التى تتعيّن من خلال الوحى؟ فهل هناك من حاجه لهـذا النصب الإلهى إذا كانت الشـرائط المذكوره متوفّره؟ فإنّه من الطبيعى لواجد هذه الشرائط أن ينتخبه الناس.

الجواب:

أوّلًا: کما قیل سابقاً فإنّ الانتخاب الصائب أمر فرضی، و لا یمکن لهذا الانتخاب أن یتحقّق فی المجتمعات التی یقودها الظلمه الذین یتلاعبون بمقدّرات الأُمّه، و هذا ما لمسناه فی التجربه الإسلامیه التی هبّ فیها الظلمه لحرفها عن مسارها الصحیح. ثانیاً: علی فرض إمکانیه حدوث الانتخاب الصائب فهناک مشکله عویصه تکمن فی تعذّر تشخیص الأُمّه للفرد الجامع لهذه الشرائط، بل مثل هذا الأمر محال علی الأُمّه، بسبب ضعف قدره تشخیصها، و لذلک کانت هذه المهمّه للّه المحیط بکافّه خصائص الأفراد إِنَّ اللَّهَ بَصِیرٌ بِالْعِبادِ(۱). و الآن لا بدّ أن أنّه نری هل تعرّض القرآن الکریم لهذه الشرائط المعتبره فی الإمام؟ و علی فرض استعراض القرآن لهذه الشرائط، هل اعتبر النجاح و الموفقیّه کامنه فی هذه الشرائط؟ و بعباره أُخری: هل یحکم القرآن بما تحکم به الفطره بالنسبه لمقام الإمامه و یمضی هذا الحکم، أم یفرض إرادته فی هذا النصب بما لا ینسجم و العقل و الفطره السلیمه؟

القرآن و شرائط الإمامه

قلنا- سابقاً- بأنّ إبراهیم علیه السلام قد أصبح إماماً بعد أن اجتاز الاختبارات السبع، و قد تمثّلت مواد الاختبار بامتلاک القدره العمیقه من أجل الزعامه و المنطق القوی الاستدلالی و الشجاعه و الزهد و المروءه، و فی مقدّمتها الشجاعه فی مجابهه

۱- سوره غافر: الآیه ۴۴.

الأفكار السائده القائمه على أساس الجهل و الخرافه، فقد كان إبراهيم عليه السلام شديداً فى التنمّر للحقّ مضحّياً فى سبيل اللّه.
كلّ هذه الامور أعدّت إبراهيم عليه السلام للإمامه، حتّى أفاضها اللّه عليه، و عليه فقصّه إبراهيم عليه السلام قد ركّزت على شرائط الإمامه، مع ذلك سنحاول دراسه سائر الآيات الوارده بهذا الشأن.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسی إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِکاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ. وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکاً قالُوا أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ. وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ آیَةَ مُلْکِهِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ التَّابُوتُ فِیهِ سَکِینَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ بَقِیَّةٌ مِمَّا تَرَکَ آلُ مُوسی وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِکَةُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (سوره البقره: الآیات ۲۴۶– ۲۴۸).

طلب قائد للجيش

تتحدّث هذه الآيات عن قصّه نبی من أنبياء بنی إسرائيل، و طلب أتباعه منه بعث ملک و قائد من أجل استعاده الأراضی السليبه، و نتعرّف فی هذه القصه علی شخص باسم طالوت الزعيم المصطفی من قِبل اللَّه، و جالوت الدكتاتور الغاشم، فقد نزح بنو إسرائيل عن وطنهم من جرّاء قهر جالوت و جبروته، و قد تركوا أموالهم و أبناءهم فی قبضه جيش جالوت ليعيشوا بعيدين عن وطنهم، فسألوا نبيّهم أن يبعث لهم قائداً لمقاتله جالوت و استعاده أراضيهم و العوده إلی ديارهم و أبنائهم فاستجاب لهم نبيّهم، فاصطفی لهم اللَّه طالوت قائداً. و لكن لم يصمد للقتال إلّا فئه قليله من تلک الجماعه العظيمه، و أخيراً تمكّنت تلک الفئه القليله بعد الاتّكال علی اللَّه و الصبر و الصمود من إلحاق الهزيمه بالعدو و الانتصار عليه. و نحاول الآن تسليط الضوء علی هذه الآيات للوقوف علی بعض الأُمور: فقد طلبت جماعه عظيمه من نبيّها أن يختار لها قائداً من أجل التخلّص من الأسر و النزوح و خوض معركه مقدّسه (فی سبيل اللَّه) فأراد ذلک النبی أن يعرف

مدى استعدادهم للقِتال، فطرح عليهم هذا السؤال: هل أنتم مستعدّون لخوض القتال إذا كُتب عليكم؟ فأجابوه جميعاً: و ما لنا ألّا نُقاتل فى سبيل اللَّه، بعد أن فقدنا كلّ شى ء!

ملاحظه مهمّه:

لقد استعدّت تلك الجماعه و تأهّبت للقِتال من أجل استعاده وطنهم و تحريره من المحتلّين الظلمه، و قد فوّضوا لنبيّهم اختيار قائد يقودهم. و هنا ورد التعبير عن هذه المعركه بالقتال فى سبيل اللَّه، و عليه: فإنّ القتال من أجل استقلال البلاد و تطهيرها من دنس الأعداء يعتبر قتالًا فى سبيل اللَّه، و لمّا كان الهدف الأصلى فى مثل هذه المعارك إحياء معالم الأنبياء و معارف الدين و تحقق كلمه التوحيد، فإنّ أبطال هذه المعركه إنّما يُقاتلون فى سبيل اللَّه، و هذا هو سبيل المجد و العظمه و تنظيم شئون المجتمع و تحريره من براثن المستعمرين، أى أنّ المقاتلين و باتّكائهم على اللَّه و القرب منه لا- بدّ أن يكون هدفهم الأصلى هو تقويه الأسس الدينيه و التعاليم الإلهيه؛ و سيضاعف هذا الهدف من قدرتهم القتاليه بما يجعلهم يخرجون منتصرين من تلك المعركه. و بناءً على هذا لا ينبغى أن يقتصر دافع القتال على استعاده الأراضى المحتلّه، و لا بدّ أن يكون الدافع الرئيسى هو القتال فى سبيل اللَّه، و هو الدافع الذى يتضمّن الاستقلال و التحرير أيضاً، و بالنتيجه فإنّ مثل هؤلاء المقاتلين سينتصرون و يهزمون الأعداء. إذن، فالاستقلال و النصر و طرد الأعداء لا- يقتصر على دافع حبّ الوطن فحسب، بل ينبغى أن يكون حبّ اللَّه هو الهدف، و الذى تتمكّن البشريه من خلاله تحقيق الانتصارات الباهره و الحصول على الاستقلال.

طالوت:

لقـد اسـتجاب النبى لطلب قومه، فسـأل اللَّه ملكـاً مقتـدراً عليمـاً من أجـل زعامه الجيش فى القتال. فبعث اللَّه طالوت ملكاً، فأخبر النبى قومه بـأنّ أميرهم المنَصَّب من قِبـل اللَّه هو طـالوت. أمّـا طـالوت فلم يكن من الطبقه المترفه الرفيعه فى المجتمع، و لم يكن ثريـاً عزيزاً حسب الطرق المُتعـارفه، بـل كـان ينتمى إلى طبقه فقيره معـدمه فى المجتمع، غير أنّه كـان قوياً لا يُضاهى فى العلم و الشـجاعه، و قد زاده اللَّه بسـطه فى العلم و الجسم، إلى جانب خبرته بفنون القِتال. و له قلب سـليم مملوء بحبّ اللَّه، و بالتالى فإنّ طالوت اصطفى من قِبل اللَّه من بين تلك الجماعه العظيمه للقيام بهذه الوظيفه الخطيره، و هنا التفت النبى إلى قومه المبعدين عن وطنهم و الذين يئنّون من أسـر نسائهم و فلذات أكبادهم لدى جالوت، و هـم يعيشون القلق و الاضطراب من أجل استعاده وطنهم و الإطـاحه بجالوت، فقال لهم: لقـد بعث اللَّه لكم طالوت فهبّوا للقتال تحت إمرته. عاده ما تنصاع عامه الناس لمثل هؤلاء القاده، أمّا الطبقه المرفّهه و المتْرَفه الثريه التى تعتقـد بأنّ الثروه تضـفى عليهم جمالًا باطنياً زائـداً على جمالهم الظاهرى المزيّف، و حيث كـانوا يمتلكون الأُمـوال فهم يرون أنفسـهم جامعين لكلّ شـروط الكمال، و عليه فهم الـذين ينبغى أن يتزعّموا البلاد و يأخـذون بزمـام الأُمور، و على الجميع أن يخضـعوا لإرادتهم و ينصاعوا لأوامرهـم، فوقفوا بوجه نبيّهم قائلين: ما ذا يعنى هـذا الاختيار؟ أنّى يكون له الملـك علينـا و لم يؤت سـعه من المـال؟ هو ليس بغنى ليتزعّمنـا و تكون له الإمـره علينا! أو لست إلى جانب زعامتنا يا رسـول اللَّه؟ أو ليس رسـاله الأنبيـاء هى دعم الأغنيـاء؟ أ و ليس الـدين من إفرازات البنيه الفكريه للأغنيـاء؟ و قـد انبثقت دعـوته لتأمين منافع و مصالح هذه الطبقه، فكيف تبرّر قضيه

انتخاب طالوت؟ نحن لا نراه لنا زعیماً، و لا نری له من مقام، و الزعامه و القیاده من حقوقنا المسلّمه، فلدینا الثروه و الأموال. هذه هی اللغه التی اعتمدها الأثریاء و الأغنیاء فی اعتراضهم علی الأمر. فأجابهم نبیّهم قائلًا: أنا رسول اللّه و لا أنطق إلّا عن الوحی، و قد اختار اللّه القادر الحکیم طالوتَ لإخلاصه ملکاً علیکم، فکیف ترون أنفسکم أحقّ بالإمامه و الزعامه من أجل خلاص وطنکم و إنقاذه من أیدی الظلمه، و الحال لیس لکم سوی مزیّه فارغه لا ـ تقوی أن تمنحکم ما تریدون! کیف ترون لباس الزعامه یسعکم و لیس لکم من أفضلیه علی الآ ـخرین سوی هذه الثروه المزیّفه؟! و هل للثراء من سبیل إلی الزعامه؟! فما العلاقه بین المال و الثروه و زعامه المجتمع! أمّـا طالوت فهو جدیر بمقام الإمامه و الزعامه، لاشتماله علی شرائطها و مقوّماتها، فهو عالم مقتدر ذو بسطه و قدره بدنیه تؤهّله للصمود أمام العدوّ، بل هو أشجع المقاتلین. إنّ إمامه الأُمّه و زعامه الجیش فی الحرب من أجل إحقاق حقوق الضُّعفاء إنّما تتطلّب فرداً عالماً، ملمّاً بفنون القتال، شجاعاً و مقداماً و متماسکاً أمام العدو، قادراً علی السیطره علی الجیش و تحقیق النصر، و قد جُمعت کلّ هذه الصفات فی طالوت. طالوت الذی یمکنه أن یکون إماماً، بفضل اشتماله علی مقوّمات الإمامه، ینبغی أن یکون له الملک حتّی یحقّق الاستقلال، و یستعید الأراضی السلیبه، و یعید النساء و الأطفال إلی أحضان آبائهم، و یستردّ الأموال و الثروات التی نهبها الأعداء، و هذا هو الغرض من الزعامه و الإمامه، و إذا لم تکن هذه الأُمور متوفّره فی الإمام فأنّی له حفظ استقلال البلاد و سیادتها و وحده أراضیها و دحر العدوّ الطامع؟! فالملک للّه، یؤتی ملکه من یشاء، و لیس لکلّ فرد التصرّف فی هذا الملک، و هو العالم بمَن یسعه القیام بمهمّه الإمامه و من هو أولی بها من غیره، و لیس بینکم

من هو أولى بها من طالوت. نعم، إنّ اللّه يؤتى ملكه من تعلّقت به مشيئته، و تعلّق المشيئه ليس أمراً اعتباطياً، فلم تتعلّق مشيئه اللّه بطالوت عبثاً، و ما ذلک إلّا لإخلاصه و علمه الذی جعل اللّه يختاره ملکاً و اماماً على الناس.

خلاصه هذا البحث:

يمكن خلاصه ما مرّ من الدراسه المفصّله فى الآيه القرآنيه الشريفه:- وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ. لم يستجب قوم بنى إسرائيل و خاصّه الملأ منهم لهذا النبىّ كعدم استجابه الغالبيه من الناس لدعوات الأنبياء عليهم السلام، فاضطرّ ذلک النبى للإتيان بشاهد حتّى لتأييد صحّه قوله، و ليفهم الجميع بأنّ لطالوت صلاحيه الملک و الإمامه، و لنفهم نحن أيضاً ما هو الشرط الآخر الذى ينبغى توفّره من أجل الإمامه و الشاهد الحىّ هو «التابوت».

التابوت:

وردت كلمه «التابوت» فى هذه القصّه القرآنيه، و الألف و اللام فى الكلمه تفيد كون ذلک التابوت معرفه، أى كان معروفاً من قِبل بنى إسرائيل. و الذى نفهمه من القرآن أنّ ذلک التابوت كان يضمّ بعض الودائع- التى من شأنها إشعار بنى إسرائيل بالسكينه- و آثاراً تركها موسى و هارون عليهما السلام، و يعبّر القرآن عن هذه الصوره بقوله: يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ

. و قبل الخوض فی التفاصیل لا بدّ من القول بأنّ التابوت یعنی الوعاء و الصندوق. فقد ورد فی اللغه أنّ التبوت، کصبور: لغه فی التابوت(۱). و قیل: هو صندوق التوراه من خشب(۲). و أمّا الأُمور التی تستفاد من الآیه فهی: ۱- أنّ ذلک الصندوق کان یضمّ ودائع و أمانات توجب سکینه الإنسان. ۲- کانت تلک الودائع تحمل السکینه بعنایه اللّه و لطفه. ۳- نفهم من مناسبه الحکم و الموضوع- أی الشی ء الذی یؤدّی إلی سکینه بنی إسرائیل- أنّ ذلک الصندوق کان یضمّ بلا شکّ التوراه أو بعض آیاته، لأنّ التوراه التی من شأنها سکن و هدوء بنی إسرائیل. ۴- یفهم من العباره «و بقیه ...» أنّ ذلک الصندوق لم یضمّ التوراه لوحدها، بل کانت هناک الأشیاء التی تناقلتها أیدی أهل موسی و هارون من قبیل عصا موسی و ما شابه ذلک. ۵- أنّ الصندوق قد نهب، و هو الأمر الذی جعل بنی إسرائیل یشعرون بالتذمّر؛ لأنّه کان یرمز لعظمتهم إبّان عصر موسی و هارون علیهما السلام، و واضح أنّ الصندوق قد سلب منهم بسبب عدم کفاءتهم، کما لیس لهم القدره علی إعادته. ۶- کان بنو إسرائیل مطّلعین علی أهمّیه ما یحمل من أسرار. ۷- أنّ لکلِّ مَن یسعه الإتیان به جداره زعامه الأُمّه و قیادتها. و لذلک اعتبر ذلک النبی أنّ أفضل دلیل علی کفاءه طالوت و أهلیته للملک تکمن فی إتیانه بذلک الصندوق، کما أنّ بنی إسرائیل سیقرّون بصلاحیه طالوت و الإذعان بعجزهم و عدم صلاحیتهم إذا ما قام طالوت بتلک الوظیفه الخطیره، و خلاصه ما أوردناه قد ورد فی هذه الآیه الشریفه: وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ آیَهَ مُلْکِهِ

۱- تاج العروس ۳: ۲۵.

۲- مجمع البحرین ۱: ۲۳۳.

أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَهُ إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. ثمّ إنّا و قد استفدنا من الآیه الکریمه ما ذکرناه و قلنا: إنّ ظاهر الآیه الشریفه تدلّ علی المطلوب، لکن مع غضّ النظر عن ذلک نشیر إلی روایه وارده حول تفسیر الآیه الشریفه.

حدیث أبی بصیر:

علی بن إبراهیم قال: حدّثنی أبی، عن النضر بن سوید، عن یحیی الحلبی، عن هارون بن خارجه، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: «إنّ بنی إسرائیل بعد موت موسی عملوا بالمعاصی و غیّروا دین اللّه و عتوا عن أمر ربّهم، و کان فیهم نبی یأمرهم و ینهاهم فلم یطیعوه، فسلّط اللّه علیهم جالوت؛ و هو من القبط، فأذلّهم و قتل رجالهم و أخرجهم من دیارهم و أموالهم و استعبد نساءهم- إلی أن قال- فقال لهم نبیّهم: «إنّ آیه ملکه ...» و کان التابوت الذی أنزل اللّه علی موسی فوضعته فیه امّه و ألقته فی الیمّ، فکان فی بنی إسرائیل معظّماً یتبرّکون به، فلمّا حضرت موسی الوفاه وضع فیه الألواح و درعه و ما کان عنده من آیات النبوّه و أودعه یوشع وصیّه، فلم یزل التابوت بینهم حتّی استخفّوا به، و کان الصبیان یلعبون به فی الطرقات، فلم یزل بنو إسرائیل فی عزّ و شرف ما دام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصی و استخفّوا بالتابوت رفعه اللّه عنهم، فلمّا سألوا النبیّ بعث اللّه تعالی طالوت علیهم ملکاً یُقاتل معهم ردّ اللّه علیهم التابوت»(۱). و نفهم من هذا الحدیث ما یلی: ۱- اهتمّ القرآن الکریم اهتماماً کثیراً بقضیه الإمره و الزعامه، و لیس لأیّ فرد النهوض بهذه المهمّه.

۱- تفسیر القمّی ۱: ۸۱- ۸۲، و عنه بحار الأنوار ۱۳: ۴۳۸ ح ۴.

۲- ینبغی أن یکون الزعیم الـدینی عالماً و مقتـدراً، أی یمتلک العلم و القدره. ۳- لا بدّ أن یکون بصـیراً ملمّاً حتّی بفنون القتال. ۴- یجب أن یتمتّع بقـدره بـدنیه مرموقه. ۵- لاـ بـدّ أن یتحلّی بحنکه الزعامه. ۶- یجب أن یرد میـدان الحرب بنفسه إذا اقتضـت ذلک مصالح الأُمّه. ۷- لا بدّ أن یکون شجاعاً باسلًا فی الحروب. ۸- یجب أن یحفظ استقلال البلاد و یستأصل جذور الاستعمار. ۹- لا بدّ أن یعید إلی الأذهان أمجاد الماضـی التی اعتراها النسیان. و علیه: فخلاصه الشروط التی یراها القرآن الکریم فی منصب الزعـامه تتمثّـل بالجـداره، العلم، القـدره، الخبره بأوضـاع المجتمع، سـلامه الجسم، الإحـاطه بفنون القتـال، الشـجاعه و الإقـدام و التدبیر، کما یفهم من الآیات أنّ الزعامه منصب إلهی، و اللَّه هو الذی ینصّب الزعیم.

قولنا أم قول المفسّرین؟

نحن نقول بـأنّ التـابوت کان بیـد جیش جالوت، و کان باسـتطاعه طالوت أن یسـتعیده، و هـذه العملیه المعقّـده کانت دلیلًا علی صلاـحیّته لإـمره الجیش و الزعـامه، إلّـا أنّ القرآن الکریم یقول: یـأتیکم التـابوت. أ و لیست هـذه العباره تؤیّـد تلک الطائفه من المفسّرین التی قالت بأنّ التابوت قد رفع إلی السماء و إنّ رجوعه من السماء معجزه تبیّن صحّه قول النبی بشأن إمره طالوت؟ فقد جـاء التـابوت و رآه بنو إسـرائیل فـأذعنوا لزعـامه طـالوت و تـأهّبوا للقتـال، و هلّـا کـانت عبـاره «و تحمله الملاـئکه» تؤیّـد أقوال المفسّرین؟

الجواب:

يبـدو أنّ هـذا القول ليس بتـام- و اللَّه أعلم- لأنّ عبـاره «يأتيكم التابوت» «التابوت» فاعل للفعل «يأتى» دليل على أنّ القوم كانوا منزعجين جدّاً من فقدان التابوت الذى يحتوى آيات المجد و العظمه، و أنّهم كانوا يتطلّعون إلى الظفر به ثانيه.

و جمله «يأتيكم التابوت» تشـعر بأنّ نبيّهم قد بشّـرهم بعوده التابوت، حيث قال لهم: «يأتيكم التابوت فيه سـكينه من ربّكم» و هذا وعد من نبيّهم ليس أكثر، أمّا القطعى فهو قول النبى الذى يسـتند إلى كفاءه طالوت بحيث قال: إنّ التابوت يأتيكم، و هو كاشف عن مدى جداره و أهليه طالوت، و هو الأمر الذى ينسـجم و الدلاله على زعامته، و إلّا فإنّ مجى ء التابوت من السماء ليس له من علاقه بكفاءه طالوت من قريب أو بعيد، بل هو دليل على صدق نبىّ بنى إسرائيل، بينما نعلم أنّهم طالبوه بآيه بحقّ طالوت، لا آيه تثبت صحّه قوله. فالآيه وارده بشأن مَن يستعيد التابوت. و بناءً على هذا فإنّ العباره «يأتيكم التابوت» وعد قطعى باسترداد التابوت من قبـل طـالوت الجـدير بهـذه المهمّه، و الآـيه اللاـحقه تكشف أنّ هـذا الأمـل هو الـذى دفعهم لقبول إمرته و التأهّب للقتال، و لـذلك صـدّر القرآن الجمله اللاحقه بالفاء «فلمّا فصل طالوت»، أى أنّهم اسـتعدّوا لاسترداده على ضوء ذلك الأمل. و قد نسـب شيخ الطائفه- و هو أحد جهابذه الفقهاء و المحقّقين و المفسّرين- فى تفسيره المعروف «التبيان» هذا المعنى إلى ابن عباس، كما نقل عن الإمام الصادق عليه السـلام فقال: «و قيل: إنّ التابوت كان فى أيـدى أعـداء بنى إسـرائيل من العمالقه الذين غلبوهم عليه على قول ابن عباس و وهب، و روى ذلك عن أبى عبد اللّه عليه السلام»(۱).

۱- التبيان فى تفسير القرآن ۲: ۲۹۲.

و لا ـ ينبغى أن يفهم من كلمه «و روى» التى أوردها الشيخ فى الروايه عن الصادق عليه السلام توحى بعدم الوثوق بها؛ لأنّ كلّ من له معرفه بتفسير التبيان، يعلم أنّ عصر الشيخ رحمه الله كان يقتضى مثل هذه التعبيرات فى الروايات المعتبره، فقد كان يحتاط و يفهم الآخرين بعدم انطواء تفسيره على التعصّب، و لذلك كان يتعرّض فى تفسيره إلى أقوال العامّه و يحاكمها بأُسلوب علمى رصين بعيداً عن التعصّب. أمّا الروايه الأُخرى التى تؤيّد ذلک، فما ورد فى تفسير نور الثقلين عن عيون الأخبار، أنّ شاميّاً قد سأل أمير المؤمنين على عليه السلام فى مسجد الكوفه عدّه أسئله و منها: «يا أمير المؤمنين أخبرنى عن يوم الأربعاء و تطيّرنا منه و ثقله و أىّ أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء فى الشهر و هو المحاق، و فيه قتل قابيل هابيل أخاه- إلى أن قال:- و يوم الأربعاء أخذت العمالقه التابوت(۱). فالروايه واضحه بأنّ التابوت كان بيد العمالقه(۲)، إلّا أنّه كان فى السماء و استعاده طالوت.

زبده الكلام:

اتّضح من هذه الآيات- مع الأخذ بنظر الاعتبار المؤيّدات و الروايات- أنّ الزعامه من وجهه نظر القرآن قائمه على أساس بعض الشرائط، فالزعيم لا بدّ أن يمتلک العلم و التجارب المريره فى الحياه، لا بدّ أن يكون ذا قدره بدنيه تؤهّله لإداره

۱- تفسير نور الثقلين ۲: ۳۷۴، نقلًا عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ۱: ۲۴۷.

۲- نتيجه التحقيقات التى أوردناها تفيد بما لا يقبل الشک أنّ التابوت كان بيد العمالقه و جلاوزه جالوت الطاغى، و لعلّه يقال: لم يأت طالوت بالتابوت، بل كان ذلک آيه وقعت قبل التأهّب للقتال و دليل من أجل تقبّل إمره طالوت، أى أنّ اللَّه جعل الإتيان بالتابوت آيه لزعامه و إمره طالوت حتّى تنصاع الأُمّه لأوامره، و ربّما كانت علاقه الحكم بالموضوع تتفق و هذا الأمر، و ذلک لأنّه ما لم يكن هناک اطمئنان لزعامه طالوت، سوف لن يكون هناک تأهّب للقتال، و عليه فمن الضرورى حصول هذه الآيه ابتداء، و هذا لا يتنافى و عظمه التابوت من وجهه نظر بنى إسرائيل، و لا يخدش المراد بقضيه الإمامه استناداً للآيات الشريفه.

شئون الحکومه و الحفاظ علی استقلال البلاد، و ما إلی ذلک من الشرائط و المقومات التی ذکرناها کراراً و مراراً. و لکن قد یبرز هنا هذا السؤال: سؤال: أوّلًا: لقد ذکر القرآن الکریم هذه الشرائط بالنسبه للقیاده العسکریه، أی أنّ قائد الجیش ینبغی أن یکون صاحب رأی سدید و مقتدر و ذا قوّه بدنیّه و عالماً بفنون القتال. و لیس فی هذه الشرائط ما یدعو للغرابه، فجمیع العُقلاء و المفکّرین یتفقون علی هذا الأمر، إلّا أنّ البحث کان فی الإمامه. فکیف یستدلّ علیها بهذه الآیات؟ ثانیاً: القصّه وارده فی بنی إسرائیل و زعامه طالوت فی ذلک الزمان، فکیف یمکن تعمیمها لتشمل زعماء الإسلام فی أنّه لا بدّ أن یکونوا جامعین لهذه الشرائط؟

و إلّا للزم من ذلک أن نقول بکلّ شرط إلهی ورد فی زعامه موسی و أمثاله، بالنسبه لزعماء و أئمّه الإسلام! جواب: یمکن طرح هذا السؤال بصیغتین: ۱- هل أنّ شرائط الإمامه فی بنی إسرائیل ذاتها فی الإسلام، و کلّ شرط للزعامه فی بنی إسرائیل لا بدّ أن نراه شرطاً فی الإسلام أیضاً؟ ۲- تنطوی إمره الجیش علی بعض الشرائط الطبیعیه و العقلائیه، و هذا ما أشارت إلیه الآیات الکریمه، فهل الإمامه کذلک فی أنّها تتوقّف علی الموازین العُقلائیه و الطبیعیه؟ أم أنّ تلک القیود مختصّه بقائد الجیش، فمثلًا قائد الجیش لا بدّ

أن يكون ذا قدره بدنيه و إحاطه بفنون الحرب و القتال، فلم يكن طالوت على ضوء الآيه أكثر من قائد للجيش. للردّ على السؤال الأوّل نقول: النقطه الأُولى: أنّ أُصول الأديان واحده من حيث البنيه العقائديه، و ليس هنالك من دين ناسخ لآخر من هذه الناحيه، فنسخ أُصول الدين ليس بمعقول، و لمّا كان الكلام عن النسخ، لا بأس ببحث هذه المسأله لتتّضح حقيقه الموضوع. النسخ: النسخ يعنى إزاله الشىء و استبداله بآخر بحيث يحلّ الثانى بدل الأوّل، فالعرب تقول: «نسخت الشمس الظلّ» و «نسخ الشيب الشباب»(۱). و عليه فهناك أمران معتبران فى مفهوم النسخ إلى جانب إزاله المنسوخ، و هما: ۱) اعتبار ما يحلّ محلّ المنسوخ. ۲) اعتبار النقل و التبديل. و يؤيّد ما ذهبنا إليه استعمال كلمه «المناسخه» فى باب الإرث، فكلّما مات وارث و حلّ محلّه وارث آخر، أو مات هذا الثانى و حلّ مكانه ثالث استعملت لفظه المناسخه بهذا الشأن، و نلاحظ هنا بأنّ وارثاً قد خلّف وارثاً آخر، و قد حدث انتقال و تبديل فى الإرث من يد إلى أُخرى. و قد عبّر القرآن بالتبديل عن نسخه بعض الأحكام و الآيات، فقد قالت الآيه الشريفه: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ(۲). فالآيه الثانيه تزيل الاولى و تحلّ محلّها، و هذا هو النسخ.

۱- انظر التبيان فى تفسير القرآن ۱: ۳۹۳، مجمع البيان ۱: ۳۰۰.

۲- سوره النحل: الآيه ۱۰۱.

و على كلّ حال، فى القرآن الكريم آيات ناسخه لآيات أُخرى، و الآيه المنسوخه باقيه على حالها مدوّنه فى القرآن، و النسخ لا يعنى إزاله صورتها من كونها آيه، فهى باقيه و محفوظه من حيث النزول، و لكن لم يعدّ لها من أثر، و فقدان الشى ء لأثره يعنى فى الواقع زواله و تساوى وجوده و عدمه ... إذن، فالنسخ لا يعنى شيئاً أكثر من زوال الأثر. و بعباره أوضح: فإنّ نسخ الآيه هو عباره عن إزاله حكمها و استبداله بحكم الآيه الثانيه «الناسخه». و نخلص من هذا إلى أنّ نسخ الآيات إنّما يقتصر على الآيات المتعلّقه بالأحكام، و لا يسرى هذا النسخ أبداً إلى الآيات التى تتعرّض إلى الحقائق المسلّمه التى لا يعتريها التغيير. أ فيمكن تصوّر النسخ بحقّ الآيه الشريفه اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ؟ أو يمكن زوال الحقائق الثابته و الدائمه؟ و لمّا كانت الأديان واحده فى العقائد، و قد نهض جميع الأنبياء بمهمّه هدايه الامم لهذه العقائد، فإنّه يمكننا القول بأنّه ليس هنالك من دين ينسخ آخر من حيث الاصول العقائديه، فالاعتقاد باللّه و الثواب و العقاب و الحساب و صفات الجمال و الكمال إنّما هى من الحقائق المسلّمه التى تأبى التغيير و الزوال، و لذلك فإنّ النسخ إنّما يكون فى الشرائع. و بعباره أُخرى: لا بدّ من الإذعان بأنّ الدين الإسلامى ليس بناسخ لنبوّه و رساله من كان قبله من الأنبياء، بل القرآن ناسخ لشرائع سائر الأنبياء، فهذا القرآن لا ينفكّ يؤكّد أنّ الكتاب السماوى الإسلامى مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ(۱) مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ(۲). مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ(۳). مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ(۴)

۱- سوره البقره: الآيه ۸۹، ۱۰۱.

۲- سوره آل عمران: الآيه ۸۱.

۳- سوره الأنعام: الآيه ۹۲.

۴- سوره البقره: الآيه ۴۱؛ سوره النساء: الآيه ۴۷.

مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ(١)، وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراهِ ...(٢). و لكن لا ينبغى أن نغفل عن قضيه، و هى أنّ كلّ ما يقوله موسى و عيسى عليهما السلام بالنسبه للّه، يقوله خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، فالجميع يصفون اللّه بأنّه حكيم و قدير و عليم و سميع، غير أنّ أُسلوب الأنبياء يختلف فى معرفه حقيقه كون اللّه حكيماً و سميعاً و عليماً و ... لأنّ أتباع الرسل يختلفون فى درجه الفهم و الإدراك، بل حتّى الأنبياء يختلفون فى مدى إدراكهم لجميع المغيّبات تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ(٣). فالأُمّه الإسلاميه قد بلغت آخر مراحل الفهم و الإدراك، و من الطبيعى أن تكون الحقائق التى تطرح على هذه الأُمّه متعذّره الفهم و الإدراك على الامم الماضيه، و أنّ الحقائق و الإدراكات و الأنوار التى أفاضها اللّه على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لا يسع سائر الأنبياء تحمّلها و استيعابها. فالحقائق فى كافّه الأديان واحده، غير أنّ طرق التعرّف عليها متشعّبه، و كلّما تطوّرت العلوم و المعارف تعمّق هذا الفهم و الإدراك بالنسبه للحقائق، و لذلك يمكن القول بأنّ محمّد صلى الله عليه و آله قد سلك آخر مراحل التوحيد، و للُامّه الإسلاميه فقط و بفضل التطوّر العلمى الذى تشهده أن تبلغ ما تشاء من الدرجات، فقد فتح الإسلام الباب على مصراعيه أمام أتباعه، و لا يسعنا هُنا أن نخوض أكثر فى هذا المجال. و على كلّ حال تتفق كافّه الأديان فى أُصولها العقائديه، و ليس هناك من نسخ بهذا الخصوص. و الإمامه و الزعامه جزء من أُصول الأديان، حتّى أنّنا قلنا بأنّ الأنبياء إنّما

١- سوره البقره: الآيه ٩١.

٢- سوره المائده: الآيه ۴۶.

٣- سوره البقره: الآيه ٢۵٣.

یحرزون مقام الإمامه بعـد اجتیازهم لعـدد من الاختبارات و التمحیصات. و علیه: فالشـرائط التی ینبغی توفّرها فی الإمام إن کانت معتبره فی زعامه بنی إسرائیل فهی بطریق أولی واجبه التطبیق فی الإسلام. بعباره اخری: إذا کان طالوت ینبغی أن ینصّب من قِبل اللَّه قائـداً للجیش فقط، فإنّ أمیر المؤمنین علیه السـلام الحاکم المطلق لعالم الإسـلام یجب أن ینصّب أیضاً من جانب اللَّه و یقوم بوظیفه الإمامه، و إن کان شـرط إمره طالوت یتمثّل بالقدره العلمیه، و الخبره بفنون الحرب و القتال و الکفاءه و الجداره، و حفظ اسـتقلال بعض المناطق، فلا بـدّ أن تتوفّر قمّه هذه الشـرائط فی أمیر المؤمنین علی علیه السـلام، و لا یمکن القول بأنّ الإسـلام لا یلتفت لهـذه الأُـمور بـدون اقتضاء و لا شـرط، و أنّ إمام المسـلمین سواءً کان عالماً أم لم یکن، کفوءاً أم لیس بکف ء و ما إلی ذلـک لیست قضـیه مهمّه من وجهه نظر الإسـلام الـذی یمثّل آخر مراحل السـیر التکاملی للبشـریه. و علیه: فقـد اتّضـحت النقطه الأُولی من الإجابه علی السؤال الأوّل، مع ذلک نواصل طرح النقطه الثانیه لیتّضح الأمر أکثر.

النقطه الثانیه:

یمکن تنـاول النقطه الثانیه من زاویتین: زاویه عمومیه و تحقیقیه بشأن قصـص الأُمم المـذکوره فی القرآن الکریم، و الهـدف من هذا البحث هو التحقیق بشأن علّه سرد قصص الأُمم السالفه فی القرآن الکریم، و الوقوف علی الهدف العقلائی و المراد الأساسی الذی أراده الکتاب السماوی من طرح هذه القصص. و الزاویه الثانیه فی دراسه القصّه التی نحن بصددها و قصه طالوت و بنی

إسرائيل. و بالطبع فإنّ النتائج التى توصّلنا إليها فى الزوايه الأُولى تعتبر مفيده للحصول على النتائج من الزاويه الثانيه، و كذلك فى الإجابه على السؤال الأوّل. أمّا إذا أردنا أن نخوض بالتفصيل فى العنوان الأوّل فإنّ ذلك سيبعدنا عن البحث الأصلى «شرائط الإمامه من وجهه نظر القرآن» و لذلك سنمرّ سريعاً على العنوان الأوّل.

العنوان الأوّل: قصص الأنبياء و الامم الماضيه:

اشاره

لقد وردت قصص الأنبياء كثيراً فى القرآن الكريم، و قد تكرّر بعضها، و لكن أصل القصّه لم يتكرّر فى الحقيقه، بل كان الاستنتاج متنوّع فى نقل الحوادث فى مختلف الموارد. و لا ـ بدّ من القول بأنّ تعليم الأُمّه الإسلاميه كان من الأهداف الأصيله البارزه فى التعرّض لتأريخ الماضين، تعليمهم السبل التى تؤدّى إلى السعاده و الشقاء، و إلفات النظر إلى ردود الفعل التى أبدتها الأُمم السالفه إزاء دعوه الأنبياء و النتائج التى ترتبت على كلّ ردّ فعل، إلى جانب تنبيه الأُمّه الإسلاميه إلى الاصول الروحيه و أُسلوب تفكير سائر الامم، و لا سيّما أهل الكتاب و أوضاعهم الأخلاقيه. فمثلًا تعرّضت عدّه آيات من سوره البقره إلى أوضاع أهل الكتاب و لا سيّما اليهود، ليقف المسلمون على طبيعه أخلاقهم و اسلوب تفكيرهم و مدى العداء الذى يكنّونه للإسلام و القرآن، فلا يتّخذونهم أولياء و يظهرون لهم المودّه أبداً، بل يكونوا على حذر من هذه الأُمّه العنيده و الخطره. و على هذا فإنّ هناك تعليمات تجاه نوع من الأُصول المسلّمه التى تأبى التبدّل و التغيّر، و إلّا لو كانت مرنه يمكن أن تعتريها حاله التغيير، لما كانت من قبيل الأُصول الكلّيه التى ينبغى تعليمها الأُمّه الإسلاميه؛ فهناك حقائق ذات دروس و عبر فى هذه القصص التى من شأنها خلق الإنسان الفاضل، فمثلًا إذا واجهتنا

بعض المبانی المصیریه للإنسان فی قصّه موسی فإنّه لا یمکننا أن نقول بأنّها مختصّه ببنی إسرائیل و الأُمّه الإسلامیه مستثناه من هذا الأمر، و لا یسعنا هنا إلّا أن نشیر إلی بعض هذه المبانی بصوره مختصره و نترک الخوض فی تفاصیلها إلی أهل التفسیر. ۱- یزعم أحبار الیهود أنّ لهم الجنّه خالصه دون أن ینازعهم أحد فیها، و إن کان و لا بدّ من عذاب النار فهی لن تطالهم سوی أیّام معدوده وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَیَّاماً مَعْدُودَهً(۱). أمّا القرآن فقد ردّ بمنطق رصین علی هذا الزعم- الذی کان یبدیه المضلّون من أحبار الیهود بهدف التملّص من الإقرار بنبوّه محمّد صلی الله علیه و آله و الإسلام- فرفضه رفضاً قاطعاً و أثبت أنّهم من أصحاب النار و الشقاء الخالد یوم القیامه، و قد أوجز دلیله و برهانه الرصین فی هذه الآیه من سوره البقره: بَلی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَهً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ(۲). فهم یغرون الناس و یغلقون علیهم کلّ المنافذ لیفعلوا ما شاءوا فلا خوف علیهم و لا هم یحزنون. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ هؤلاء الناس سیملئون حیاتهم بالأعمال الشائنه و الأفعال التی تسوّد القلب و تنتهی بالإنسان إلی أدنی المراتب الحیوانیه، فهل لمثل هؤلاء الأفراد أن یبلغوا بعد ذلک السموّ الإنسانی؟ و هل لهم أن یتخلّصوا من طبائعهم العدوانیه؟ و هل لمثل هؤلاء الأفراد من حظّ یجعلهم یعیشون الحیاه الأُخرویه الهانئه؟ أم أنّهم سیذوقون وبال أمرهم لیکبّوا علی وجوههم فی النار من جرّاء أعمالهم القبیحه، و هل لهم إلّا الخلود فی النار؟ حقّاً لا یری العقل و الإنصاف لهؤلاء سوی عذاب النار خالدین فیها و بئس المصیر.

۱- سوره البقره: الآیه ۸۰.

۲- سوره البقره: الآیه ۸۱.

و بناءً على هذا البرهان و الاستدلال الواضح فلا تزعموا أيّها اليهود و لا سيّما الأحبار بأنّ مأواكم الجنّه و لن تمسّكم النار إلّا أيّاماً معدوده، و اعلموا أنّ سيرتكم و نهجكم سيجعلكم خالدين فى النار، و هذا ما قدّمته أيديكم فلم يكن فعلكم سوى حرف الناس عن الصراط المُستقيم، و تحريف الآيات و إنكار الحقائق التى أوردتها التوراه، و المتاجره بالدين من أجل ضمان منافعكم و مصالحكم، و تظنّون أنّكم إنّما تنفّرون الناس من محمّد صلى الله عليه و آله لتستمرّوا فى رئاستكم و زعامتكم، و لم تفكّروا بعواقب أفعالكم حتّى رانت السيّئات و أحاطت بقلوبكم، فذوقوا النار التى أوقدتموها بأيديكم خالدين فيها و بئس المصير. إثر تعرّض القرآن لأحبار اليهود، اندفع اليهود ليقيّموا أدلّتهم فى عدم التسليم للقرآن، و أنّ الجنّه خالصه لهم من دون الناس، و أنّهم لن يردوا النار، فما الذى يدعوهم للانصياع لمحمد صلى الله عليه و آله، فجاءهم الردّ القرآنى الحاسم فى أنّ هذا الزعم باطل، و أنّكم تستحقون الخلود فى النار. أمّا أُسلوب الاستدلال الذى ساقه القرآن فقد كان: أنّ الإنسان إذا درج على ارتكاب السيّئات و المعاصى فإنّها تغمسه فى هوى نفسه، بحيث لا تدع له مجالًا للعوده و الكفّ عن الذنوب، فتسيطر الظلمات على قلبه حتّى تغلق كافّه منافذ العلم و العقل فيغرق فى مستنقع من البؤس و الشقاء، هذا هو الاستدلال الذى أقامه القرآن ضدّ أحبار اليهود ليخلص بالتالى إلى أنّ مأواهم النار خالدين فيها. و هنا نقول: هل أنّ هذا الأمر يقتصر على اليهود؟ أم أنّه مبدأ كلّى للبشريه جمعاء؟ لا شكّ أنّ هذا الاستدلال يعدّ مبدأ كلّياً و لا سيّما بالنسبه للأُمّه الإسلاميه، فالمصير الذى لاقاه اليهود سيلقاه كلّ فرد مهما كان موقعه و دينه، إذا أوغل فى الذنوب و قضى عمره فى المعاصى و السيئات، ما لم يتب و يقلع عن تلك السيئات.

نعم، إنّ هـذه المحـاجّه القرآنيه لأحبار اليهود إنّما تهـدف إلى تنبيه المسـلمين، بل كلّ إنسان، إلى أصل مسلَّم من الأُصول التى تـأبى التغيير، و تنبيه الأُـمّه من أجـل سـلوك السبيـل القويم للفوز بالآـخره و الابتعاد عن سـبل الهلكه. و خلاصه هـذا الأصل: أنّ الإنسان إذا اعتاد الذنوب و لم يلتفت إلى نفسه، و قضى عمره فى الأفعال القبيحه، فلن يكون مصيره سوى النار و الخلود فيها. ۲- كان اليهود يسعون لإثبات أصاله دينهم و نفى الشـرعيه عن دين النصارى من خلال تشبّثها بإبراهيم عليه السلام، و هذا ما كانت تـدّعيه النصارى أيضاً وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْ ءٍ ...(۱)، فردّت عليهم الآـيه القرآنيه من سوره آل عمران قـائله: يا أَهْـلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراهُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْـدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ(۲). و قد أشارت آيه اخرى صراحه إلى مفهوم هـذه الآيه فقالت ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْـرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْـلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ(۳). فما الذى يمكن اسـتنباطه من هـذه الآيه؟ نفهم من هذه الآيه أنّ اليهوديّه و النصـرانيّه قد تجاوزت أهداف موسـى و عيسـى، فأتباع موسـى ليسـوا بيهود، كمـا لاـ يمكن لأتبـاع عيسـى أن يكونوا نصـارى؛ لأـنّ إبراهيم مسـلم، لاـ يهودى و لاـ نصـرانى. إذن، فـاليهوديه و النصـرانيه أسماء ابتدعها أهل الكتاب لأنفسهم، و هى تتنافى و التسليم للَّه و سلوك الصراط المستقيم، و ما سبيل موسى و عيسى سوى الإخلاص و التسـليم و العبوديه للَّه، فقد قال عيسـى عليه السـلام: إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِـراطٌ مُسْتَقِيمٌ(۴). و لا نبالغ إذا قلنا بأنّ الآيه تلمّح إلى شرك اليهود و النصارى،

۱- سوره البقره: الآيه ۱۱۳.

۲- سوره آل عمران: الآيه ۶۵.

۳- سوره آل عمران: الآيه ۶۷.

۴- سوره آل عمران: الآيه ۵۱.

فقد صرّحت قائله وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، و نترک الخوض فی التفاصیل إلی موضع آخر.

النتیجه:

الآیتان المـذکورتان تعرّضـتا للمحاجّه بین أهل الکتاب: الیهود و النصاری، کما اشترک القرآن فی هـذه المحاجّه لیقول: لستم- الیهود و النصاری- تابعین لإبراهیم، و لیس لإبراهیم من ارتباط بکم، فطریق إبراهیم هو الصـراط المُسـتقیم الذی یقود إلی الحقّ، و سبیـل إبراهیم هو الإخلاص للّه، و سبیل إبراهیم لا عوج فیه و لا انحراف، و أخیراً سبیل إبراهیم هو التسـلیم للّه و العبودیه له. و علیه: فهاتـان الآیتان اللتان تتحـدّثان عن محاجّه أهل الکتاب و أوردهما القرآن، إنّما الغرض منهما هو الالتفات إلی أصل مسـلَّم أیضـاً من قبـل المسـلمین، بل من قِبل کلّ إنسان. لا شکّ أنّ دعوه إبراهیم علیه السـلام أصـیله، و الإسـلام إنّما واصل دعوته فی عبودیه اللّه. إذن محور النجاه و الصـراط القویم یتمثّل فی سـلوک النبیّ العظیم إبراهیم علیه السلام، و المسلمون ینبغی أن یلتفتوا إلی ما أورده القرآن بشأن إبراهیم، و یعلموا بأنّ المسـلم هو إبراهیم علیه السـلام، فإذا أراد أیّ فرد مسلم أن یکون خلیل الرحمن یجب أن یسلم للّه و لا یری سواه، و لا یسلک سوی صراطه، و یصرف نفسه عن الدنیا و لا یکترث لزبرجها و زخرفها و أطماعها. کان هذان نموذجین من مئات النماذج التی ذکرها القرآن الکریم ضـمن سرده لقصص الماضین علی أنّهما من الحقائق المسلّمه التی لا تختصّ بجماعه معینه، بل هی اصول ذات علاقه بمصیر البشریه جمعاء، و ذکرها فی القرآن دلیل علی عدم اقتصارها علی شخوص القصّه و أبطالها، بل من أجل لفت انتباه البشریه إلیها،

و هی من قبیل المبانی السامیه التی تبلغ بالإنسان السموّ و الکمال. بعباره أوضح: أنّ القرآن عباره عن اصول مسلَّمه، حیث أفرد هذا الکتاب السماوی قسماً منه لدراسه بعض الأُصول العلمیه الواقعیه التی ینبغی أن تبتنی علیها الحیاه الإنسانیّه العقلائیه، غیر أنّ هذه الأُصول قد وردت أحیاناً ضمن سیاق الآیات القرآنیه بصوره مباشره، و أحیاناً اخری وردت ضمن سرد قصص الامم السالفه.

خلاصه الحدیث:

کان السؤال الأوّل هو هل أنّ شرائط الزعامه فی بنی إسرائیل هی ذاتها فی الإسلام، بحیث یجب أن نلتزم فی الزعامه الإسلامیه بکلّ شرط کان معتبراً فی زعامه بنی إسرائیل؟ و قد أجبنا علی هذا السؤال ضمن ذکر نقطتین: ۱- أنّ اصول الأدیان واحده من حیث جذورها العقائدیه و لا یعتریها التغییر أبداً، و لیس للنسخ من سبیل إلیها، و بدوره أقرّها القرآن و لم یبطلها. ۲- وردت أغلب الحقائق القرآنیه مباشره من خلال الآیات القرآنیه التی تلفت نظر المسلمین إلی الاهتمام و الالتزام بها، کما وردت بصوره غیر مباشره من خلال سرد قصص الامم الماضیه.

نتیجه هاتین النقطتین:

تعدّ زعامه الأُمّه فی کافّه الأدیان من الوظائف التی نصّ علیها الحکیم العلیم، و علیه: فهی من اصول الأدیان و شرائطها مؤثّره فی تحقیق و تثبیت أصل الإمامه، و من هنا فإنّ الشروط المذکوره فی زعامه بنی إسرائیل معتبره هی الاخری فی

الإسـلام أيضاً، إضافه إلى أنّ هـذه الشـروط من الحقائق المسلّمه التى لن تفقـد أصالتها قط طيله التأريخ البشـرى، كما أنّها تأبى الزوال و لا يعتريها التغيير و التبدّل. و نخلص من هذا إلى أنّ الشـروط التى تضـمّنتها قصّه طالوت بشأن الإمامه و الزعامه، يعتبرها القرآن من الصفات التى ينبغى أن يتّصف بها الزعيم، و بخلافه لا يعدّ زعيماً إسلامياً.

العنوان الثانى لقصه طالوت:

لقـد سـبقت قصه طـالوت بـآيتين، حيث إنّ مفاد الآيات الثلاث لفت انتباه المسـلمين و حثّهم على القتال فى سبيل اللّه و التعرّض للعناصـر التى تجسد النصـر و الغلبه فى هذا القتال، و لمّا كان البحث بالتفصيل لهذه الآيات الثلاث ينطوى على نوع من الإطاله و الملل، فقد آلينا على أنفسـنا التعرض بصوره مقتضيه لما تضمّنته هذه الآيات من محاور رئيسيّه، ثمّ نعرج بعدها على ذكر الآيات. فقـد أكّدت هذه الآيات ثلاثه شـروط أساسـيه تقود إلى النصـر فى خوض غمار الجهاد: الشـرط الأوّل: هو الإذعان و الإيمان بأنّ الموت و الحياه بيـد القدير سـبحانه، فالموت يدركنا و اللّه يقبض أرواحنا، سواء كنّا على الفراش أو فى ساحات الوغى إن كانت هنالك من مصلحه. و إذا شاء لنا البقاء فليس هنالك من موت، فقد تكون ساحه الحرب وادعه أمينه بينما يكون الفراش مميتاً؛ و بنـاءً على مـا تقـدّم فـإنّ الفرار من الجهاد حرصاً على الحياه يعنى إيكال الفرار إلى أمر خارج عن الإراده و الاختيار، و على هـذا الضـوء فـإنّ المؤمن سوف لن يفر البته من ميـدان الحرب و يخوض القتـال بعزم راسـخ و إراده فولاـذيه بعـد التوكّـل على اللّه و القتال فى سبيله. الشرط الثانى: أنّ الجهاد قائم على أساس الإنفاق و بذل الأموال و الأنفس،

و لا ـ تتیسّر مجابهه العدو دون توفیر العده و الاستعداد للمنازله، و یتمثّل هذا الاستعداد و التجهیز من خلال إعداد الجنود المضحّین و المسلّحین و تفعیل هذا الاستعداد حیال العدو. الشرط الثالث: و یعدّ أساس الشروط، بل لا ـ معنی للشرطین المذکورین دونه، و یتمثّل بالقائد المقتدر و الآمر الکفوء الذی یقود القتال بکلّ بساله مستنداً إلی العلم و البصیره و المعرفه التامّه بأسالیب القتال، بغیه تحقیق النصر الخاطف علی العدو بأقلّ التضحیات.

الآیات الثلاث:

أمّا الآیات الثلاث فقد وردت فی سوره البقره، و هی:- ۱- أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ خَرَجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ(۱). فالآیه تضمّنت ثلاثه أُمور مهمّه، و هی: الأوّل: إنّ الفرار خشیه من الموت لا یمنع من حلول الأجل. الثانی: إنّ الحیاه و الموت بید اللّه لا بید أیّ أحد سواه. الثالث: إنّه لا ـ ینبغی أن یضعف الإنسان مخافه الموت؛ لأنّ الحیاه و الموت بید اللّه، و لیس للفکر من دور إزاء التقدیر، و فضل اللّه و إحسانه هو الفاعل فی حیاه الإنسان و موته، فان کان الموت إحساناً فلا مناص منه و العکس صحیح. و علیه: ففی الآیه الکریمه براعه استهلالیه تهدف إلی إعداد المسلمین للجهاد و القتال فی سبیل اللّه، و من هنا أردفت هذه الآیه بقوله سبحانه: وَ قاتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ(۲).

۱- سوره البقره: الآیه ۲۴۳.

۲- سوره البقره: الآیه ۲۴۴.

۲- مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً کَثِیرَهً وَ اللّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ(۱).

فالآیه تتابع الحثّ علی القتال «فی سبیل اللّه» و قد تصدّرت ب «مَن» الاستفهامیه، و کأنّها تتحرّی الرجل الذی ینهض بهذه المسئولیّه الخطیره لیمارسها بنجاح بعد أن یعدّ متطلّباتها. و علیه: فالآیه لیست فی مقام الحثّ علی الإقراض فحسب، فهی تهدف أمراً آخر إلی جانب ذلک، و هو أنّ المقرض هو الإنسان و المقترض هو اللّه سبحانه، و کأنّ اللّه مدّ یده إلی الإنسان سائله شیئاً. و من هنا فالذی یخلص من ذکر هذا الأمر فی آیه القتال أنّ الغرض الأصلی من هذا القرض هو أنّ بذل المال و النفس ینشد تحقیق هدف التوحید، و لذلک کان المقترض اللّه، لأنّ بذل المال و النفس کان فی سبیل اللّه، و نتیجه ذلک کلمه التوحید، فلو جعل الإنسان کلّ ما یملک وقفاً فی سبیل اللّه فإنّ ثواب ذلک سیکون عوضاً مطلقاً لا متناهیاً. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ الآیه الشریفه بسیاق الطلب تمثّل أعظم حثّ لإثره المال و النفس فی سبیل اللّه، و هو الحثّ و الترغیب الذی یغلق علی الإنسان کافّه طرق التعذیر من قبیل المرض و التمارض و الخوف و ما شابه ذلک. و الذی یؤیّد هذا الاستنباط بل دلیله هو أنّ أغلب الآیات التی تحدّثت عن القرضه الحسنه فی السور القرآنیه کالمائده و التغابن و الحدید و المزمّل و غیرها من السور إنّما وردت کامتداد لآیات القتال فی سبیل اللّه. ۳- آیات قصه طالوت التی شرعت بالآیه: أَ لَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ ...(۲) و مرّ علینا تفصیلها، و لاحظنا الشرائط التی تضمّنتها الآیات بشأن

۱- سوره البقره: الآیتان ۲۴۵- ۲۴۶.

۲- سوره البقره: الآیتان ۲۴۵- ۲۴۶.

زعامه طالوت.

هذه الآيات الثلاث و هدفها:

قلنا: إنّ هذه الآيات تلفت انتباه المسلمين للقتال «فی سبيل اللّه»، و قلنا: إنّ هذه الآيات التی تختزن النصر فی هذا القتال، و ترشد المسلمين إلی أنّ النصر يتقوّم بثلاثه عناصر: ۱- ضروره عدم خشيه الموت و وجوب الإيمان بأنّ الحياه و الموت بيد اللّه، و عليه: فينبغی القتال و عدم الخوف. ۲- يتطلّب القتال فی سبيل اللّه إعداد القوی و التجهّز و التعاون علی مستوی المال و النفس. ۳- أنّ الشرط الأساسی للنصر هو وجود القائد الكفوء، الذی يستطيع توظيف القوی الإنسانيه و تعبئتها علی الوجه الحسن، و عليه: فقصّه طالوت تكشف النقاب للمسلمين عن حقيقه و واقع، و تری ضروره وجود القائد الجدير الذی يحقّق النصر للمسلمين، الأمر الذی أفادته قصه طالوت فی إنشاد الإسلام لهذا الزعيم الرشيد، القادر، العالم و الماهر ليستبسل المسلمين تحت رايته و يحقّقوا العزّه و الافتخار، و لا تفيد الآيه كون الزعيم الإسرائيلی لا بدّ أن يكون زعيماً كفوءاً قط، بل رسمت هذه القصه صوره هذا القائد الكفوء لتلفت نظر المسلمين إلی الشرائط التی تكهّن بها القرآن فی القياده، و لا نری أنفسنا بعد هذا الإيضاح بحاجه للقول: إنّ الدين الإسلامی لا ـ ينسخ الأُصول المسلّمه لسائر الأديان، و حيث لم يكن ناسخاً فإنّ شرائط القياده و الإمامه و إمره الجيش فی سائر الأديان قد روعيت فی الإسلام. و أمّا الإجابه علی السؤال الثانی: أنّ إمره الجيش سنخ من الشرائط ... فلا بدّ أن نری هل المراد بالملک فی الآيه الشريفه إماره الجيش فقط، أم أُريد بها معنی أوسع و لا بدّ من التعبير عنه بالزعيم؟ فسّرنا ذلک فی المباحث السابقه

بـأمير الجيش أحيانـاً و الزعيم أحياناً اخرى، و ذلك أنّهم سألوا ملكاً، و كان هـدفهم فى ذلك السؤال زعامه الجيش و القتال فى سبيـل اللَّه، و من هنا عبّرنا أحياناً بأمير الجيش، و بناءً على ما تقـدّم فإنّ هـذا الملك هو الزعيم. و لـذلك سوف لن يعود هنالك من مجـال للسـؤال فى أنّ آمر الجيش طبـق المـوازين الطـبيعيه يجب أن يكون مقتـدراً عالمـاً بفنون الحرب و القتـال، فهـل هـذه الشرائط معتبره فى الإمام؟ لأنّ الفرض كان يقوم على أساس أنّ الملك هو الزعيم و الإمام، فالآيه الكريمه قد بيّنت شرط الزعامه و الإمامه بصوره شامله مطلقه و بمعنى أوسع من إماره الجيش.

دليلنا:

دليلنا على أنّ المُراد بكلمه «الملك» ذلك المعنى الواسع- أى الإمام- هو اعتقاد الطبقه الاقطاعيه من بنى إسرائيل و النبلاء، بأنّهم أحقّ بالملـك من غيرهم، و ذلـك لأنّهم كـانوا يرون أنّ الزعـامه قضـيه وراثيه، و لا ينبغى أن ينهض طالوت بهـذه الزعامه؛ لأنّه ينتمى إلى طبقه فقيره معـدمه فى المجتمع لم تكن ذات سـابقه فى الزعـامه. و لـذلك أوردنـا برهـانين أقامهما هؤلاء المعترضون على نبيّهم: ۱- الملك حقّ من حقوقنا و منحصر فى سلالتنا. ۲- طالوت لا ينتمى إلى طبقه ثريه ليصبح زعيماً. القرآن بدوره فنّد هذه النظريه ليعلن أنّ الزعامه ليست قضـيه وراثيه و لا ترتبط من قريب أو بعيد بالغنى و الثراء، بل هى منصب إلهى، ينهض به من تتوفّر فيه شـرائطه من قبيل القدره و العلم و البسـطه فى الجسم و البصيره بأوضاع المجتمع. أضف إلى ما تقدّم أنّ الإسلام لا يرى الزعامه منصباً شكليّاً، بل هو مقام رسمى مهمّ تكون بموجبه كافّه مقدّرات المسلمين بيد الزعيم، أى لا بدّ أن يكون

قائـداً عالمـاً متفکّراً، محیطاً بالحلال و الحرام و أحکام القرآن و تعالیم الإسـلام، و سائقاً الأُمّه إلی عباده اللّه و التمسّک بکتابه و سنّه رسوله، کما ینبغی أن یُعالج مشاکل الأُمّه، و إذا اقتضت المصـلحه أن یخوض الحرب، کان هو القائد العام للقوّات المسلحه، الـذی یمـارس حضوره الشخصـی فی جبهه القتال. و خلاصه القول: إنّ الإمام فی الوقت الـذی یعتبر فیه الزعیم الـدینی و العلمی للُامّه، فهو قائـد للبلاـد و آمر للجیش فی الحرب و قاضـی فی المحکمه. و الآـیه صـریحه فی أنّ الملک و الزعیم قـد یکون آمرا للجیش و قائـداً عاماً للقوات المسلّحه أحیاناً. و علیه: فلیس هنالک ما یـدعو لطرح السؤال الثانی لنجیب علیه. و لنفترض أنّ الآیه اقتصـرت علی شرائط آمر الجیش و کان هذا هو المراد من الملک، و قد ذکرنا بأنّ الموازین الطبیعیه تقتضی أن یکون الآمر فرداً عالماً بفنون الحرب و القتال و مؤهّلًا لقیاده الجیش و قویاً و مقتـدراً، و مع ذلک فینبغی لنا أن نلتزم بهـذه الشـرائط بالنسـبه للإمام أیضـاً؛ لأنّنـا قلنا سابقاً: إنّ ولاه الأمر هم أئمّه لا بـدّ من اتّباعهم و طاعتهم فی جمیع الأُمور السیاسـیه و الاجتماعیّه و العسـکریه. و بعباره أُخری: فالأولی أن نقول بأنّ الإمام لا بـدّ أن یشـتمل علی هـذه الشـرائط؛ لأنّه لا یمکن أن یکون مطاعاً مطلقاً، و لیست فیه مثل هذه الشرائط، بینما إذا اشترک فی القتال کان هو القائد العام للقوّات، و علی الأُمراء اتّباعه و طاعه أوامره.

أمیر المؤمنین علیه السلام و آیات قصّه طالوت:

ما أوردناه سابقاً تفصـیلًا لما قاله أمیر المؤمنین علی علیه السـلام فی روایه نقلها صاحب تفسـیر نور الثقلین عن کتاب «الاحتجاج» للطبرسی. فقد قال علیه السلام: «اسمعوا ما أتلو

علیکم من کتاب اللَّه المُنزل علی نبیّه المرسل لتتّعظوا؛ فإنّه و اللَّه أبلغ عظه لکم، فانتفعوا بمواعظ اللَّه و ازدجروا عن معاصی اللَّه، فقد وعظکم بغیرکم، فقال لنبیّه صلی الله علیه و آله: أَ لَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ ...، أیّها الناس إنّ لکم فی هذه الآیات عبره؛ لتعلموا أنّ اللَّه جعل الخلافه و الإمره من بعد الأنبیاء فی أعقابهم، و أنّه فضّل طالوت و قدّمه علی الجماعه باصطفائه إیّاه و زیاده بسطه فی العلم و الجسم، فهل تجدون اللَّه اصطفی بنی أُمیّه علی بنی هاشم. و زاد معاویه علَیَّ بسطه فی العلم و الجسم»(۱). لقد وردت الآیه بشأن قوم من بعد موسی علیه السلام قالوا لرسولهم: ابعث لنا ملکاً نُقاتل فی سبیل اللَّه، فأجابهم نبیّهم: هل عسیتم إن کُتب علیکم القتال ألّا تُقاتلوا؟

فقالوا بصوت واحد: و ما لنا ألّا نُقاتل فی سبیل اللَّه و قد أُخرجنا من دیارنا و أبنائنا! و لکن ما إن کُتب علیهم القتال حتّی تراجعت هذه الجماعه التی أعربت عن استعدادها للقتال، و لم تصمد منهم إلّا فئه قلیله فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ(۲). أمّا ما نخلص إلیه من قول أمیر المؤمنین علیه السلام هو أنّ الخلافه و إداره شئون البلاد قد جعلها اللَّه فی الأنبیاء و من بعدهم فی أعقابهم من الخلفاء الذین یمثّلون الامتداد الطبیعی لخطّ الرساله، و أنّ قصّه طالوت عبره للُامّه الإسلامیّه فی معرفه الإمام، و أنّها قد وضّحت وظیفه المسلمین تجاه الإمام، و أنّ اللَّه قد اختار طالوت من بین القوم لعبودیته الخالصه و حیازته لشرائط الإمامه. و أنّها قد أماطت اللثام عن کیفیه النهوض بالإمامه و زعامه الأُمّه، و أنّ بنی هاشم أولی بهذه الزعامه من بنی أُمیّه، و أن لیس هناک من بنی هاشم من هو أجدر بالإمامه من علی علیه السلام، و لیس

۱- تفسیر نور الثقلین: ۲۴۴ ح ۹۷۰ عن الاحتجاج ۱: ۴۰۷- ۴۰۸.

۲- سوره البقره: الآیه ۲۴۶.

لمعاویه الـذی یفتقر لشـرائط الإمامه أن ینهض بهذه المسـئولیه، و أخیراً نفهم من قول علی علیه السـلام أنّ قضـیه طالوت لیسـت قصّه روائیه، بـل هی حادثه تهـدف إلی تعریف المسـلمین بشـرائط الإمامه، و أنّ قصه طالوت موعظه للمسـلمین فی أنّ الإمام هو الفرد الصالـح، الکفوء، العلیم، القـدیر الذی لا یُضاهیه أحد فی هذه الصـفات، کما أنّ القرآن لا یری من جدیر بإمامه المسـلمین سوی علی علیه السلام و أولاده؛ لأنّهم یمثّلون مصداقها التام، و قد جمعت فیهم شرائط و مقوّمات الإمامه.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (سوره آل عمران، الآيتان ٣٣- ٣٤)

عود إلی شرائط الإمامه المستفاده من القرآن

آیه الاصطفاء

نتابع دراسه الآیات القرآنیه فی إطار التعرّف علی شرائط الإمامه: فقد ورد فی سوره آل عمران قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ* ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ. یقوم الاستدلال بهاتین الآیتین علی امور هی:

الأمر الأوّل:

لقد استعملت کلمه «الاصطفاء» علی أربعه أنحاء، حیث یختلف معناها فی کلّ قسم من هذه الأقسام، فأحیاناً تستعمل دون حرف، و اخری مع «من، علی و اللام» و الاصطفاء کما ذکرنا سابقاً علی وزن الافتعال، و أصلها من «صفو» بمعنی الخالص، فالاصطفاء هو الانتخاب و الاختیار الخالص. فإن استعملت بدون حرف کان معناها الخالص، و هکذا وردت فی سوره

آل عمران: يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ(۱) و الدليل هو وحده السياق فى الآيه الشريفه، و إذا جاء معها الحرف «من» فهى تعنى الانتخاب من بين جماعه، و هـذا ما نلمسه فى سوره فاطر: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا(۲). أمّا إذا استعملت مع «على» فإنّها تفيـد ترجيـح المنتخب. فهى و إن اشـتركت مع المعنى المُراد فى القسم الثـانى؛ أى الانتخـاب الخـالص، إلّا أنّها تفرق عنه بأنّها تتضـمن ترجيح المنتخب، و هذا ما ورد فى قصّه طالوت التى أشرنا إليها آنفاً إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ(۳). و لذلك وردت استفهاميه فى سوره الصافّات أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ(۴) أى ليس هنالك من ترجيح و انتخاب فى هذا الأمر.

رفع إشكال:

لقد تضـمّن معنى «الاصـطفاء» رفع إشـكال من شأنه تشويش أذهان العوامّ، فقد صـرّح القرآن بشأن مريم قائلًا: وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ(۵). يعتقد البعض أنّ مريم مصـطفاه على كافّه نساء العالم، و الحال أنّ الآيه لا تفيد أىّ اصـطفاء بالنسـبه لعامّه نساء العـالم و لاـ امتيـاز عليهنّ «أنت مصـطفاه و ممتـازه من بين نساء العالم». فهى ليست منتخبه على جميع النساء و ليس لها من امتياز على الجميع، بـل هى مصـطفاه من بين نخبه النساء، و نعلم أنّ مريم من المصاديق العُليا للنساء الجليلات: مريم عابـده و مطهّره، و هذا لا يتنافى و وجود سائر النساء الجليلات الاخريات فى هذا الجنس البشرى، و الكلام يختصّ بكونها

۱- سوره آل عمران: الآيه ۴۲.

۲- سوره فاطر: الآيه ۳۲.

۳- سوره البقره: الآيه ۲۴۷.

۴- سوره الصافّات: الآيه ۱۵۳.

۵- سوره آل عمران: الآيه ۴۲.

منتخبه، و لا- سيّما أنّ هـذا الانتخـاب و الترجيـح يتعلّق بأمر غير طبيعى، و هو الحمل دون وجود الزوج، فقـد خلق اللّه مريم على درجه من الطهر و العفـاف بحيث إنّ الأذهـان لا- تتصوّر أىّ طعن فى طهرهـا و عفافهـا من جرّاء هـذا النوع من الحمـل، و هناك روايه تؤيّد ما ذهبنا إليه(۱). الأمر الثانى: هل أنّ اصطفاء آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين إلى الأبد على ضوء الآيه إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً أنّ كلمه «الاصطفاء» إذا استعملت مع حرف الجرّ «على» أفادت معنى الترجيح فى انتخاب فرد أو أكثر على الآخرين، فمعنى الآـيه أنّ اللّه انتخـب آدم و نوحـاً و آل إبراهيـم و آل عمران- الـذين يمثّلـون الصـفوه- مـن بين سـائر أفراد العـالم. إذن، فالانتخـاب من بين العـالمين، و أنّ المنتخـبين من أصـفياء العـالم، لا- أنّ الانتخـاب على جميع العـالم و أنّ للمنتخبين امتيـاز على العالم، و اللّه أعلم. و يؤيّـد ذلك المعنى الآيات من سوره الأنعام: وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ* وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ(۲).

۱- راجع مجمع البيان ۲: ۲۸۹ ذيل الآيه الشريفه« وَ اصْطَفَيكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».

۲- سوره الأنعام الآيات ۸۴- ۸۶.

و نعلم أنّ هؤلاء الأنبياء ليسوا مصطفين على العالم، و قد انتخبوا بالتفضيل الإلهى من بين العموم، و من أراد المزيد فليراجع تفسير أحد الكاتِبَيْن(۱).

جواب آخر:

قد يُقال بأنّ آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران قد اصطفوا على العالمين، إلّا أنّ هذا لا يعنى أنّ نوحاً مثلًا قد اصطُفِى على جميع العالمين. نعم، آدم و نوح و ...

مصطفون على العالمين بمعنى عدم خروج آل الرساله المصطفين من هؤلاء. المصطفى الأوّل هو آدم عليه السلام الذى اصطفاه اللَّه على عالمه آنذاك، ثمّ نوح و هكذا آل إبراهيم و آل عمران، حيث إنّ كلّ واحد فى هذه الآل مصطفى على عالم زمانه. و محمّد صلى الله عليه و آله النبى العربى و هو من آل إبراهيم مصطفى منذ زمان بعثته المُباركه حتّى الأبد. و بعباره أوضح: فإنّ المصطَفين على عالم البشريه منذ بدء الخليقه يبتدئون بآدم عليه السلام و يختتمون بآل إبراهيم عليه السلام بحيث إنّ كلّ واحد منهم مصطفى اللَّه على أهل زمانه، حتّى ظهور النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى يُعتبر مصطفى من قبل اللَّه منذ انطلاقه البعثه إلى الأبد ما دام عالم البشريه قائماً، فليس هنالك من نبوّه لكافّه العالمين و فى كافّه أدوار التأريخ من غير هؤلاء و إن اختصّ كلّ واحد منهم بزمانه، أمّا من حيث المجموع فهم المصطَفون على العالمين على مدى التأريخ، و اللَّه اعلم. أمّا مريم فهى تشتمل على مزيه تميّزها على سائر النساء، و هى مزيه الحمل من دون الزوج، و هو الحمل الذى لا ينطوى على أىّ مساس بعفّه مريم و طهرها. الأمر الثالث: من هم آل إبراهيم و آل عمران؟ جاء فى المنجد: «أنّ آل الرجل أهله، و لا يستعمل إلّا فى ما فيه شرف»(۲) لا

۱- تفسير كلام الحقّ للشيخ شهاب الدين الإشراقى.

۲- المنجد فى اللغه: ۲۱، مادّه« آل».

كلّ أهل و أينما كانت كلمه «أهل» لتقيّد صفه المضاف إلى المضاف إليه، فيُقال مثلًا:

«أهل العلم» أى الأفراد الذين يتّصفون بصفه العلم، و أهل قم، و حيث إنّ الآل هى صفوه الأهل فإنّ آل إبراهيم تعنى الخواصّ و الصفوه من أهل إبراهيم عليه السلام. لإبراهيم عليه السلام ولدان هما إسماعيل و إسحاق، و المُراد بآل إبراهيم خلفه و ولده المصطَفون من قِبل اللّه، فهل هم الأنبياء و المصطَفون من ذريّه إسماعيل و الأنبياء من ذريّه إسحاق أيضاً؟ و لعمران ولدان هما عمران والد موسى عليه السلام و عمران والد مريم عليهما السلام، و ربّما كان المُراد بعمران التى أضيفت إلى الآل فى الآيه الكريمه والد مريم، فآل عمران فى هذه الحاله هم المصطفون من هذه الطائفه، و يؤيّد ذلك الآيات اللاحقه من هذه السوره المُباركه التى ذكرت مريم مشيره إلى أصالتها. كما يمكن أن تكون آل عمران شامله للطائفتين؛ لأنّ كلمه عمران رغم أنّها اسم علم لكنّها تنطبق على مسمّيين أيضاً، إلّا أنّ هذا الاحتمال ليس معتبراً علميّاً.

مَنْ هُم آل إبراهيم؟

آل عمران كلّ واحد من الطائفتين أو الطائفه الخاصّه من والد مريم، أمّا آل إبراهيم فتقتصر على ذريّه إسماعيل، لأنّ العطف دليل على المغايره، و يؤيّد كون آل إبراهيم هم ذريّه إسماعيل قوله عزّ و جل فى الآيه ۵۸ من سوره مريم: أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّهِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّهِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ فقد فصّل ذريّه إبراهيم عن ذريّه إسرائيل، فى حين أنّ إسرائيل هو يعقوب و هو من أولاد إسحاق بن إبراهيم. و من هنا يعلم بأنّ القرآن لم يرد بذرّيه إبراهيم سوى أولاد إسماعيل، و الدليل الأوضح على ذلك ما نحن بصدده من الآيه ذُرِّيَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ لأنّ الذريّه

وردت بدل من آل إبراهیم و آل عمران، أی أنّ آل إبراهیم و آل عمران ذرّیه واحده؛ لأنّ والد الآلین هو إبراهیم. أمّا بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ فمعناه انفصال و تفرّع البعض من ذرّیه و البعض الآخر من ذریّه أُخری. و بعباره أیسر: أنّ معنی العباره رغم أنّ آل إبراهیم و آل عمران ذرّیه واحده، غیر أنّ آل عمران من ولد و آل إبراهیم من ولد آخر، و علیه فآل عمران من یعقوب بن إسحاق و هو إسرائیل، و آل إبراهیم من إسماعیل بن إبراهیم.

هدف سامٍ:

لِمَ عبّر القرآن الکریم عن ذریّه إسماعیل بآل إبراهیم، و عن أولاد إسحاق بآل عمران؟ لعلّ المغزی فی هذا التعبیر رغم أنّ الاثنین هما آل إبراهیم، هو هدف سامٍ و بقصد إفاده مطلب أساسی. فآل إسحاق قد انقطعوا عن مقام النبوّه السامی و سیحلّ الیوم الذی یزول فیه دین إسحاق، و بالتالی فإنّ الدین الإسلامی العالمی سیستوعب جمیع القوانین السماویه. إذن، فالذرّیه الحقیقیه لإبراهیم الحافظه لهدفه السامی القائم علی أساس التوحید و التسلیم للّه إنّما تنحصر فی ولد إسماعیل، و بالنهایه فإنّ النبی العربی محمّداً صلی الله علیه و آله هو الحافظ لدعوه إبراهیم علیه السلام، و قد لفت القرآن الأنظار لهذه الحقیقه، حیث قال: إِنَّ أَوْلَی النَّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِینَ(۱). و بناءً علی هذا یمکن القول بأنّ آل إبراهیم منحصرون فی الصفوه من ولد إسماعیل، إضافه إلی أنّ أتباع سائر الأدیان کالنصرانیه و الیهودیه قد أحدثوا من

۱- سوره آل عمران: الآیه ۶۸.

الخرافات و الخزعبلات و التحريفات فى الدين الأصيل لموسى و عيسى، بحيث زالت معالم الدين بالمرّه و لم يبق منه سوى الأوهام و الخرافات، و ذهبت الجهود المضنيه لإبراهيم عليه السلام و التوحيد الخالص للّه أدراج الرياح. و لذلك فصل الحقّ سبحانه عنوانى النصرانيه و اليهوديه عن أتباع عيسى و موسى عليهما السلام، و سلخ إبراهيم عليه السلام عنهما، فقال عزّ و جل: ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(۱). و نوكل الخوض فى التفاصيل إلى محلّ آخر. الأمر الرابع: الأمر المهمّ الذى يمثّل الهدف الأساسى فى الآيه هو كيفيّه تعبير القرآن الكريم، فقد نسب الاصطفاء لشخصين و طائفتين إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ. فقد ذكر اللّه اسم هؤلاء المنتخبين من بين عباده، فالفرد المخلص الأوّل هو آدم، و الفرد المخلص الثانى هو نوح، و الطائفه الخالصه الأُولى هى آل إبراهيم، و الثانيه آل عمران. فنرى اسم نوح قد ذكر بعد آدم رغم قدوم عدّه أنبياء، كما اقتصر الحديث على آل عمران من بين آل إسحاق، فآدم أوّل أنبياء اللّه، و قد ركّز القرآن عليه حتّى أسهب فى الحديث عنه فى سوره البقره، كما أنّ لنوح عدّه مزايا، ربّما منها كونه يمثّل آدم الثانى بالنسبه للبشريه إثر انقراض البشريه فى زمانه و تجديد الحياه ثانيه. أمّا السؤال المهمّ هنا هو لِمَ هذا الاهتمام بآل عمران؟ و لعلّ سبب ذلك يعود إلى ظهور أنبياء عظام فى هذه الآل، بحيث ما زال أغلب الناس ينسب نفسه إليهم، فمنهم موسى و عيسى عليهما السلام، و قد راعى القرآن جانب الاختصار فى تعبيره بآل عمران عن نبوّات ولد إسحاق، الأمر الذى يطول شرحه. و السؤال الأهمّ: ما السبب فى التعبير بآل إبراهيم؟

۱- سوره آل عمران: الآيه ۶۷.

و كأنّ التعبير بآل إبراهيم الذى يسلّط الضوء على نبوّه إبراهيم- و بالالتفات لما ذكرنا من أنّ آل إبراهيم مختصّه بذريّه إسماعيل- يشير إلى زعماء الإسلام و على رأسهم زعامه محمّد المصطفى صلى الله عليه و آله و خلفه الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فهم من آل إبراهيم، و أنّهم حقّاً جديرون بهذا الانتساب، أى الانتساب بصفتهم آل إبراهيم إلى هذه الطائفه من زعماء الدين للعالم. و بناءً على ما تقدّم فإنّ القرآن قد طرح أساس الزعامه العالميه للبشريه منذ بدء الخليقه على الأرض حتّى انتهائها، فقد تزعّم آدم عليه السلام العالم فى بدايته، ثمّ تجدّد هذا الأساس من قبل نوح بعد انقراض البشريه فى الطوفان، كما أنّ الزعماء الأصليين لعالم الأمس و اليوم و الغد هم آل عمران و آل إبراهيم. و أنّ زعيم طائفه آل إبراهيم فى العالم منذ ألف و ثلاثمائه و بضع سنوات قبل إلى القيامه هو محمّد صلى الله عليه و آله و من بعده زعماء الإسلام من آل محمّد و آل إبراهيم؛ و ذلک لأنّه كما ذكرنا سابقاً أنّ آل إبراهيم الذين ينتمون إلى ذريّه إسماعيل، و آل محمّد الذين ينتمون إلى آل إبراهيم ليسوا إلّا الصفوه من بنى هاشم.

هدف الآيه:

تهدف هذه الآيه إلى تثبيت أصاله الإسلام و أئمّه المسلمين، فقد أوضح القرآن بإعجازه فى آيه قصيره زعامه العالم منذ نشوء الخليقه إلى القيامه. فكما انتخب اللّه آدم و نوحاً، فإنّه انتخب و اصطفى آل عمران و آل إبراهيم، و قد جمع الزعامه العالميه فى ذانک النبيّين العظيمين و هاتين الطائفتين. و عليه: فإنّ عالم المسيحيه و اليهوديه و إن نظر إلى آدم و نوح و آل عمران على أنّهم مصطَفون من قبل اللّه، لا بدّ أن ينظر أيضاً إلى أنّ آل إبراهيم و أئمّه الإسلام- الذين ينسبون إلى محمّد- على رأس هذه السلسله من الزعماء، و مع هذا

الفارق و هو أنّ إبراهيم يمثّل منشأ التوحيد الخالص، و أنّ استمرار هذا الهدف السامى سينتهى إلى ولد إسماعيل. و بناءً على هذا فإنّ ذريّه إسماعيل هى الحافظه لمركز التوحيد الذى بناه إبراهيم و إسماعيل، و أنّ صفوه هذه الذريّه هم محمّد و آل محمّد.

نتيجه هذه الأبحاث:

كنّا نروم من هذه الأبحاث الدلاله التامّه للآيه على الزعامه المطلقه لأئمه بنى هاشم، فالآيه تدلّ على أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم الزعماء بلا منازع، كما دلّت ضمنياً على أنّ زعماء الإسلام و أئمّه الهدى مصطَفون من قِبل اللّه، و أنّ البشريه تحتاج إلى أولياء اللّه من زعماء آل إبراهيم و الأئمّه الأطهار فى عرض النبوّه و كونهم يمثّلون الامتداد الحقيقى لهذه النبوّات. و فى الآيه دلاله ضمنيه فى أنّ هؤلاء الأئمّه إنّما يواصلون تحقيق هدف إبراهيم فى إشاعه التوحيد و العبوديه الخالصه للّه، و أنّهم صفوه مصطفاه على غرار مصطفى الوحى من الأنبياء، و أنّ اللّه قد رجّحهم على ما سواهم؛ لاشتمالهم على الكمالات التى تميّزهم عن غيرهم. إذن، فهؤلاء ممّن جمعت فيهم شرائط الإمامه من قبيل الطهاره و البصيره بالأوضاع الاجتماعيّه و العلم بأسرار القرآن و الوحى و خفايا عالم الخليقه، و بُعدهم عن الظلم و الشرك و الخرافات و الجهل، بل هم على درجه من الاقتدار و العلم و الإحاطه بعالم الآخره، بحيث اتّصفوا بجدارتهم و صلاحيتهم لزعامه و حفظ دعوه إبراهيم، و بالتالى فقد جمعوا ما يؤهّلهم لاصطفائهم من قِبل اللّه على الناس، فقد كانوا الصفوه الطاهره التى اصطفاها اللّه لزعامه الأُمّه.

الحسین علیه السلام و الآیه الکریمه:

لقد تلا الإمام الحسین علیه السلام هذه الآیه المبارکه: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً ...(۱) لمّا برز ولده علی الأکبر للقتال. لقد سمعنا مقاله الإمام أو قرأناها فی المقاتل(۲)، إلّا أنّنا لم نلتفت لسبب استشهاد الإمام علیه السلام بها، فقد طرح الإمام حقّانیته فی زعامه الأُمّه و الهدف من نهضته تجاه حکومه و زعامه یزید الفاجر، لیعلم الناس بأنّ حرکه الإمام و دعوته فی إمامه المسلمین إنّما تستند لمنطق القرآن الکریم.

و لیدرک العرب بأنّ القرآن الکریم هو الذی صرّح و نصّ علی زعامته، فإذا تعرّض إلی ما تعرّض له من جور یزید و ظلمه فلیس له من ذنب سوی ذلک! و لیعلم سلطه الیزیدیه الحاکمه و جلاوزتها بأنّ الحقّ مع الإمام، و أنّ الفرد المصطفی من آل إبراهیم لزعامه الأُمّه هو الإمام المظلوم سیّد الشهداء علیه السلام، و لیعلم الباحثون و المحقّقون الضالعون فی القرآن الکریم أنّ إمامه المسلمین إنّما تعیّن من قِبل اللّه لا الشوری و الانتخابات. و لیعلم العالم بأنّ الحسین علیه السلام صفوه المخلصین للّه الحائز علی شرائط إمامه المسلمین و الجدیر بهذا المنصب. هذه هی الحقائق التی رام الإمام إیصالها إلی الآخرین بتلاوته للآیه الشریفه.

الآیه المُبارکه و أحادیث الإمامیه:

لقد جمع الفیض الکاشانی- العالم و المحقق الجلیل- عدّه روایات مُعتبره و أطلق علیها اسم «نوادر الأخبار فی ما یتعلّق باصول الدین». و من بینها روایه مفصّله هی عباره عن حدیث دار بین ابن عباس و أمیر المؤمنین علیه السلام بشأن وصیّه النبی صلی الله علیه و آله بعلی علیه السلام، جاء فیها: إنّ علیاً علیه السلام قال: قال لی رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «ثمّ أنت یا علیّ من أئمّه

۱- سوره آل عمران: الآیه ۳۳.

۲- لواعج الأشجان، للعلّامه العاملی ص ۱۳۶.

الهـدى، و أولادک منـک، فـأنتم قاده الهـدى و التقى، و الشـجره التى أنا أصـلها و أنتم فرعها، فمن تمسّک بها فقـد نجا، و من تخلّف عنها فقـد هلک و هوى، و أنتم الـذين أوجب اللَّه- تعالى- مودّتکم و ولايتکم، و الذين ذکرهم اللَّه فى کتابه و وصـفهم لعباده، فقال عزّ و جلّ من قائل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً ... فأنتم صفوه اللَّه من آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران، و أنتم الاسـره من إسـماعيل و العتره الهاديه من محمّد صـلى الله عليه و آله»(۱). فالحديث الشـريف أشار اسـتناداً إلى الآيه الشريفه إلى عدّه أُمور، منها: أنّ عليّاً عليه السـلام و ولده هم أئمّه الدين و زعماء الأُمّه و کهف الورى، و هم الفروع لشجره الإسلام المُبارکه، و أنّ اللَّه هو الذى حباهم بهذه المقامات من بين آل إبراهيم، و قد اسـتدلّ النبى صـلى الله عليه و آله لاثبات هذه المقامات بالآيه الشـريفه: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى. و بناءً على ما تقـدّم فإنّ آل إبراهيم لا يقتصـرون على محمّـد صـلى الله عليه و آله و ولـد إبراهيم، بل الأئمّه الأطهار عليهم السـلام هم آل إبراهيم، و أنّ آل إبراهيم المصـطَفون إنّما ينتهون إلى هـذه السلسـله الجليله و العتره الهاديه. فقد اسـتدلّ النبى صـلى الله عليه و آله بهذه الآيه و قال: أنتم صفوه اللَّه من آدم و نوح و آل إبراهيم. فعلىّ و أولاده صفوه اللَّه، و لمّا کانوا کذلک فهم أهل الإمامه و الزعامه المتوفّره فيهم شرائطها. و نفهم من ذلک أنّهم مبرّءون من کلّ عيب و نقص و جهل، بل ليس فى هذه الشـجره إلّا الإخلاص و الاصـطفاء الإلهى، و هنا لا بدّ من القول بأنّ آل محمّد صـلى الله عليه و آله يمثّلون قمّه السـموّ و الکمـال و الرفعه العلميه و التقوى و الورع و الطهـاره و کـافّه الفضائـل الإنسـانيه، من قبيل الشـجاعه و الإقـدام و العلم و الزهد و الکرم و سائر الصفات؛ لأنّهم صفوه اللَّه.

۱- تأويل الآيات الظاهره ۱: ۱۰۶ ح ۱۳، نوادر الأخبار: ۱۲۶.

خلاصه الآيات و الروايات:

لقد تعرّضت هاتان الآيتان إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى ذُرِّيَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ.

إلى تأريخ الإنسان منذ ظهوره حتّى انقراضه، كما خاضتا بصوره مقتضبه في زعامه البشريه و أبطالها من الصفوه الذين حازوا شرائطها حتّى تزعّم كلّ واحد منهم عالمه المعاصر، حيث ابتدأت هذه الزعامه بآدم عليه السلام و اختتمت بآل إبراهيم عليه السلام. و قد كانت خلاصه آل إبراهيم قد تمثّلت بالإمامه الإسلاميه التأريخيه لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله الذى اختتمت به النبوّه، و قد كان الهدف الأصيل لإبراهيم عليه السلام و استمرار دعوته قد تمثّل بظهور الصفوه من آل محمّد صلى الله عليه و آله، حيث لم تختتم الزعامه بالنبى صلى الله عليه و آله من آل إبراهيم، بل استمرّت فى عقبه من بعده من أهل بيت النبوّه الذين عيّنوا من قِبل اللَّه لمواصله خطّ النبى صلى الله عليه و آله، و لم يكن هؤلاء سوى الأئمّه الهداه عليهم السلام، و لا يمثّل هذا الكلام استظهاراً للآيتين الكريمتين، بل هذا ما عهده الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام، إذ قال له: أنتم صفوه اللَّه من آدم و نوح و آل إبراهيم ... الذين خصّكم اللَّه بالآيه إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى. و عليه فزعماء المسلمين بعد النبى صلى الله عليه و آله هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام، و حيث كانوا الصفوه المختاره على مدى التأريخ، كان لا بدّ من القول أنّهم مطهّرون مبرّءون من كلّ عيب و دنس، و هم فى مستوى الأنبياء فى الإخلاص و الإحاطه بالغيب، بل لمّا كانوا استمراراً لهدف إبراهيم و زعماء الأُمّه إلى الأبد. ينبغى الإذعان بأنّهم الأعلم و الأقدر من سائر الزعامات على مرّ العصور، و هم الجديرون بتطبيق المبادئ الحقّه لرساله النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. و على ضوء ما تقدّم فقد اتّضحت شرائط الإمامه و صفاتها العاليه، و أنّ الأئمّه عليهم السلام هم خُلّص عباد اللَّه العالمون بأسرار الدنيا و الآخره، البعيدون عن كلّ عيب و نقص، و المتّصفون بالزهد و الورع و التقوى و العلم و الشجاعه و السماحه،

فهم الصفوه المختاره من آل إبراهيم، إبراهيم رائد التوحيد و العبوديه المحضه للَّه، بل هم صفوه اللَّه إلى الأبد و حمله علمه الذی لا یعرف الانقطاع.

ملاحظه:

الأُسلوب الذی درجنا علیه فی الکتاب یتمثّل بالدراسه و التحقیق فی القرآن الکریم من أجل إثبات أصاله الإمامه و شرائطها، فالنهج هو التعمّق فی الآیه من أجل التعرّف علی هذه الامور، الأمر الذی یجعل الکلام یطول أحیاناً شئنا أم أبینا، و قد تجنبنا التعرّض لسائر الآیات التی أوردها علماء الإسلام فی مصنّفاتهم بشأن الإمامه خشیه التطویل و الملل، و إلّا فهناک عدّه شواهد معتبره بشأن الإمامه و شرائطها فی القرآن، و لعلّ من المفید التعرّض إلیها، غیر أنّ طریقتنا فی البحث ترکّزت علی لفت انتباه العلماء إلی المضامین القرآنیه. و هناک ملاحظه أُخری یجدر الالتفات إلیها، و هی أنّنا قد طرحنا سابقاً سؤالًا فی أنّ قیود الإمامه هل هی قیود مفروضه تنسجم و الفطره السلیمه فی الإقرار بها أم لا؟ و قد اتّضحت الإجابه خلال الأبحاث، حیث کان البحث یختصّ بشرائط الإمامه من وجهه نظر القرآن، و هی الشرائط التی تستسیغها الفطره السلیمه و العقل السلیم، بل أنّ العالم لیتعطّش إلی زعامه مثل هؤلاء الأئمّه، و لذلک لا نری حاجه لبحث هذا الأمر بصوره مستقلّه. و أمّا دراسه عدد الشرائط فلا نری له من ضروره، و یبدو أنّ ما أشار إلیه القرآن کافٍ بهذا الشأن، و لذلک لم نتطرّق إلی هذه الشرائط بصوره مستقلّه، و هل أنّ القرآن صدّق أو لم یصدّق ما أورده علماء الکلام بهذا الخصوص. و نتناول الآن بالبحث فی علم الإمام.

علم الإمام عليه السلام

الزعامه فى الإسلام:

اتّضح ممّا مرّ سابقاً أنّ الزعامه فی الإسلام لیست ولیده الاستفتاء و الصراعات السیاسیه و القفز علی المواقع من أجل السیطره علی مقدّرات المسلمین، بل أنّ الرئاسه الإسلامیه منصب إلهی قد فوّضه اللّه سبحانه فی إطار النظام الإسلامی المتکامل إلی الأئمّه الأطهار علیهم السلام بعد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، و أنّ اشتمالهم علی الشرائط جعلت اللّه یفیض علیهم هذا المقام العظیم الذی لا یسع الآخرین النهوض به. کما أشرنا إلی طائفه من شرائط الإمامه، أمّا البحث المهمّ الذی یشغل الأذهان و یحظی باهتمام الجمیع فیکمن فی علم الإمام و الزعیم الإسلامی، الذی سنسلّط الضوء علیه فی هذا البحث، و هنا تواجهنا بعض الأسئله بهذا الشأن، منها: ۱- هل الإمام عالم بالغیب، أم أنّ هذا العلم مختصّ بالذات الإلهیه المقدّسه؟

و إن کان عالماً بالغیب، فما کیفیه هذا العلم، و هل یتوصّل إلی هذا العلم بمجرّد بلوغه مقام الإمامه بحیث یدرک الغیب و الخفاء، أم أنّه یعتمد بعض الوسائط لبلوغ مثل هذا العلم؟

و بعباره أُخرى: فهل مجرّد بلوغ ذلک المقام يستلزم الوصول إلى مقام معنوى رفيع بحيث لا يمكن أن يخفى عليه شى ء، أم هنالک من المغيّبات ما ليس له إليها من سبيل رغم بلوغه ذلک المقام بغضّ النظر عن الوحى أو الإلهام أو سائر الوسائط؟ ۲- هل تنحصر علوم زعماء الإسلام و أئمّه الأطهار عليهم السلام فى إطار العلم بالقرآن و الأحكام القرآنيه و التعاليم الإسلاميه فى حين ليس لهم مثل هذا العلم بالحوادث المستجدّه و مستقبل المسلمين و مصير الإسلام، أم أنّ علمهم واسع شامل بخصوص القرآن و الأحكام و التعاليم الإسلاميه و مستقبل الامّه و ...؟ ۳- هل للأئمه علم بما كان و بما يكون إلى يوم القيامه أم لا؟ و على فرض وجود مثل هذا العلم، فهل علمهم بالأشياء حضورى أم حصولى؟ و بعباره أُخرى: هل «إذا شاءوا علموا» كما يقول المتكلّمون بحيث ليس لهم مثل هذا العلم دون هذه المشيئه، أم أنّ علمهم فعلىّ بجميع هذه الأشياء؟ و نتناول الآن دراسه القسم الأوّل، أى علم غيب الأئمّه و الأنبياء عليهم السلام من وجهه نظر القرآن الكريم.

القرآن و علم الأنبياء عليهم السلام:

ليس لأىّ من الأنبياء من إحاطه بأسرار الخلق و تعاليم الدين بصوره تلقائيه، و أنّهم إنّما يتعلّمون كلّ شى ء من خلال الوحى و النفحات الربّانيّه، و قد صرّح القرآن بتعليمه آدم الأشياء- ضمن سرد قصّته- و أنّ الملائكه أعربوا عن عجزهم العلم بالأشياء دون رفدهم بها من اللّه وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَهِ فَقالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ* قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا(۱). و قال بشأن عيسى عليه السلام:

۱- سوره البقره: الآيه ۳۱- ۳۲.

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ(۱). و قد ذكرنا سابقاً أنّ علم الأنبياء عليهم السلام يستند إلى الوحى، بينما يستند الأوصياء فى علمهم إلى الأنبياء. و عليه: فهم ليسوا فقط لا يطّلعون على الغيب تلقائياً، بل حتّى علمهم بأسرار النبوّه إنّما هو من تعليم اللّه، حتّى علمهم بقصص الامم الماضيه و الأنبياء لا يتأتّى من بذل الجهود و التعرّف عليها من خلال الطرق المتداوله.

و الوحى هو سبيلهم فى الإحاطه بهذه الامور، و قد أفصح القرآن الكريم كراراً عن هذه الحقيقه بشأن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فعلى سبيل المثال يستعرض القرآن قصّه يوسف من أجل استنباط بعض الدروس و العبر التى لم يكن النبىّ صلى الله عليه و آله على علم بتلك الأحداث نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ(۲). و بناءً على ما تقدّم فسبيل الأنبياء إلى العلم هو الوحى، و بغضّ النظر عن الوحى فهم كسائر الناس فى التعرّف على الحقائق و تشخيص الامور و التعامل مع الحوادث، كما يبدون أحياناً دون الوحى أفراداً عاديين من حيث العلم ببعض الامور و كأنّهم لا يحسنون معرفه الأشياء المحيطه بهم. فنوح عليه السلام- و هو من أنبياء أولى العزم، و طبق النظره الابتدائيه دون الاستناد إلى الوحى- يرى صلاح ولده، فيستغيث باللّه من أجل إنقاذه من بلاء الطوفان رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي(۳)، فأتاه الخطاب الإلهى الحاسم الذى يتضمّن المنع عن مثل هذا الطلب قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ(۴).

۱- سوره آل عمران: الآيه ۴۸.

۲- سوره يوسف: الآيه ۳.

۳- سوره هود: الآيه ۴۵.

۴- سوره هود: الآيه ۴۶.

فلم یجد نوح بدّاً من الانصراف عن طلبه و الاستعاذه باللّه من تکرار مثل هذه الطلبات، قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ(۱). إذن، فلیس هنالک من غبار یشوب هذه الحقیقه فی أنّ سبیل الأنبیاء إلی العلم هو الوحی، و لیس لهم من سبیل إلی الإحاطه بجمیع الحقائق دون ذلک الوحی، و لا یلزم علی النبی کونه نبیّاً أن یلمّ تلقائیاً بکافّه الامور الغیبیه و یحیط خبراً بجمیع الحوادث. و هذا هو الأمر الذی کشف القرآن عنه النقاب حین خاطب النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله قائلًا: تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیها إِلَیْکَ ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا(۲). إذن، فلیس صحیحاً القول بأنّ النبیّ لکونه یشغل هذا المنصب الإلهی الرفیع یکون عالماً بالغیب بالذات، و أنّ مقام النبوّه سیزیل عنه کلّ حجب المجهول، و بعباره اخری: النبوّه لیست وسیله لعلم الغیب، بل النبیّ لا یستغنی فی کلّ آن عن الإفاضه الإلهیه فی إدراک المجاهیل، و هذا من الامور التی لا نقاش فیها، إلّا أنّنا حین نتتبع القرآن و الآیات الوارده بشأن النبوّه نفهم أنّ الباریء سبحانه قد أفاض عنایاته الخاصّه علی صاحب هذا المقام، بما یجعله یقف علی جمیع الامور المجهوله و ماضی و مستقبل البشریه و الحوادث التی تواجهها فی مسیرتها، حیث اختصّ سبحانه بعض عباده بهذه الإحاطه، الأمر الذی یجعل صاحب مقام الزعامه الدینیه عالماً بالغیب. و إلیک طائفه من الآیات الوارده فی علم الغیب، و هنا یمکننا أن نقسّم الآیات الکریمه إلی ثلاث طوائف: ۱- الآیات التی حصرت علم الغیب باللّه.

۱- سوره هود: الآیه ۴۷.

۲- سوره هود: الآیه ۴۹.

۲- الآیـات التی تنفی عن الأنبیـاء و النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله العلم بالغیب. ۳- الآیات الـدّاله علی إفاضه اللّه لعلم الغیب علی أنبیـائه. نکتفی بـذکر نموذجین من الآیـات الوارده فی القسم الأـوّل: ۱- قُـلْ لاـ یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلَّا اللَّهُ(۱). ۲- وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلَّا هُوَ(۲). و من نماذج القسم الثانی من الآیات: ۱- قُلْ لا أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ وَ لاـ أَعْلَمُ الْغَیْبَ وَ لا أَقُولُ لَکُمْ إِنِّی مَلَکٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَ(۳). ۲- قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْـتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ(۴). و أمّا نماذج القسم الثالث، فهی: ۱- عـالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَـداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضـی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْـلُکُ مِنْ بَیْنِ یَـدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَـداً* لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ(۵). ۲- وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ(۶).

۱- سوره النمل: الآیه ۶۵.

۲- سوره الأنعام: الآیه ۵۹.

۳- سوره الأنعام: الآیه ۵۰.

۴- سوره الأعراف: الآیه ۱۸۸.

۵- سوره الجن: الآیه ۲۶- ۲۸.

۶- سوره آل عمران: الآیه ۱۷۹.

مفاد الطوائف الثلاث من الآيات:

۱- علم الغيب بصوره تلقائيه مختصّ باللّه، و اللّه وحده العالم بالغيب بالذات و أنّ جميع الامور حاضره لديه. ۲- أنّ الأنبياء لا تتكشّف لهم حجب الغيب بمجرّد بلوغهم النبوّه. ۳- توضّح الطائفه الثالثه من الآيات حصر هذه القدره فی اللّه و نفی علم الغيب عن الأنبياء، كما تشير إلى ماهيه هذا الانحصار و ماهيه عدم اطّلاع النبی على الغيب، فهی تشير إلى أنّ اللّه إنّما يفيض هذه القدره على رسله فقط، و أنّه قد حباهم بهذه الكرامه من بين الخلق فأطلعهم على المغيّبات، و عليه: فليس للنبیّ تلقائياً من علم بالغيب، و أنّ اللّه يفيض هذه الكرامه على أنبيائه بما يكشف لهم الحوادث الخفيّه و الحقائق المكنونه، و يُنير لهم الظلمات من خلال الوحی، بل يمكن الجزم- على ضوء الآيه ۱۷۹ من سوره آل عمران- أنّ مقام الرساله معناه العلم التامّ بالغيب، و أنّ عمل الرسول هو الاستخبار بعلم المغيّبات، حيث يتمكّن بواسطه هذا العلم من قياده الأُمّه و الأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان و السعاده فی الدارين. و نخلص ممّا سبق إلى أنّ الفصل المميّز للرساله هو بلوغ الرسول منزله تجعله عالماً بالغيب، فهل ينطق الرسول عمّا سوى الغيب؟ و هل كشف الحقائق المجهوله و إبانه أسرار الوجود، و إماطه اللثام عن مستقبل البشريه و مصيرها، و إزاله الحيره و الاضطراب عن الأُمّه، و تعريفها بالحوادث إلى يوم القيامه، و ما ينتظرها فی ذلك اليوم، هی أشياء اخرى خارج ذلك العلم؟ و هل له ممارسه مثل هذه الأُمور بعيداً عن العلم بالغيب؟ نعم، إنّ بعض الرسل قد لا يبلغون كافّه مراحل كمال العلم الغيبی، فهم يتفاوتون فی تلقّی الإفاضات الإلهيه تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ(۱)،

۱- سوره البقره: الآيه ۲۵۳.

لکن لیس منهم من شـذّ عن تلک الإفاضات و حرم منها، و لم تتـح هذه الإفاضات بأکملها إلّا لرسول اللَّه صـلی الله علیه و آله و إن کان صـلی الله علیه و آله- علی ضوء بعض النصوص القرآنیه- لیس مطّلعاً علی بعض الحوادث یَسْئَلُکَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَهِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ(۱). فـالنتیجه التی نخلص إلیهـا من مجموع الطوائف الثلاـث هی أنّ الغیب الـذاتی مختصّ بـالحقّ تبـارک و تعـالی، و أنّ الوحی هو وسـیله الأنبیاء للتوصّل إلی هـذا العلم، و لکی یتّضـح الموضوع أکثر لا بـدّ من تسـلیط الضوء علی هاتین الآیتین: ۱- الآیه: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلَّا هُوَ(۲)، أولاـ یفهم من هـذه الآیه انحصار العلم بالغیب بـذات اللَّه تعالی؟ و نقول: لو کان المراد أنّه لیس هنالک أحـد سوی اللَّه له علم بکیفیه أسـرار الخلق و علم الغیب لکان من المناسب أن یحصـر هذا العلم به سبحانه لا مفاتحه. ۲- لقد وصف سـبحانه فی بعض الآیات ذاته المقدّسه بعلّام الغیوب، أی عبّر بصیغه المبالغه، کما ورد ذلـک فی الآیه أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ(۳). و هکذا عبّر بهذه الصـیغه فی سائر الآیات، أ فلا یشعر هذا بأنّ العلم المقتصر علی الحقّ تعالی هو العلم بمعنی المبالغه؟

علم الأئمّه علیهم السلام:

لقد اتّضح لدینا لحدّ الآن أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله مَن یستمدّ علمه بالأشیاء من

۱- سوره الأحزاب: الآیه ۶۳.

۲- سوره الأنعام: الآیه ۵۹.

۳- سوره التوبه: الآیه ۷۸.

الإفاضـات الغیبیه فهو عـالم بـالغیب، و لکن ما ذا بشأن الأئمّه؟ هل الأئمّه الأطهار علیهم السـلام عالمون بالغیب أیضاً؟ و هل ورد فی القرآن ما یفید استـنادهم إلی المدد الغیبی فی إمامتهم و اطّلاعهم علی المغیّبات و لو عن طریق النبیّ صلی الله علیه و آله؟ لا شکّ أنّ علم الأئمّه علیهم السـلام هو حصـیله إرشادات و توجیهات النبیّ الخاتم صلی الله علیه و آله، کما لا شکّ أیضاً أنّهم لا یستندون فی علمهم إلی الوحی، لکن لیس هنالـک من شکّ أیضاً- و کما اتّضـح من المباحث السابقه- فی أنّهم عیّنوا من قِبل اللَّه إلی جـانب کون إمـامتهم ممّا تقتضـیه وظیفه مواصـله أهـداف الرساله، و تطبیق الأحکام الإسـلامیه و تفصـیل أسـرار القرآن علاوه علی اسـتخلافهم من جـانب النبی صـلی الله علیه و آله. و بعباره أوضـح: أنّ الإمامه من الأُصول الرئیسـیّه للإسـلام و کافّه الشـرائع الإلـهیه، و أنّ الإمـام منصّب من قبـل اللَّه للنهوض بأهـداف الإسـلام و زعـامه الامّه و توجیههـا فی مسـیرتها الحیـاتیه، و خلاصـها من مصاعب الحیاه، و الأخـذ بیـدها إلی الصـلاح و الفلاح، و هنا لا بـدّ من معرفه: هل أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السـلام عالمون بالغیب و الحوادث الخفیّه و تفاصیل الأُمور، أم أنّ علمهم یقتصر علی القرآن و الأحکام؟ قد ذکرنا آنفاً أنّ لهؤلاء الهداه إمامه الأُمّه بعد النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله، و قد نصّت آیه الطاعه أَطِیعُوا اللَّهَ بولایتهم للأمر و تشکیل الحکومه الإسلامیه، فهل ینبغی أن یکون الحاکم الإسلامی عالماً بالغیب، و ما رأی القرآن الکریم بهذا الشأن؟

نقطه ضروریه:

لا ندَّعی فی هذه الأبحاث أنّ مفاد الآیات الکریمه- التی سـنعرض لها لاحقاً- صـریحه فی أنّ الإمام بالاستناد إلی الفیض الإلهی عالم بالغیب، بل ما تفیده الآیات الوارده بهذا الشأن، هو أنّ الأفراد الذین بیدهم مقدّرات المسلمین علی أنّهم

حکّام المسلمین و أئمّتهم لا بدّ أن تکون دعائم حکومتهم مستنده إلی الاستمداد الغیبی، و أنّهم یعتمدون علی العلم الغیبی الذی یفاض علیهم، و أنّ الإمام إنّما یُمارس زعامته بما یفیض اللَّه علیه، و حیث ثبت فی محلّه أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هُم ولاه الأمر و الحکّام، فمن المفروغ منه أن تستند أسس حکومتهم إلی العلم الغیبی. و بعباره اخری: أنّ الحکومه الإسلامیه و تدبیر الأُمور علی أساس الإطار الإسلامی و تصریف شئون القضاء و إداره شئون البلاد و تعریف الأُمّه بوظائفها و کیفیّه التعامل معها و توجیهها و إرشادها، کلّ ذلک لا بدّ أن یستند إلی العلم الغیبی، و علیهم أن یبلغوا الأُمّه ما ألهمهم اللَّه من مکنون غیبه. و بناءً علی هذا فإنّ الحاکم الإسلامی إنّما یستند إلی العلم الغیبی فی حکومته و توجیهه و زعامته للُامّه، و لمّا کانت الحکومه الإسلامیه للأئمّه الأطهار علیهم السلام بعد النبیّ صلی الله علیه و آله کان لا بدّ من علمهم التامّ بالمغیَّبات و الحوادث الخفیّه و ما یواجه الإسلام و المسلمین خلال المسیره. و استناداً لهاتین المقدّمتین- اللتین هما بمثابه الصغری و الکبری- یثبت أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام زعماء الدین مطّلعون علی الغیب، عالمون بالحوادث الواقعه و ما یمت بصله لسعاده الامّه. أمّا کبری هذا الدلیل فهی الآیات التی سنتطرّق إلیها، و التی تفید استناد الحاکم الإسلامی لعلم الغیب، و أمّا صغراه فهی الآیات السابقه التی صرّحت بأصل الإمامه علی غرار أصل النبوّه، و أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام من بنی هاشم هم أُولو الأمر بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله. و نخوض الآن فی الآیات التی تمثّل کبری الدلیل، أی الآیات التی تفید ضروره استناد الحاکم الإسلامی فی شئون الحکومه إلی علم الغیب و کونه عالماً بالغیب.

الآیه الأولی:

اشاره

إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ وَ لا تَکُنْ لِلْخائِنِینَ خَصِیماً(۱). واضح أنّ ما أری اللّه نبیّه و أراده هو أن تکون حکومته و دعائمها قائمه علی أساس ذلک العلم بالمغیّبات، و قد ذکر کِبار المفسّرین من قبیل الشیخ الطوسی- المحقّق المعروف- فی سبب نزول الآیه أنّ الإخوه الثلاثه من بنی زریق و هم بشر و بشیر و مبشّر سرقوا سیفاً و درعاً و طعاماً من عمّ قتاده بن النعمان، فأتی قتاده رسول اللّه صلی الله علیه و آله بطلب من عمّه لاسترداد تلک المسروقات، و قد کان قتاده وجیهاً محترماً لدی رسول اللّه صلی الله علیه و آله؛ لأنّه شهد بدراً. فبعث السرّاق بأسیر بن عروه- و کان منطیقاً یشفع لهم عند النبی صلی الله علیه و آله، فسمع ابن عروه مقاله قتاده، فقال مُدافعاً:

یا رسول اللّه صلی الله علیه و آله إنّ هؤلاء الإخوه من أشرافنا، فلا أری أن تأذن بأن یساء إلی المسلمین عندک، فحمل رسول اللّه صلی الله علیه و آله علی قتاده و عنّفه علی اتّهاماته. و کان لا بدّ للنبی صلی الله علیه و آله من العمل بالظاهر من تعنیفه، لرمیه بعض المسلمین بالسرقه دون الإتیان بدلیل أو حجّه ... فترک قتاده المجلس حزیناً و رجع إلی عمّه مغموماً فقال:

لیتنی متّ و لم أقل للنبی صلی الله علیه و آله ما قلت(۲). فنزلت الآیه لتطّلع النبیّ صلی الله علیه و آله علی الحقیقه و تحکم بخیانه الإخوه الثلاث و تطلب من النبیّ صلی الله علیه و آله أن یستند فی حکمه إلی العلم الواقعی، أی العلم بالمغیّبات، رغم کون ظاهر الأمر یقتضی بما قام به النبیّ صلی الله علیه و آله و یعنّف قتاده، إلّا أنّ اللّه أشار علیه بالحکم استناداً إلی الغیب و ما أراه سبحانه و ألّا یدافع عن الخائن، فالذی یفیده سبب النزول أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و بغضّ النظر عن الوحی لا یحیط ببعض الأُمور الجزئیه،

۱- سوره النساء: الآیه ۱۰۵.

۲- تفسیر القمّی ۱: ۱۵۰- ۱۵۱، التبیان فی تفسیر القرآن ۳: ۳۱۶- ۳۱۷، مجمع البیان ۳: ۱۷۴- ۱۷۵.

إلّا أنّه يطّلع عليها و على تفاصيل سائر الحوادث من خلال الاستمداد من الغيب، فالغيب من شأنه أن يحدّد الخائن و السارق و البرى ء. فلا يخفى شى ء على الحاكم الإسلامى، و هو عليم بالأسرار الخفيّه، و أنّ اللّه قد أراه ما تقوم به حكومته. و إذا تأمّلنا العباره «ما أراك اللّه» التى وردت بصيغه الماضى و طبّقناها على هذه الواقعه، لإفادتنا عدم وجود أىّ شى ء مخفى و مستور على النبى صلى الله عليه و آله، و هو عليم بالأشياء بنبوّته المستنده إلى المدد الغيبى، فليس هنالك من ترديد بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه و آله فى أنّ أولئك الإخوه الثلاث سارقون خائنون.

نظره أعمق:

رغم أنّ الآيه الكريمه- بالالتفات إلى سبب النزول- مختصّه بحادثه مع النبى صلى الله عليه و آله، إلّا أنّ التعمّق فى الآيه يفيد ضروره استناد حكومه و زعامه الحاكم الإسلامى- الذى نصّ به اللّه على الخلق- إلى علم الغيب و ما يريه اللّه و يكشف له من مكنونات الأُمور؛ لأنّ مفاد الآيه لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ- مع إلغاء خصوصيه هذا المورد- أنّ الحاكم الإسلامى لا يحكم إلّا بما يريه اللّه و يرشده إليه، و هذا ما يستلزم الاستنتاج بعلم الحاكم و الإمام بالمغيّبات و الحوادث الخفيّه، و لو كانت تلك الحادثه جزئيه و فى زمان خاصّ، و حيث نصّت الآيات السابقه على أنّ الإمام خليفه النبىّ صلى الله عليه و آله فى الحوادث الواقعه و زعامه الأُمّه و ولايه شئونها الإسلاميه فهو يتمتّع بما يتمتّع به النبى صلى الله عليه و آله من علم، و اللّه أعلم.

الآيه الثانيه:

اشاره

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ(۱).

۱- سوره يوسف: الآيه ۱۰۱.

الأحادیث بمعنی «الإخبار عن حوادث الزمان»، فالآیه تفید تعلیمه حوادث الزمان بتفاصیلها، أی العلم الغیبی.

منصب یوسف علیه السلام:

إنّ یوسف الصدّیق الذی واجه تلک المصائب و الویلات التی ملأت حیاته بالألم و المعاناه و الحرمان و الفِراق، و بعد أن أثبت خلوصه فی عبودیه اللّه و کفایته حظی بشی ء من زعامه مصر و أصبح أمیناً لخزانتها، و حیث کان من أنبیاء اللّه و قد جعله اللّه فی ذلک المقام و فوّض إلیه إداره الشئون المالیّه للبلاد، وجب أن یکون عالماً بخزائن الغیب و مکنوناته و حوادث الزمان و المرجع فی تلک الوقائع و الأحداث. و بناءً علی هذا فإنّ الحاکم و إن کان دون الزعیم العام و أوطأ درجه منه، فإن کان یشغل هذا المنصب من جانب اللّه فهو عالم بالمغیّبات و الحوادث الخفیّه. و قد نبّه القرآن الکریم إلی قبس منه فی تأویل الأحلام و ارتداد یعقوب بصیراً(۱)، و علیه: فإنّ الزعامه الإلهیه تتطلّب العلم بالمغیّبات و الإحاطه بالحوادث سواء کانت هذه الزعامه متمثّله بیوسف علیه السلام، أم غیره من الزعماء الربّانیین، و ذلک لأنّ الآیه الکریمه صریحه فی أنّ مَن تصدّی للملک من قِبل اللّه لا بدّ أن یکون ملمّاً باسلوب إداره شئون البلاد و الاستمداد الغیبی.

الآیه الثالثه:

وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ(۲). یتّضح من التأمّل فی قصّه طالوت و جالوت- التی ذکرنا تفاصیلها سابقاً أنّ

۱- سوره یوسف: الآیات ۴۳- ۴۹ و ۹۶.

۲- سوره البقره: الآیه ۲۵۱.

زعامه الامّه إنّما تفوّض إلى الصالحين من الأفراد ممّن تتوفّر فيهم شرائطها، من قبيل العلم و القدره و ... و أنّ اللّه هو الذى زوّد الملك بتلك القدره العلميه، حيث صرّحت الآيه قائله: وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ. و لعلّ فاعل «يشاء» ضمير يعود إلى داود، أى أنّ اللّه آتى داود كلّ ما شاء من العلم. و ربّما عاد الضمير إلى «اللّه» أى أنّ علم داود من اللّه، و قد أفاض اللّه ما شاء من العلم على داود. على كلّ حال فالمعنى المستفاد هو أنّ زعيم البلاد- الملك- ينبغى أن يكون عالماً بالمغيّبات محيطاً بالمكنونات، و أنّ زعامته لا تستند إلى الطرق و الجهود المتعارفه فى الحصول على العلم، بل وسيلته فيها إفاضات الحقّ سبحانه فى الوقوف على الأسرار، سواء كان هذا الزعيم داود، أو أىّ فرد آخر ينصّبه اللّه.

الآيه الرابعه:

وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِيتاءَ الزَّكاهِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ(1). ترى الآيه أنّ الإمامه منصب إلهى، كما تدلّ على أنّ الإمام يتولّى الأمر بالاستمداد الغيبى، و الذى تفيده هذه الدلاله استناد الإمام فى زعامته إلى العلم الغيبى. و بناءً على هذا فللأئمّه الأطهار عليهم السلام مثل هذا الامتياز؛ لأنّهم مصطفون من قبل اللّه، غايه ما فى الأمر أن لا سبيل إلى الوحى، و أمّا سائر السبل فمفتوحه.

ثمره هذا البحث القرآنى:

لقد أصبح الأمر جليّاً بأنّ أئمّه الإسلام إنّما يستندون إلى الغيب فى زعامتهم

۱- سوره الأنبياء: الآيه ۷۳.

و أنّهم مطّلعون على خفايا الأُمور، و لكن ما مـدى هـذا الاطّلاع و العلم، و كيف يتأتّى لهم هذا العلم؟ لا يمكن الاسـتدلال بهذه الآيات فى هـذا الخصوص، و لكن ما يمكن الجزم بقوله هو أنّ علمهم بكيفيّه تؤدّى إلى هـدايتهم إلى الصـراط المُسـتقيم و إلى سبل السـلام، و أن تكون هـدايتهم صائبه صـحيحه تماماً، فهم الهُـداه إلى الحقّ و الحقائق المسـلّمه، و ذلك بفعل اسـتنادهم إلى الغيب، و ليس هنالك من سبيل إلى خطأ هـذه الهدايه، و بالتالى فشل و هلاك الامّه أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدى(۱). كمـا نعلم من جانب آخر أنّ هؤلاء زعماء إلى الأبـد، و قـد تقـدّم هـذا البحث و ثبت فى حينه أنّ العالم الإسـلامى لاـ بـدّ أن يخضع- و إلى قيام الساعه- فى قيادته لمثل هؤلاء الزُّعماء. و بناءً على هـذه النتيجه و المقـدّمتين فإنّ علمهم بالحوادث الخفيّه و ما سـتواجهه الأُمّه الإسـلاميه فى المسـتقبل، و لا سـيّما الحوادث ذات الصـله بكيان الإسـلام و المسـلمين إنّما تثبت و توضّـح أمرين، هما: ۱) أنّ الأـئمّه الأطهار عليهم السـلام هم الزعماء و القاده إلى الأبـد. ۲) أنّ زعامتهم و بالاسـتناد إلى المـدد الغيبى و العنـايه الإلهيه هى عين الصواب و التى تتضـمّن الهـدايه المطلقه إلى الحقّ. و أمّا ثمره هاتين المقـدّمتين؛ فهى أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السـلام عالمون بالحوادث الخفيّه و ما سـتواجهه الامه الإسلاميه إلى يوم القيامه، و ذلك لأنّه لا يمكنهم أن يكونوا زُعمـاء إلى الأبـد مـا لم يكونوا عـالمين. و إن قُلنـا بأنّهم زعماء إلى الأبـد، و لكن ليس من الضـرورى أن يكونوا عالمين بجميع الحوادث، فإنّ هذا ينقض الفرض

۱- سوره يونس: الآيه ۳۵.

القائل بأنّ زعامتهم هی عین الصواب. إذن، فالعلم و الاطّلاع من مستلزمات خلود زعامتهم. کما أنّ ملزوم هدایتهم المطابقه للواقع و البعیده عن الفساد هو علمهم بجمیع الحوادث. و هنا یبرز هذا السؤال: أ یمکن أن تکون توجیهات و هدایه الزعیم صائبه و دون شائبه فی حین لیس له من علم بالحوادث، و أنّه یقود الأُمّه إلی سبل السلام و یهدیها إلی الصراط المستقیم حین تعترضها بعض الأحداث التی لم یتکهّن بها؟ کیف یمکن الاعتقاد بأنّ الأئمّه علیهم السلام هم الزعماء إلی الأبد، و أنّ الامّه تحذو حذوهم بینما یجهلون عواقب الامور و الأحداث! و کیف لنا أن نتصور أنّ هدایتهم عین الواقع إلی الأبد و هم جاهلون بالوقائع؟! و علیه: فإنّ افتراض عدم علم الأئمّه علیهم السلام إنّما یستلزم إنکار أصلین قرآنیین مسلّمین، و هما: ۱- الزعامه الأبدیّه للإمام. ۲- الهدایه الواقعیه التی تأبی الفساد أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلَّا أَنْ یُهْدی(۱). فکأن مفهوم الآیه هو أنّ مَن یهدی إلی الحقّ و لیس للباطل من سبیل إلیه هو الإمام الأبدی، و الإمام الأبدی لن یخطئ؛ لأنّ الاتّباع ورد مطلقاً فی الآیه، و علیه: فالإمامه دائمه أیضاً، أمّا نفی العلم بالحوادث المستقبلیه عن الإمام الأبدی ذی الهدایه الواقعیه الصائبه إنّما هو مکابره و جدل فارغ.

علائم الإمام علیه السلام:

بغضّ النظر عن الشرائط التی بحثت فی الآیات الماضیه التی تکشف النقاب عن علائم الإمام و شرائط الإمام من وجهه نظر القرآن الکریم، فقد اتّضحت

۱- سوره یونس: الآیه ۳۵.

الأبعـاد العلميه للإمام فی ما یلی: ۱- أنّ الإمـام یمـارس زعامته من خلال الاعتماد علی الغیب. ۲- الزعامه الروحیه- الأشـمل من الإمـامه و النبـوّه- لیست سوی المعرفه بـالغیب، و لم تجر المشـیئه الإلـهیه أن یطّلع النـاس علی الغیب دون الوسـیط العـالم بسـبل السعاده و الفلاح، بل لا یتحقّق هذا الهدف إلّا فی ظلّ صفوه ربّانیه، و هذه هی إراده اللَّه فی أنّه «لا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ»(۱). ۳- أنّ أئمّه الـدین عـالمون بـالغیب خبیرون بما حُجِب عن الأبصار. ۴- هـدایتهم بالنظر لاعتمادهم علی الغیب مطـابقه للواقع تـأبی الخطـأ و الاـنحراف. ۵- حـدّ الهـدایه و الإرشـاد هو المسـیره التـأریخیه للبشـریه، و علیه: فهم عـالمون بحوادث البشـریه و عاقبتها. ۶- کـلّ هـذه الاـمور من الفیوضات الغیبیه و العنایات الإلهیه، و إلّا فهم لا یتجاوزون الإمکان العلمی فی الحدود الإنسانیه.

التصدّی للانحراف:

لقـد أشـار القرآن فی أکثر من آیه إلی روح اللجاجه و العناد و عـدم التسـلیم التی تحکم روح الإنسان طیله عصور الأنبیاء علیهم السـلام، لکن أحیاناً یخرج عن حاله التسـلیم الطبیعی لیقع فی مستنقع الضلال. فالقرآن یُشیر إلی هذا الأمر، و أنّ هناک طائفه لم تؤمن بنبوّه عیسـی علیه السـلام حتّی همّت بقتله، بینما ذهبت طائفه اخری و سـلّمت لأُلوهیّه نبی اللَّه عیسی علیه السلام، و لذلک جهـد القرآن فی محاربه هـذه الأفکار الضالّه المنحرفه، و الواقع هو أنّ هذا الضـلال الذی شـمل ملایین النصاری الروم إنّما کان معلولًا

۱- اقتباس من سوره الجنّ: الآیتان ۲۶- ۲۷.

لولادته من الامّ دون وجود الأب، أی الولاده من غیر المسیر الطبیعی الإنسانی، و قد رکّز القرآن الکریم علی أنّ الولاده الطبیعیه خاضعه لإراده اللّه تابعه لقدرته، و إن کان هناک من ولید دون أب؛ فإنّه لا یعنی أنّه خارج عن الولاده الإنسانیه الطبیعیه و أنّه فوق الإنسان الطبیعی، و ذلک لأنّ القدره و الإراده الإلهیه أعظم من هذه الأُمور، فاللّه هو الذی یخلق من العدم، کما یخلق آدم من تراب، و علیه:

فعیسی علیه السلام لیس خارجاً عن دائره الإمکان، فهو کسائر المخلوقات التی اکتسبتها المشیئه الإلهیه حقیقه الوجود.

هدف الآیات النافیه لعلم الغیب:

لا یبدو مستبعداً علی ضوء الآیات التی وردت بشأن علم النبیّ و أئمّه المسلمین أن یکون الهدف من نفی علم الغیب عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله هو الأمر المهمّ الذی ذکرناه سابقاً، فقد ترعرع النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی بیئه تتّصف بالجهل و الخرافه و آلاف العیوب و عدم التعرّف علی العالم الإنسانی، و قد سطع نوره فی ظلمات القلوب، فلعلّ هناک بعض الأفراد الذین یفقدون باصرتهم إثر ترکیزهم علی رؤیه الشمس، فقد کانت لشخصیه النبیّ صلی الله علیه و آله و قدرته العلمیه و سموّه و رفعته أثرها فی نفوس البعض الذی یخشی علیه من الاضطراب، کما یمکن أن یصل بعض المؤمنین إلی المغالاه فی الحقّ بالنسبه للنبی صلی الله علیه و آله؛ و بالتالی یُصابون بما اصیب به النصاری فیقولون بالوهیه محمّد صلی الله علیه و آله، و لهذا جهد القرآن علی إضفاء حاله الاعتدال لدی المسلمین و عدم الانحراف عن الصراط. و لذلک نری القرآن الکریم لا ینفک یؤکّد ما معناه أنّ محمّداً لیس إلّا بشراً مثل سائر الأفراد، کما أنّ شعار الإسلام الذی یکمن فی الشهاده قد تضمّن التأکید علی عبودیه محمّد للّه «و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله»، فالقرآن سعی من خلال نفیه

علم النبی صلی الله علیه و آله بالغیب لإبعاد التصوّر الـذی قـد یسود الأذهان بأنّه فوق البشـر، و لا یغفلوا عن کونه عبداً من عبید اللَّه لیبلغ الوحی و الرسـاله. و من هنـا لا بـدّ من القول بأنّ الآیات النافیه لعلم الغیب إنّما تجرّده من العلم الـذاتی للغیب، فهو لیس بذاته محیط بالأسـرار و الخفایا، لیتصوّر بأنّه إله فی الأرض، و أنّ اللَّه سبحانه بعنایته و لطفه و فیضه إنّما یرفع عنه حجب الغیب و یطلعه علی المکنونـات، فـالنبیّ صـلی الله علیه و آله کـالمرآه التی تعکس نور اللَّه سـبحانه. و لـذلک تطالعنـا أیضـاً- و فی إطار الهـدف المـذکور- بعض الآیـات التی تسـلبه القـدره الـذاتیّه علی هـدایه الامّه، بل أبعـد من ذلک أنّ بعض الآیات سـلبته بعض الأفعال الاختیاریه وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمی(۱)، کما سلبته الهدایه إلی الصراط المُستقیم تحقیقاً لذلک الهدف إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ(۲). نعم، لقـد تنوّعت الأسالیب و الخطابات القرآنیه التی تروم تفادی الانحراف الفکری و الغلوّ فی شـخص النبی صـلی الله علیه و آله بفعـل الکمالاـت العـالیه التی اشـتملت علیها شخصـیته، و أحیاناً ترد بعض الآیـات القرآنیه علی لسـانه قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحی إِلَیَ(۳)، و کلّ ذلک بالطبع یهـدف إلی عـدم ضـلاله القوم و تورّطهم کتورّط النصـرانیه فی نسـبتها المسیح للربوبیه، و إلّا فمحمد صلی الله علیه و آله لم یسلک وادیاً و لم یهد إلی سبیل إلّا من خلال الغیب، أو هنـاک تفسـیر سوی الغیب لهـذه الفصـاحه القرآنیه و المعـارف العلمیه و الحقـائق الاجتماعیّه و السیاسـیه و المـدنیه و البلاغیه التی أتی بها بشر امّی؟

۱- سوره الأنفال: الآیه ۱۷.

۲- سوره القصص: الآیه ۵۶.

۳- سوره الکهف: الآیه ۱۱۰.

إذن، فحديثه عن الغيب و كشفه الحجب إنّما يستند فيها إلى الحقّ سبحانه نور السموات و الأرض، و أمّا الآيات التى نفت علم الغيب عنه وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ(۱) إنّما تنفى الغيب الذاتى للنبى صلى الله عليه و آله، و كأنّه يريد أن يقول بأنّى لا أعلم شيئاً إلّا ما أفاض علىّ الحكيم المطلق.

آيات أُخرى:

نذكر هنا طائفه من الآيات التى تؤيّد ما ذهبنا إليه سابقاً: ۱- قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً(۲). ۲- إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً(۳). ۳- قُلْ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً(۴). ۴- عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً(۵). فالآيات تكشف عن عدم قدره النبىّ صلى الله عليه و آله على النهوض بالإنسان و إيصاله إلى مراحل الكمال بالاستناد إلى نفسه دون الاستمداد من الغيب الإلهى. إذن، لا شكّ فى أنّه ليس له من وسيله إلى تربيه الأُمّه و إرشادها و إبلاغها رسالات السماء و قيمها سوى الاستناد إلى الغيب، و كلّ ما يأتى به إنّما هو الغيب،

۱- سوره الأعراف: الآيه ۱۸۸.

۲- سوره الجنّ: الآيه ۲۱.

۳- سوره الجنّ: الآيه ۲۳.

۴- سوره الجنّ: الآيه ۲۵.

۵- سوره الجنّ: الآيتان ۲۶- ۲۷.

و ليس هنالك إلّا بعض النوادر التی لم يطّلع عليها النبیّ صلی الله عليه و آله من قبيل الساعه، و لعلّ مثل هذا الأمر خارج عن طاقه العقل البشری مهما كانت قوّته، و ليس ذلك إلّا إلی علّام الغيوب. نعم، إنّ هذه الآيات هی الأُخری واضحه فی نفی علم الغيب عن النبی صلی الله عليه و آله، فی الوقت الذی تصرّح فيه بأنّه إنّما يستند إلی الغيب الإلهی فی مسيرته الدينيه التربويه.

هدف الأئمّه من نفی العلم بالغيب:

هذا هو الأمر الذی واجه الأئمّه الأطهار عليهم السلام أيضاً، فقد كانوا يحدّثون بالأخبار الغيبيّه؛ ممّا حدا بالبعض إلی المغالاه، و لذلك نراهُم أحياناً ينفون وقوفهم علی مثل هذا العلم. و نری من الأفضل أن نورد بعض النماذج التی ذكرها النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله أو الأئمّه عليهم السلام و التی تكشف عن مدی كمالهم و علمهم، ثمّ نتطرّق بعدها إلی تلك الأخبار التی تضمّنت نفيهم الانطواء علی ذلك العلم، و لا نری من حاجه للخوض فی المزيد من الأخبار التی وردت عنهم، فنوكل هذا الأمر إلی الكتب الروائيه و التأريخيه التی شحنت بهذه الأخبار، و نكتفی بذكر بعض الأخبار التی وردت عن أمير المؤمنين عليه السلام فی شرح نهج البلاغه لابن أبی الحديد، ثمّ نورد عباراته بهذا الشأن بصفته متتبّعاً لا غرض له، إذ ليس هو من علی عليه السلام.

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيُّها الناس فإنّی فقأتُ عين الفتنه ... فاسألونی قبل أن تفقدونی، فوالذی نفسی بيده لا تسألونی عن شی ء فيما بينكم و بين الساعه، و لا عن فئه تهدی مائه و تضلّ مائه إلّا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها، و مناخ ركابها، و محطّ رحالها،

و مَن يُقتل من أهلها قتلًا و من يموت منهم موتاً»(۱). يقول ابن أبى الحديد: «روى أبو عمر محمّد بن عبد البرّ فی کتابه الاستيعاب عن جماعه من الرواه المحدّثين قالوا: لم يقل أحد من أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله: سلونی قبل أن تفقدونی إلّا علیّ بن أبی طالب. و قال: «روى شيخنا أبو جعفر الإسكافی فی كتابه نقض العثمانيه، عن علی بن الجعد، عن ابن شبرمه قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلونی إلّا علیّ بن أبی طالب علیه السلام». ثمّ خاض ابن أبی الحديد فی الامور الغيبيه التی أوردها أمير المؤمنين علیه السلام فقال: «لقد أقسم على باللّه الذی نفسه بيده أنّهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم و بين القيامه إلّا أخبرهم به، و أنّه ما صحّ من طائفه من الناس يهتدی بها مائه، و تضلّ بها مائه إلّا و هو مخبر لهم- إن سألوه- برعاتها و قائدها و سائقها، و مواضع نزول ركّابها و خيولها، و مَن يقتل منها قتلًا، و مَن يموت منها موتاً، و هذه الدعوى ليست منه علیه السلام ادّعاء الربوبيّه، و لا ادّعاء النبوّه، و لكنّه كان يقول: إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله أخبره بذلك». ثمّ أراد أن يؤكّد أنّ ما قاله علیّ فی ادّعائه علم الغيب إنّما هو عين الصواب فقال: «و لقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكوره»(۲). ثمّ قال: لقد حدث كلّ ما أُخبر عنه، فقد قال قبل موته بسنوات: كأنّی بالشقی و قد خضّب هذه بهذه، أی ضربه ابن ملجم، ثمّ أخبر عن قتل ابنه الحسين فی

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۲۳۳- ۲۳۴.

۲- طبعاً لا نحتاج إلى اختبار ما قاله أمير المؤمنين علیه السلام و يشاركنا فی ذلك السنّه و نفس ابن أبی الحديد، و لكن ليس هنالك من سبيل لمن لا يعتقد بمقام علی سوى وقوع الحوادث طبقاً لما أخبر عنها.

کربلاء و استشهاد تلک العصابه معه(۱)، و ما أحرانا أن نورد بعض الأخبار الغیبیه کما ذکرها ابن أبی الحدید، و الأفضل فی ذکر وصف المحبوب أن یأتی علی لسان الآخرین لا علی لسان المحبّ.

الأخبار الغیبیه لعلی علیه السلام:

۱- الإخبار عن حکومه معاویه. ۲- حکومه الحجّاج بن یوسف الثقفی. ۳- قصّه الخوارج و معرکه النهروان. ۴- إخبار بعض أصحابه بالقتل و الصلب. ۵- قتاله للناکثین و القاسطین و المارقین. ۶- عدد أصحابه الذین یهبّون لنصرته من الکوفه فی قتال أهل البصره. ۷- إخباره عن صلب عبد اللّه بن الزبیر و وصفه بأنّه رجل مخادع لا یظفر بما یرید و یتشبّث بالدین من أجل الدنیا. ۸- الإخبار عن خروج الرایات السود من خراسان، و التصریح بأسماء بنی زریق من خراسان الذین یوالون حکومه بنی العباس. ۹- إخباره عن بعض الزعماء من ذرّیته فی طبرستان، مثل الناصر و الداعی و غیرهما. ۱۰- إخباره عن قتل النفس الزکیه فی المدینه قرب موضع أحجار الزیت و الإخبار عن قتل أخیه عند باب حمزه بعد أن یظهر ثمّ یفشل. ۱۱- قصّه إسماعیل بن جعفر بن محمّد علیهم السلام و وصفه بذی البداء و المسجّی بالرداء. و توضیح ذلک: أنّ بعض الروایات صرّحت بالبداء فی إمامه إسماعیل حیث

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۷: ۴۶- ۴۸.

شاء اللّه أن یتغیّر مسار الإمامه التی کانت إلیه- طبعاً ذکرنا مسأله البداء فی محلّها و لمّا حضرت إسماعیل الوفاه طرح أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد علیهم السلام علیه رداءً، ثمّ وضعه فی لحده مع عدد من کِبار الشیعه لیوقن الجمیع بموت إسماعیل. ۱۲- إشارته إلی حکومه بنی بویه بقوله: یخرج من الدیلم من «بنی صیّاد»، یذکر أنّ والده کان یصید السمک و یبیعه، کما أخبر بأنّ بنی بویه یسیطرون علی الزوراء و یعزل الوزراء، و هنا قام له رجل فسأله: ما مدّه حکومتهم؟ فقال علیه السلام:

مائه عام أو أقلّ بقلیل. ۱۳- إخباره عبد اللّه بن العباس بأنّ الحکومه ستئول إلی ولده، فقد ولد لابن عباس ولد یُدعی «علی» فأتی به إلی أمیر المؤمنین علیه السلام فجعل شیئاً من لعابه فی فمه و مضغ تمره فجعلها فی فمه و قال: خذه فإنّه أبو الملوک(۱).

الروایات و علم غیب الأئمّه علیهم السلام:

تتّضح بجلاء الشخصیه العلمیه للإمام من خلال البحث فی الأخبار و الآیات القرآنیه فی أنّه لا ینطق سوی عن الغیب، و أنّ ذلک ممّا علّمه إیّاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله أو أفاضه علیه الحقّ تبارک و تعالی. فأدنی نظره إلی القرآن تفید أنّ أهل البیت صفوه حظیت بعنایه اللّه، الأمر الذی جعل بصیرتهم تخترق حجب الحوادث الکونیه، بل تقف علی کنه العالم و تحیط بأسرار القرآن و خفایا الحوادث و القصص المُستقبلیه، و أنّ القرآن قد رسم صورتهم العلمیه الحقیقیّه. ورد فی الخبر أنّ زراره سأل الإمام الباقر علیه السلام عن الآیه: وَ کانَ رَسُولًا نَبِیًّا(۲) الإمام ما منزلته؟ قال: «یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک» ثمّ استدلّ علیه السلام بقوله

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۷: ۴۸- ۵۰.

۲- سوره مریم: الآیتان ۵۱ و ۵۴.

تبـارک و تعالی: «وَ مَا أَرْسَـلْنَا مِن قَبْلِکَ مِن رَسُولٍ وَ لَا نَبِیٍّ وَ لَا مُحـدَّثٍ»(۱)،(۲). و روی الحسن بن محبوب، عن الأـحول، عن أبی جعفر الباقر علیه السـلام فی الفرق بین الرسول و النبی و المحـدّث قال: «أمّا المحدّث فهو الذی یحدّث فیسـمع، و لا یعاین و لاـ یری فی منامه»(۳). و أجـاب الإمـام الرضـا علیه السـلام الحسن بن العبـاس قائلًا: «و الإمـام هو الـذی یسـمع الکلاـم و لا یری الشخص»(۴). فمضـمون هـذه الروایـات المتواتره یفیـد أنّ للإمام علیه السـلام أُذُناً تجعله یطّلع علی الأسـرار و الإحاطه العلمیه، و هـذه غیر ظواهر الکتاب و تعلیم رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله. أجل، فالقرآن یعتبر الأئمّه علیهم السـلام شُـهداء علی الناس یوم القیامه، و أنّی لهم الشـهاده علی الآخرین ما لم یطّلعوا علی أعمالهم؟ فقد روی بریده العجلی عن الإمام الباقر علیه السلام أنّه تلا: لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَـهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُـهَداءَ عَلَی النَّاسِ فقـال: فرسول اللَّه صـلی الله علیه و آله الشـهید علینـا بمـا بلّغنا عن اللَّه تبارک و تعالی، و نحن الشـهداء علی الناس، فمن صدّق یوم القیامه صدّقناه و من کذّب کذّبناه»(۵). فما الذی یفیده هذا الخبر؟ فالإمام شاهد علی الأعمال، و النبیّ شاهد علی الأئمّه علیهم السـلام، النبیّ یشهد أنّه علّم الأئمّه الغیب و أوامر اللَّه، فالنبیّ شاهد و الأـئمّه شـهداء علی النـاس فی محکمه العـدل الإلـهی، و أنّ أعمـال الاـمّه لیست بخافیه علیهم، و علی هـذا أ فلا ینبغی التصـدیق بعلمهم بالغیب و کافّه الحوادث و أعمال الامّه؟

۱- اقتباس من سوره الحج: الآیه ۵۲.

۲- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبی و المحـدّث ح ۱. لم ترد فی القرآن کلمه« و لا محـدّث». الأمر الـذی یلزم أن یقال: إنّ هذا من باب تأویل الآیه.

۳- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبی و المحدّث ح ۳.

۴- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبی و المحدّث ح ۲.

۵- الکافی ۱: ۱۹۱ الروایه الرابعه: باب أنّ الأئمّه شُهداء اللَّه علی خلقه ذ ح ۴.

بحث مختصر حول آيه قرآنيه:

صرّحت آخر آيه من سوره الحج قائله: وَ جاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِی الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِی هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ(١). فظاهر الآيه يفيد أنّها خطاب لصفوه من زُعماء الدين، و يؤيّد ذلك: ١) عباره هُوَ اجْتَباكُمْ التی تدلّ علی الاختيار و الامتياز. ٢) كلمه أَبِيكُمْ لأنّ إبراهيم هو أب الأئمّه الأطهار عليهم السلام لا جميع المسلمين. ٣) عباره هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ و ذلك لأنّ إبراهيم سأل اللّه صفوه من ذرّيّته مسلمه منقاده للّه، و قد تناولنا ذلك مسبقاً خلال شرح الآيه الكريمه رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ(٢). و بناءً علی هذا فإنّ العباره: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ خطاب لزعماء الدين و لا سيّما الأئمّه الأطهار عليهم السلام، مضافاً إلی أنّ «الشاهد» غير المدّعی و المنكر، فالمنكر أو المدّعی هم «الناس». و حقّاً لا بدّ أن يكون الشاهد أُناساً آخرين عالمين بأعمال كافّه الناس، و إذا تعاملنا مع كلمه «الناس» علی ظهورها فإنّها تعنی جميع العالمين، فنستطيع القول بأنّه ليس هنالك عمل لأيّ فرد يخفی علی زعماء الدين و أئمّه المسلمين. و هكذا يتّضح- علی ضوء هذا الاستدلال- قول الإمام الباقر عليه السلام: «و نحن الشهداء علی الناس». نعم، فالأئمه الأطهار عليهم السلام هم الصفوه من وجهه نظر القرآن التی اختيرت من أجل زعامه الأُمّه: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا(٣). قال سوره

١- سوره الحجّ: الآيه ٧٨.

٢- سوره البقره: الآيه ١٢٨.

٣- سوره فاطر: الآيه ٣٢.

بن کلیب: قال الإمام أبو جعفر الباقر علیه السلام: «و اللَّه إنّا لخزّان اللَّه فی سمائه و أرضه، لا علی ذهب و لا علی فضّه إلّا علی علمه»(۱). تسند هذه الروایه المعتبره- التی تؤیّدها عشرات الروایات- إلی أبی جعفر الذی أسماه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بالباقر؛ لأنّه یبقر علم الأوّلین و الآخرین، و نری کیف أنّه یقسم ثمّ یؤکّد قسمه بحرف (إن) و حرف اللام: إنّا لَخُزّان العلم! فهل علم اللَّه محدود؟

و علیه: فعلم الأئمّه علیهم السلام هو الآخر لیس بمحدود، فلو قلنا: إنّ جمیع الحوادث و ما خلف الحُجب معلومه عند أئمّه المسلمین، لما کان ذلک جزافاً، و لکن ینبغی التعامل مع هذا الأمر ببصیره القلب للتعرّف علی خاصه عباد اللَّه. لقد جعل اللَّه الأئمّه علیهم السلام أنواراً و طهّر قلوبهم و أرواحهم، فهل من اجتماع بین الظلمه و النور؟ و هل لمن کان نوراً محضاً أن یکون جاهلًا؟ نعم، إنّما هم نور من ذلک النور، و لذلک أوجب القرآن الاقتداء بشعاع هذا النور: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا(۲). لقد قال الإمام الباقر علیه السلام- طبقاً لروایه أبی خالد الکابلی-: «النور و اللَّه الأئمّه من آل محمّد صلی الله علیه و آله إلی یوم القیامه، و هم و اللَّه نور اللَّه الذی أنزل، و هم و اللَّه نور اللَّه فی السموات و فی الأرض، و اللَّه یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین أنور من الشمس المضیئه بالنهار، و هم و اللَّه ینوّرون قلوب المؤمنین، و یحجب اللَّه- عزّ و جلّ- نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم، و اللَّه یا أبا خالد لا یحبّنا عبد و یتولّانا حتّی یطهّر اللَّه قلبه، و لا یطهّر اللَّه قلب عبد حتّی یسلّم لنا و یکون سلماً لنا، فإذا کان سلماً لنا سلّمه اللَّه من شدید الحساب و آمنه من فزع یوم القیامه الأکبر»(۳).

۱- الکافی ۱: ۱۹۲ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام ولاه أمر اللَّه ح ۲.

۲- سوره التغابن: الآیه ۸.

۳- الکافی ۱: ۱۹۴ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام نور اللَّه عزّ و جلّ ح ۱.

علل الزعامه:

لقد تعرّضت الروايه السابقه إلى الفصول المميّزه للإمامه فى الإسلام، كما أشارت إلى علل اتّباع زعامتهم و إمرتهم و أنّ زعامتهم نور إلى يوم القيامه، فهم زعماء إلى الأبد، و الامّه تستضىء بنور علمهم على الدوام، و الزعيم من يستطيع التغلّب على المشاكل و الصعوبات و يبعث الأمل فى قلوب أفراد الامّه. فمثل الذين ينكرون علم الإمام التام كمثل خفافيش الليل التى لا تطيق رؤيه الشمس، فليس للقلوب المدنّسه و النفوس المريضه أن تدرك شأن الإمام، فمعرفه الإمام تتطلّب قلباً طاهراً، و لا يطهر القلب إلّا بتسليمه و استسلامه لهذه الزعامه، و التسليم لهم لا يتمّ إلّا من خلال الإقبال عليهم و الاستفاده من أفكارهم العظيمه و نهجهم القويم، الأمر الذى يبعث على سعه الصدر و انشراح القلب، و هذا بدوره يميط عن الإنسان رذائل الأخلاق و يحلّ عقد الحياه و يبعث الأمل فى النفوس. و لا يرتجى من الزعيم سوى إيصال الأُمّه إلى كمالها المنشود و إزاله المشاكل عن طريقها، و طالما كانت هذه الامور متوفّره فى الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فهم قاده الدين و أئمّه الخلق لا محاله. و بناءً على هذا فإنّ الإمام الباقر عليه السلام و بذكره للعلل السابقه قد لفت الانتباه إلى ضروره زعامه آل محمّد صلى الله عليه و آله. و هو ذات الأمر الذى قاله الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر: كان أمير المؤمنين عليه السلام باب اللّه الذى لا يؤتى إلّا منه، و سبيله الذى من سلك بغيره هلك، و كذلك يجرى لأئمه الهدى واحداً بعد واحد(۱).

۱- الكافى ۱: ۱۹۶ باب أنّ الأئمّه عليهم السلام هم أركان الأرض ح ۱. هذه الروايه ضعيفه السند، غير أنّه هنالك عدّه روايات وردت بهذا المضمون فهى مؤيده لهذه الروايه.

وحده الموضوع:

کان البحث بشأن الأخبار و الآیات التی کشفت عن المرتبه العلمیه للأئمه علیهم السلام، و قد اتّضح لدینا خلال الأبحاث أنّ أئمّه المسلمین هم الصفوه من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله الذین حظوا بلطف اللّه و عنایته ببصیره ثاقبه جعلتهم یقفون علی جمیع أسرار القرآن و خفایا الحوادث و مکنونات قصص الماضین و مصیر المسلمین، و للوقوف أکثر علی منزلتهم العلمیه نتابع ما ورد فی الخبر عن الإمام الباقر و الصادق علیهما السلام أنّهما قالا: قال أمیر المؤمنین علیه السلام: «علمتُ علم المنایا و البلایا و الأنساب و فصل الخطاب، فلم یفتنی ما سبقنی، و لم یعزب عنّی ما غاب عنّی»(۱). و لا تقتصر هذه المنزله علی علی علیه السلام، بل هی لجمیع الأئمّه علیهم السلام، فقد قال الإمام الرضا علیهم السلام: «عندنا علم البلایا و المنایا و أنساب العرب و مولد الإسلام»(۲).

الذهول و الدهشه!!

لعلّ مثل هذه الکلمات أثارت اضطراب البعض و جعلته یشعر بالدهشه و الذهول، و لا غرو و لا عجب! إنّنا نری العجائب فی العالم و نشاهد الغرائب، إلّا أنّنا نمرّ مرّ الکِرام، فنری المرتاضین الذین جعلهم الارتیاض یصیبون فی بعض ما یتکهّنون و من خلف الحجب و الکوالیس یتحدّثون، أو نلتقی بعض الأفراد الورعین الذین یتحدّثون أحیاناً عن أسرار حیاتنا فلا نتعجّب ممّا یقولون. فقد فتحت بعض نوافذ العلم بوجه تلک الطائفه من المرتاضین إثر ریاضتهم و لو کانت بالباطل. و هذه الطائفه من العارفین السالکین حصلوا علی ذلک إثر اتّباعهم الحقّ و هجرهم الشهوات، فی

۱- الکافی ۱: ۱۹۷- ۱۹۸ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام هم أرکان الأرض ح ۲ و ۳.

۲- الکافی ۱: ۲۲۳ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام ورثوا علم النبیّ ... ح ۱.

حین تتلمذ الأئمّه الأطهار علیهم السلام فی مدرسه الرساله، و قد نالوا الإخلاص فی العبودیه بدعوه إبراهیم علیه السلام، ثمّ جدّوا فی الورع و التقوی و التسلیم و الرضا و الجهاد فی الحقّ و طهاره المولد، حتّی حظوا بعنایه واهب العلم و العقل و النور، فهم تلامذه الوحی و معدن الرساله و مختلف الملائکه. أ فمن العجب أن تکون للأئمه مثل تلک الرؤیه و البصیره بحیث یرون جمیع الأشیاء و یحیطون بکافّه أسرار القرآن و مکنونات الخلقه و مصیر المسلمین؟

فإن کان القرآن صرّح بأنّهم شُهداء علی الناس، فمن الطبیعی أن یفیض علیهم الرحمن بحار العلم و محیطات الحلم و یزوّدهم بالبصر و البصیره، بحیث لا یخفی علیهم شی ء. لقد ذهل عبد اللّه بن أبان الزیّات- الذی یتمتّع بمکانه خاصّه عند الإمام الرضا علیه السلام- حین قال له الإمام علیه السلام: «و اللّه إنّ أعمالکم لتُعرض علیّ فی کلّ یوم و لیله»(۱). فلمّا أحسّ الإمام علیه السلام منه ذلک قال له: أ لم تقرأ الآیه وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللَّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ(۲). و هنا التفت ابن الزیّات لیدرک القیمه الحقیقیه للإمام، و أن لیس هناک ما یدعو إلی الدهشه و العجب فی أن یفیض اللّه علی عالم الوجود بمثل هؤلاء العِباد فیلبسهم من حلل الکرامه و العلم، و القرآن یقود إلی هذه الحقیقه. و قد ورد عن أمیر المؤمنین، و علی بن الحسین زین العابدین، و جعفر بن محمّد الصادق علیهم السلام، أنّهم قالوا: نحن شجره النبوّه، و بیت الرحمه، و مفاتیح الحکمه، و معدن العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائکه، و موضع سرّ اللّه(۳).

۱- الکافی ۱: ۲۱۹ باب عرض الأعمال علی النبی صلی الله علیه و آله و الأئمّه علیهم السلام ح ۴.

۲- سوره التوبه: الآیه ۱۰۵.

۳- الکافی ۱: ۲۲۱ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام معدن العلم و شجره النبوّه ح ۱- ۳.

لقـد شاء اللّه لهـذا البيت أن يرتفع، فقـد رفع إبراهيم بيت اللّه فسأله أن يرفع مقابل ذلك بيته بأن يُظهر تلك الصـفوه التى تعيش التسـليم و الانقيـاد و الطاعه و العبوديه للّه، و قـد اسـتجاب اللّه دعوته. و قـد قال القرآن بهـذا الشأن: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْـمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ* رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ(۱). و قال الصادق عليه السلام: «إنّ اللّه لا يجعل حجّه فى أرضه يُسأل عن شى ء فيقول: لا أدرى»(۲).

خلاصه هذا الفصل:

۱- اعترف ابن أبى الحديد بعلم أمير المؤمنين عليه السلام بحوادث المستقبل حتّى قال:

«و لقـد امتحنّا إخباره فوجـدناها موافقه، فاسـتدللنا بـذلك على صـدق الـدعوى المـذكوره»(۳). ۲- تـبيّن من مجمـوع الآيـات و الروايات أنّ للأئمه عليهم السـلام شخصيه بارزه فى العِلم لدرجه الإحاطه بالغيب و الحوادث إلى جانب التبحّر فى علم الكتاب و أسـرار الـدين، بحيث إنّ اللّه جعلهم شـهوداً على أعمـال النـاس بنصّ القرآن، و لم يصـطفيهم اللّه إلّـا لإخلاصـهم و تسـليمهم و عبوديتهم له سبحانه، و هم عيبه علم اللّه و نوره، الأمر الـذى برّأهم من كلّ عيب و نقص و جهل، و هذا ما جعلهم يلهمون العلم بكافّه الحوادث و خفايا الخليقه و الإحاطه بما كان و يكون، كما وقفنا على حديث الإمام الرضا عليه السـلام حين قال: إنّ أعمال الناس تُعرض علىّ فى اليوم و الليله،

۱- سوره النور: الآيتان ۳۶- ۳۷.

۲- الكافى ۱: ۲۲۷ باب أنّ الأئمّه عليهم السلام عندهم جميع الكُتب ح ۱.

۳- تقدّم فى ص ۱۶۵.

مستدلّاً بجوابه لابن الزيّات بالآیه الشریفه: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ.

ثمره هذه الخلاصه:

لیست هنالـک من ثمره لهـذه الخلاـصه سوی أنّ الأـئمّه الأطهار علیهم السـلام إنّما ینظرون بنور خاص إلی العالم و بصـیره ثاقبه بالغیب و خبره بمتطلّبات الأُمّه الإسـلامیه و المسـلمین إلی الأبد. و لعلّ هذه الامور قد تبادرت إلی أصـحاب الأئمّه علیهم السلام لیؤمنوا بأنّ أئمّه الإسـلام عالمون بالغیب، و یسرّنا هنا أن نستشهد علی ذلک بشاهد حیّ لتری کیف یفصح الإمام عن وقوفه علی علم الغیب فی الوقت الذی ینفیه عن نفسه.

روایه عمیقه:

وردت هـذه الروایه فی أُصول الکـافی فی بـاب «نـادر فیه ذکر الغیب» عن سـدیر، قـد یبـدو تردّد البعض فی سـندها، إلّا أنّ متنها یشهد بصحّه صدورها، فقد قال: کنت أنا و أبو بصیر و یحیی البزّاز و داود بن کثیر فی مجلس أبی عبد اللّه علیه السلام، إذ خرج إلینـا و هو مغضب، فلمّـا أخـذ مجلسه قـال: «یـا عجباً لأقوام یزعمون أنّا نعلم الغیب، لا یعلم الغیب إلّا اللَّه عزّ و جل، لقـد هممتُ بضـرب جاریتی فلانه فهربت منّی، فما علمت فی أیّ بیوت الـدار هی. قال سـدیر: فلمّا أن قام من مجلسه و صار فی منزله دخلت أنا و أبو بصـیر و میسّـر و قلنا له: جعلنا فـداک سـمعناک و أنت تقول کـذا و کـذا فی أمر جاریتک و نحن نعلم أنّک تعلم علماً کثیراً و لا ننسبک إلی علم الغیب؟ قال: فقال: یا سدیر أ لم تقرأ القرآن؟ قلت: بلی، قال: فهل وجدت فیما قرأت

من کتـاب اللّه عزّ و جلّ: قالَ الَّذِی عِنْـدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَـدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ(۱)، قال: قلت: جعلت فداک قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، و هل علمت ما کان عنده من علم الکتاب؟ قال: قلت: أخبرنی به، قال:

قدر قطره من الماء فی البحر الأخضر، فما یکون ذلک من علم الکتاب؟ قال: قلت:

جعلت فـداک ما أقلّ هذا. فقال: یا سدیر ما أکثر هذا أن ینسبه اللّه- عزّ و جلّ- إلی العلم اخبرک به، یا سدیر فهل وجدت فیما قرأت من کتـاب اللّه عزّ و جـل أیضـاً قُـلْ کَفی بِـاللَّهِ شَـهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْـدَهُ عِلْمُ الْکِتـابِ، قـال: قلت: قـد قرأته جعلت فداک، قال: أ فمن عنده علم الکتاب کلّه أفهم، أَم من عنده علم الکتاب بعضه؟

قلت: لا، بل من عنـده علم الکتاب کلّه. قال: فأومأ بیـده إلی صـدره و قال: علم الکتاب و اللّه کلّه عنـدنا، علم الکتاب و اللّه کلّه عندنا»(۲). سـدیر: هو سـدیر بن حکیم المُکنّی بـأبی الفضـل من أصـحاب الإمـام السـجّاد و الباقر و الصادق علیهم السـلام، و قد اعتبرته کتب الرجال ثقه(۳)، و کانت له منزله عند الإمام علیه السـلام. و قد حُبس فدعا له الإمام علیه السـلام فخرج من السـجن ببرکه الدعاء(۴). داود بن کثیر: هو ابن خالد الرقّی، و من ثقات الأصحاب(۵)، و قد قال الصادق علیه السلام: «أنزلوا داود الرقّی منّی منزله المقداد من رسول اللّه صـلی الله علیه و آله»(۶) و عدّه الشـیخ المفید فی إرشاده من ثقات أصحاب الإمام الکاظم علیه السلام، و قال: هو من خاصّته

۱- سوره النمل، الآیه: ۴۰.

۲- الکافی ۱: ۲۵۷ باب نادر فیه ذکر الغیب ح ۳.

۳- معجم رجال الحدیث: ۸/ ۳۴- ۳۷.

۴- اختیار معرفه الرجال، المعروف ب« رجال الکشی»: ۲۱۰ رقم ۳۷۲.

۵- معجم رجال الحدیث: ۷/ ۱۲۳.

۶- مشیخه الفقیه، طریقه إلی داود الرقی، الاختصاص: ۲۱۶.

و أهـل الورع و العلم و الفقه من شـيعته(۱). أبو بصـير: هو ليث بن البُختری المرادی المُكنّی بـأبی بصـير، و هو ممّن لا نقاش فی وثاقته، و هو من أصـحاب الإمام الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام، فإنّه و إن طعن فيه علماء الرجال باجتهاداتهم إلّا أنّه فی جلالـه قـدره روايه ذكرهـا محمّـد بن قولويه القمی بسـند معتبر عن أبی عبـد اللّه عليه السـلام، أنّ الصادق عليه السـلام قال: «إنّ أصـحاب أبی كـانوا زينـاً أحيـاءً و أمواتـاً، أعنی زراره و محمّـد بن مسـلم، و منهم ليث المرادی و بريـد العجلی، هؤلاء القوّامون بالقسـط، هؤلاء القوّامون بالقسط، هؤلاء السابقون السابقون أولئك المقربون(۲). كان هؤلاء ثلاثه نفر ممّن حضـر مجلس الإمام. أمّا الرابع و هو يحيی البزّاز فلم نعرفه، و يحتمل أن يكون الخزّاز، و هو من أصـحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام(۳). فهؤلاء الرجـال الـذين حضـروا مجلس الإمـام الصـادق عليه السـلام هُم من كِبار الفُقهاء و العُلماء، و قـد قارن الإمام منزله داود بن كثير بمنزله المقـداد لدی رسول اللَّه صـلی الله عليه و آله، و الحال أنّ المقداد من كِبار صـحابه النبی صـلی الله عليه و آله. و هم ممّن وقف علی منزله الإمام و الإذعان له بعلم الغيب، و هذا ما يفيده صدر الروايه.

شرح الروايه:

لقـد تحاشـی الإمام عليه السـلام فی بـدايه الروايه علمه بالغيب، و قـد تنزّل عن مكانته بحيث صـعب عليه العثور علی الجاريه فی إحدی غُرف الدار. و نعلم أنّ دار الإمام عليه السلام لم تكن من قَبيل ناطحات السحاب أو قصر الكرملن، بحيث إذا اختفی

۱- الإرشاد للمفيد: ۲/ ۲۴۷- ۲۴۸.

۲- اختيار معرفه الرجال المعروف ب« رجال الكشی»: ۱۷۰ رقم ۲۸۷ و ص ۲۳۹ رقم ۴۳۳.

۳- رجال الشيخ الطوسی: ۳۲۲ رقم ۴۸۰۷، معجم رجال الحديث: ۲۰/ ۹۹ رقم ۱۳۶۱۴.

فیه فرد تعذّر حتّی علی جهاز المباحث العثور علیه، فقد کانت داراً مُتواضعه لا تضمّ إلّا عدّه غُرف. و کیف لا یقف الإمام علی مکانها إذا ما بحث عنها؟! إذن، فالعثور علیها علی ضوء المجاری الطبیعیه لم یکن قضیه صعبه، إلّا أنّ الإمام یعرب عن عجزه عن العثور علیها، فالقضیه طبق الظواهر لا تبدو مقبوله، و هذا هو الأمر الذی أذهل خواص الأصحاب. أمّا ذیل الروایه، فقد کان دلیلًا قاطعاً علی قدره الإمام اللامتناهیه، فقد قال:

إنّ آصف بن برخیا قد أتی سلیمانَ بعرش بلقیس بتلک المسافه فی طرفه عین و لم یؤت من العلم إلّا قطره من بحر، فهو عالم ببعض الکتاب، أو لیس لمن أوتی علم الکتاب کلّه أن یعثر علی تلک الجاریه التی لا تبعد عنه سوی بضعه أمتار؟ قطعاً هنالک مصلحه جعلت الإمام یصدّر الروایه بذلک العجز عن العثور علی الجاریه، و أنّی لداود أن یصدّق عجز الإمام علیه السلام عن العثور علی الجاریه؛ و هو الذی وصل ابن عمّه فی المدینه بذلک البعد الشاسع عن الإمام علیه السلام و قد أحسن إلیه خفیه، فلمّا حضر استقبله الإمام و أشاد بعمله!(۱) و کیف یصدّق أبو بصیر عدم استطاعه الإمام العثور علی تلک الجاریه و قد بشّره حین دخوله الکوفه بولاده ابنه عیسی، و أنّ اللّه سیرزقه ولَدین و بنتین غیره(۲)! أجل هذه الشواهد و ما شابهها تؤکّد وجود بعض العلل و الدوافع التی جعلت الإمام علیه السلام ینفی عن نفسه فی صدر الروایه العلم بالغیب، و یکفی ذیل الروایه شاهداً علی ما نقول فی دحض صدرها. و علیه فلا بدّ من تحرّی الدوافع.

۱- بصائر الدرجات: ۴۲۹ ح ۳ أمالی الطوسی: ۳/ ۴ ح ۹۲۹، الخرائج و الجرائح: ۲/ ۶۱۲ ح ۸، مناقب آل أبی طالب علیه السلام لابن شهرآشوب: ۴/ ۲۲۷، وسائل الشیعه: ۱۶/ ۱۱۱، کتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس ب ۱۰۱ ح ۱۵.

۲- دلائل الإمامه: ۲۶۳ ح ۱۹۳، الخرائج و الجرائح: ۲/ ۶۳۶ ح ۳۷، کشف الغمّه: ۲/ ۱۹۰، المحجّه البیضاء: ۴/ ۲۶۱.

دوافع نفی الإمام علمه بالغیب الدافع الأوّل:

إنّ أهمّ دافع جعل الإمام علیه السلام یسلب عن نفسه العلم بالغیب، هو الظرف الخاصّ الذی عاشه الإمام فی ذلک الزمان و الذی شهد تفتّح آفاق العلم، لینهمک الإمام فی بیان أحکام الإسلام و حقائق القرآن و نشر العلم و تفادی کلّ ما من شأنه أن یحول دون القیام بهذه الوظائف. کان خلیفه زمانه الطاغیه السفّاح المنصور الدوانیقی الذی کان یتحیّن الفُرَص لقتل الإمام و إزاله هذه العقبه عن طریقه. کان الإمام شدید الحرض علی عدم اثاره مثل هذه المواضیع التی تؤلّب ذلک الجبّار الغاشم من أجل تصفیته و القضاء علیه، الأمر الذی یعنی الحیلوله دون نشر معارف الدین و الأحکام. فلو قال الإمام: أنا عالم بالغیب جدیر بالإمامه و الخلافه، لکان ذلک کافیاً لسلّ المنصور سیفه و قتله، و علیه فلا ینبغی أن یشیع هذا الأمر بین الأوساط الاجتماعیّه، و یکفی أن یعلم ذلک بعض خواصّه و حمله أسراره، و سوف لن تستطیع الغربان أن تحجب الشمس إلی الأبد، فلا بدّ للّیل أن ینجلی و لا بدّ للطوق أن ینکسر. و لنعد ثانیه إلی مجلس الإمام: لقد اجتمعت أُمّه عظیمه فی مجلس الإمام علیه السلام، و کلام الإمام یفید أنّ علمه بالغیب قد شاع فی المدینه، و أنّ الألسن تتناقل علم الإمام بالغیب، و قطعاً کان الأمر قد بلغ المنصور. فما أحسن هذه الفرصه التی تجعل الإمام یتصدّی للدفاع عن نفسه فیستدلّ بمثل بسیط یقنعهم بعدم علمه بالغیب، و لم یکن هنالک أعمق من ذلک المثال الذی اعتمده الإمام للقضاء علی تلک الشائعه. أنّی للإمام العلم بالغیب و هو الذی عجز عن العثور علی جاریه فی غرفه من غرف داره؟! لا ـ شکّ أنّ ذلک الکلام سیؤثّر کثیراً و یؤتی أُکله، کما لا شکّ أنّ جلاوزه المنصور- الذین لم ینفکّوا عن تفتیش دار الإمام- سینقلون کلامه إلی المنصور

و سیسکن روعه و تهدأ فورته، ثمّ یتاح المجال من جدید أمام الإمام لمواصله دروسه و نشر علمه. و بناءً علی ما تقدّم فلم یبق لصدور تلک الروایه من محملٍ سوی التقیّه، و لکن لم یبق لدی الإمام سوی الخواصّ من أصحابه و هم لیسوا بالمذاییع، فلم یعد للخوف من سبیل، فأبو بصیر و صحبه لیسوا من أعوان المنصور، بل هم من حمله العلم و رواه الحدیث و فقهاء الإسلام، و التحدّث إلیهم وظیفه شرعیه تأریخیه لا تدع للتقیّه من شأن، فیعمد الإمام هنا إلی إظهار مکنون علمه و الإفصاح عن مقامه علی ضوء القرآن، فحقیقه علمه لا ـ یعزب عنها صغیر و لا کبیر فی هذا العالم فضلًا عن مکان تلک الجاریه. و هو لا یستطیع الإتیان بتلک الجاریه بحرکه فحسب بل یسخّر العالم بأسره، ما نفهمه من کلمات الإمام علیه السلام أنّه مطّلع علی کافّه أصناف العلم، و کیف لآصف بن برخیا الذی تجرّع قطره من بحر علم الکتاب أن یفعل ما فعل، و یغیب عن علم الإمام شی ء و هو الذی یعوم فی بحر علوم الکتاب و محیطاته؟ و علی ضوء هذا التحقیق و التأمّل فی هذه الروایه التی تصرّح بعلم الإمام بکافّه الحوادث و تمتّعه بالقوّه و القدره التامّه علی فعل الأفاعیل، فهل هنالک من ماء عکر یمهّد السبیل أمام بعض السذّج ممّن تأثروا بالوهابیه للاصطیاد فیه؟ و هل یسع أحد أن یقول لنا بعد ذلک: إنّکم من المغالین فی شخصیه الإمام؟ فهذا الإمام و قد عجز عن العثور علی جاریته!

الدافع الثانی:

أمّا الدافع الثانی الذی أغضب الإمام و جعله ینفی عنه علم الغیب فهو قضیه الإفراط أو التفریط و الغلوّ أو الإنکار، التی سیطرت علی أغلب الأفراد تجاه الإمام، و هذا ما یتوصّل إلیه بسهوله من سیاق الروایه، فی أنّ البعض قد أفرط

بالاعتقاد بعلم الإمام للغيب حتّى رآه أفضل من النبى صلى الله عليه و آله و بلغوا به حدّ الأُلوهيه، على الرغم من أنّ محور الإمامه كان يهدف إلى تحقيق التوحيد و إيصال الأُمّه إلى العبوديه الحقّه، فالإمام يمثّل العبوديه الخالصه للّه، و جلّ سعيه هو ربط الأُمّه بمعبودها الأوحد و تطهيرها ممّا علق بها من الأوهام و الخرافات، و إلّا فلو قدر للُامّه أن تضلّ طريقها فى تعاملها مع الإمام فإنّ جهوده ستذهب أدراج الرياح، و هو الأمر الذى يأخذ مأخذه من الإمام و يجعل الغضب و التوتّر يسيطر على جميع كيانه، فيبدو أنّ دافع الإمام من نفيه لعلم الغيب عن نفسه و حصره بالقادر العليم، إنّما يهدف إلى تثبيت الهدف المقدّس المُتبلور فى التوحيد و إزاله الأفكار المنحرفه تجاه شخصيه الإمام. و لم يكن هناك من سبيل أمام الإمام سوى التنازل عن واقعه ليعلم الجميع بأنّ الإمام الصادق عليه السلام إنسان كسائر الناس الذين نشئوا و ترعرعوا فى المدينه، فهو ليس بملك هبط من السماء أو عيسى عليه السلام الذى حلّ فيه روح القدس ليصبح ابن اللّه!!! و قد اعتمد الإمام الأسلوب العلمى فى سبيل تهذيب أفكار الأُمّه، فينفى عن نفسه العلم بالغيب و يقتصر بهذا الأمر على اللّه تبارك و تعالى. و الأمر ليس ببدعه فهو يقتدى بالأُسلوب الذى نهجه القرآن، الذى يقتصر علم الغيب بذات اللّه تعالى، بينما يتوصّل إليه النبى صلى الله عليه و آله من خلال الوحى، و الإمام من خلال تعليم الرسول له إلى جانب الإلهامات الربانيّه و الفيوضات الرحمانيه التى توصله إليه. و لا يستبعد أن يكون الإمام قد استهلّ كلماته بنفى علم الغيب الذاتى تقيّه، فى حين أوكل الحديث عن علمه بالغيب العرضى إلى مجلسه الذى يضمّ خواصّه و حمله أسراره، فقد كشف لهم النقاب عن مدى علمه و قدرته، ثمّ يسند ذلك لعلمه بالكتاب، و من المفروغ منه أنّ العلم بالكتاب لا يتسنّى دون المعلّم.

و بناءً على هذا التعليم و التعلّم من مصادر الغيب قد بلغ الإمام تلك الذروه من السموّ و الكمال، و عليه فليس هنالك من تناقض بين صدر الروايه و ذيلها.

روايتان:

۱- قال جابر: قال الإمام الباقر عليه السلام: ما يستطيع أحد أن يدّعى أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره و باطنه غير الأوصياء(۱).

۲- قال عبد الأعلى مولى آل سام: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: «و اللّه إنّى لأعلم كتاب اللّه من أوّله إلى آخره، كأنّه فى كفّى، فيه خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن. قال اللّه عزّ و جل: «فيه تبيان كلّ شى ء(۲)»(۳).

ملاحظه:

لا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن بأنّ القرآن المتداول غير ذلك القرآن الذى كان آنذاك بيد الأئمّه عليهم السلام، و أنّ الروايات تؤيّد مسأله التحريف، بل المقصود هذا القرآن مع كافّه التفسيرات و التأويلات و الأسرار و المكنونات، و قد كان ذلك القرآن الذى بيد أمير المؤمنين عليه السلام، فالروايتان تُشيران إلى مطلبين، هما: ۱- معنى أنّ علم الكتاب عند الأئمّه، هو أنّ الأئمّه عليهم السلام محيطون بالكتاب السماوى بجميع ما ينطوى عليه من حقائق و تأويل و تفسير. ۲- ما تتناقله الألسن و تؤيّده الروايات من أنّ الإمام عالم بما كان و ما يكون،

۱- الكافى ۱: ۲۲۸ ح ۲.

۲- اقتباس من سوره النحل: الآيه: ۸۹.

۳- الكافى ۱: ۲۲۹ ح ۴.

إنّما يعنى أنّ الكتاب الـذى يعتمـده الأئمّه عليهم السـلام ينطوى على كافّه الحوادث الماضـيه و الآتيه و جميع الحقائق، و أنّ علم الأئمّه إنّما يستند فى بعض عناصره إلى الإحاطه بهذا القرآن المفصّل.

تكرار و تذكير:

لقـد تعرّفنـا من خلالـل الأبحـاث التى أوردناهـا فى الروايات و الآيات على علم الإمام عليه السـلام، و لعلّ تكرار الـدليل- بصـفته فهرسه للأُمور المذكوره سابقاً يمكنه أن يوضّح الجوانب العلميه للإمام بصوره أفضل. و إليك هذه الأدلّه:

الدليل الأوّل:

الـدليل الأوّل على علم الإمام و إحاطته بالمغيّبات هو أنّ الزعيم الإسـلامى- الإمام- هو الفرد الذى يسـتند إلى الغيب فى زعامته، فلاـ بـدّ أن تكون هنـاك صـله مباشـره له بمكنونـات العـالم و خفايـاه و إفاضه الحقائق عليه، فإن كان الزعيم هو النبىّ فالإفاضـه بواسـطه الوحى، و إن كان الزعيم هو الإمام فبتعليم النبى أو الطرق الاخرى كالإلهام و العلم بتفصيلات الكتاب السماوى، و الذى سيـأتى بيانه قريباً. و يمكن الاستشـهاد ببعض الآيات لإثبات هـذا الأمر: ۱- إِنَّا أَنْزَلْنـا إِلَيْـكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ(۱). ۲- رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيـلِ الْأَحادِيثِ(۲). ۳- وَ قَتَلَ داوُدُ جـالُوتَ وَ آتـاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ(۳).

۱- سوره النساء: الآيه ۱۰۵.

۲- سوره يوسف: الآيه ۱۰۱.

۳- سوره البقره: الآيه ۲۵۱.

۴- وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِیتاءَ الزَّکاهِ وَ کانُوا لَنا عابِدِینَ(۱). لقد أفادت هذه الآیات أنّ الزعیم هو صاحب الملک المصطفی من اللّه و الذی یحظی بعنایته الخاصّه و إرشاده و توجیهه من أجل الإحاطه و العلم بالمغیّبات، و حیث ثبت فی محلّه أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم زُعماء الأُمّه إلی الأبد، فلا بدّ من الإذعان بأنّهم مشمولون بلطف اللّه و فضله؛ لیتمکّنوا بزعامتهم من الأخذ بید الناس إلی السعاده و الفلاح، و یزیلوا بقدرتهم العلمیه ما یعترض سبیلهم من مشاکل و صعوبات و أزمات.

الدلیل الثانی:

دلّ القرآن الکریم علی أنّ زعماء الدین المنصّبون یسلکون الصراط المستقیم و یهدون إلیه أ فَمَنْ یَهْدِی ... و أنّهم یهدون إلی الواقع الذی لا یتسلّل إلیه الخطأ و الزلل، و أنّ استهلال الآیه الکریمه بالاستفهام هو تقریر واضح بأنّ هدایه هؤلاء الزعماء مطابقه للواقع و تامّه کامله لا یشوبها الخطأ، و استنتجنا أنّ من لوازم الهدایه الواقعیه الصائبه استناد الزعماء إلی العلم الغیبی و الإحاطه بالحوادث الخفیّه المحجوبه عن أنظار الناس، و علیه: فالأئمّه الأطهار زعماء کِرام من وجهه نظر القرآن، و الصواب ما یقولونه و لیس للخطأ من سبیل إلی زعامتهم، و لمّا کانت زعامتهم أبدیّه فإنّهم مطّلعون علی جمیع الأحداث إلی الأبد. و علی ضوء ذلک بحثنا روایه الإمام الباقر علیه السلام- التی قال فیها: «الإمام یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک»(۲)- التی تفید استناد الإمام إلی الغیب فی زعامته.

۱- سوره الأنبیاء: الآیه ۷۳.

۲- تقدمت فی ص ۱۶۷.

الدليل الثالث:

و يـدور حول محور الاستنباط القرآنى أيضاً، حيث يفيد القرآن وجود صـفوه مجتباه من الناس تتمتّع برؤيه و بصـيره ثاقبه لآفاق العلم، و أنّ اللّه قد أفاض عليهم من فضـله و رحمته ما نوّر به قلوبهم، بحيث خرقوا الحُجب و أحاطوا بجميع الأحداث و الأسـرار. و كـانت أهمّ آيه طالعتنـا فى هـذا الفصـل هى الآيه الأخيره من سوره الحـجّ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَـهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُـهَداءَ عَلَى النّاسِ(۱) فقد كانت هذه الآيه إلى جانب القرائن الثلاث القطعيه صريحه فى أنّ المخاطب بها صفوه من أهل بيت النبىّ صلى الله عليه و آله أبناء إبراهيم الأئمّه الأطهار عليهم السـلام و قد مرّ شرح ذلك. فالآيه تفيد إبلاغ الوحى للنبى بآفاق الغيب، و هو ينقلها بـدوره إلى الأـئمّه بمـا لاـ يـدع مجالًـا للشـكّ بعلمهم بأعمال الخلائق و الإدلاء بالشـهاده عليهم فى محكمه العـدل الإلهى. و قد تعرّضنا(۲) لروايه الإمـام البـاقر عليه السـلام التى تنـاولت الآـيه الشـريفه، و الروايه سـالمه السـند و لا بأس بـذكر رجالها: على بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمّـد بن أبى عُمير، عن ابن أذينه، عن بريـد العجلى قال: قلت لأبى جعفر عليه السـلام ... فالروايه موثوقه السـند و الرواه من الثقات، و نوكل الخوض فى التفاصيل- الخارجه عن بحث الكتاب- إلى اصول الكافى باب «إنّ الأئمّه شُهداء على خلقه». فقـد جاء فى الروايه: قلت قوله تعالى: وَ جاهِـدُوا فِى اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ، قال: إيّانا عنى و نحن المجتبون مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ إيّانا عنى خاصّه و

۱- سوره الحجّ، الآيه: ۷۸.

۲- فى ص ۱۶۸.

سَمّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ اللّه سمّانا المسلمین مِنْ قَبْلُ فی الکتب التی مضت وَ فِی هذا القرآن لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النّاسِ(۱) فرسول اللّه صلی الله علیه و آله الشهید علینا بما بلّغنا عن اللّه تبارک و تعالی، و نحن الشهداء علی الناس، فمن صدّق یوم القیامه صدّقناه، و من کذّب کذّبناه(۲). فالأئمه علیهم السلام علی رؤیه واسعه و بصیره ثاقبه بحیث لا تخفی علیهم خافیه من أعمال الناس، و ما هذه إلّا عنایه و رحمه إلهیه. و استناداً لما تقدّم یمکن الجزم بأنّ الأئمّه علیهم السلام عالمون بالغیب، محیطون بخفایا الحوادث، بصیرون بشئون الأُمّه، و هذا ما یستشفّ بوضوح من دلاله الآیه و لا سیّما من خلال تأییدها بقول الإمام. أمّا الآیه الأُخری التی تدلّ علی أنّ هذه الصفوه مشموله بلطف اللّه و عنایته فهی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ(۳). لقد مررنا سابقاً مرور الکرام علی هذه الآیه، و هی تکشف بعمق عن مدی عظمه الإمام، بحیث خشینا من کثره الاستعراض فیها أن نکون فی زمره «فمنهم ظالم لنفسه».

دراسه الآیه:

سبقت هذه الآیه بقوله سبحانه: وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا(۴). نفهم من الآیه أنّ المُراد بالکتاب هو «القرآن»؛ لأنّ

۱- سوره الحجّ: الآیه ۷۸.

۲- الکافی ۱: ۱۹۱ ح ۴.

۳- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

۴- سوره فاطر: الآیتان ۳۱- ۳۲.

الخطاب للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و الکتاب الذی أوحی إلیه هو القرآن، ثمّ شرعت الآیه الثانیه بقوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ، فالکتاب هو القرآن، و التعریف إشاره إلی ذلک الکتاب العزیز، ثمّ حرف عطف یفید التراخی و ظهور الثانی بعد الأوّل، فالمعنی ثمّ أودعنا القرآن تلک الطائفه المصطفاه من العباد، و بناءً علی هذا فإنّ وارثی الکتاب و حافظی الوحی السماوی هم صفوه مختاره من عباد اللَّه.

عباد، أم صفوه مصطفاه من العباد؟

هل أودع الکتاب صفوه مصطفاه من العباد، أم کافّه العباد؟ بعباره اخری:

هل الکتاب إرث عامّ تتولّی جمیع الأُمّه مسئولیه حفظه و تطبیق تعالیمه و أحکامه فهو ودیعه عامّه، أم تقتصر هذه الوظیفه و المسئولیه علی صفوه خاصّه مصطفاه من بین خلّص العِباد؟ ما الذی نفهمه من قوله تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا؟ لا نشکّ أنّ هذه الوظیفه الخطیره إنّما ینهض بها المصطفون؛ لأنّ الآیه تفید نقل الکتاب إلی نخبه من العباد لا جمیعهم.

مَنْ هُم المصطفون من العباد؟

ذکرنا سابقاً أنّ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا هم صفوه مختاره من بین العباد لإخلاصهم و تسلیمهم و عبودیتهم المحضه للّه و خلوّهم من کلّ عیب و نقص، و قلنا فی حینه: إنّ هذه الصفوه هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام. و لا یسعنا إلّا أن نذکر دلیلًا واضحاً فی إثبات هذا الأمر بغیه طمأنه الآخرین.

الدلیل الدامغ:

تبیّن ممّا أوردناه بشأن الآیه ۳۲ و ۳۳ من سوره آل عمران

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ أنّ الذى يكون على رأس سلسله آل إبراهيم فى آخر الزمان من التأريخ البشرى هو الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و من بعده الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فالآيه كاشفه عن الصفوه المختاره «المصطَفين» و لا بدّ من القول على ضوء هذا المصداق: الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا أنّها لا تعنى سوى أئمّه الدين، و أنّ هذه الآيه هى المفسّره و الحاكمه علمياً على الآيه التى نحن بصددها، أى أنّها تفصح عن أنّ مصداق الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام. و هنا لا بدّ من التأكيد على أنّها خاصّه فى الأئمّه عليهم السلام فقط؛ لأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و إن كان من ذرّيه آل إبراهيم، إلّا أنّ الآيه ۳۰ قد حدّدت وضعه، و الآيه اللاحقه تعيّن الصفوه المختاره بعد النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله. سؤال: إذا كان الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فما مناسبه اختتام الآيه بقوله: فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ أى أنّ بعض هؤلاء المصطفين ظلمه، فهل يظلم الأئمّه أنفسهم؟ جواب: الضمير فى «منهم» يعود إلى العباد لا إلى المصطفين، و يؤيّده كلام المحقّق الطوسى فى تفسيره للآيه فى إطار إثباته لرجوع الضمير «منهم» إلى العباد، حيث قال: «لأنّ من اصطفاه اللّه لا يكون ظالماً لنفسه»(۱)، إذن فهل من الممكن فرض كون المصطفين ظالمين لأنفسهم؟(۲).

۱- تفسير التبيان ۸: ۳۹۴.

۲- قد تبدو كلمه« عبادنا» واسعه تشمل كافّه عباد الحق تعالى، إلّا أنّ إضافه العباد إلى ضمير الجمع« نا» تفيد خصوصيه معيّنه:« عبادنا»، فلا يستبعد القول بأنّها طائفه واسعه من أهل الرساله و التى تستوعب« أهل البيت»، و من ينكر ذلك فلا يسعه أن ينكر روايتين بل عدّه روايات بهذا الشأن. فمعنى الآيه بتفسير الأئمّه الأطهار عليهم السلام: أورثنا الكتاب صفوه من عبادنا من أهل البيت، إلّا أنّ أهل البيت على ثلاث طوائف: طائفه تظلم نفسها و هى التى تتجاهل نسبها و تقلّد نخبتها من هذه الطائفه، فهذه لا تكون من الأئمّه الأطهار، و طائفه معتدله، و ثالثه سابقه بالخيرات هاديه فى حركتها و هى تلك النخبه. هذا هو المراد من الآيه بالاستناد إلى الأحاديث المُعتبره، و لكن نظره اخرى إلى القرآن تفيد أنّ الآيه الكريمه دراسه لجماعه واسعه باسم« عبادنا» و هم أهل البيت، و أنّ الكتاب ورّث فيهم، و هم على طائفتين: ۱- النخبه ۲- سائر الطائفه، فالنخبه هُم الأئمّه الأطهار عليهم السلام، و جميع بنى هاشم هم سائر الطائفه، فهم قد يظلمون أنفسهم و لكن ليس على الدوام و الشاهد هو الآيه اللاحقه جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. و على فرض أنّ هذا الكلام خلاف ظاهر الآيه و أنّ كلمه« عبادنا» تشمل جميع المسلمين، لكن مع هذا الفرض و هو أنّ« المصطفين من عبادنا» ليس سوى أهل بيت الرساله الأئمّه الأطهار عليهم السلام، و قد لاحظتم شرح ذلك، حيث كان الاستدلال مبتنياً على كلمه« المصطَفين من العباد» لا كلمه عبادنا.

إذن، فالمقصود «بالعباد» جماعه أشمل و أوسع من أهل البيت، لا المصطفين من أهل البيت، و يؤيّد ذلك عدّه روايات.

وارث الكتاب الكريم:

أئمّه الدين هم وارثو الكتاب، و أئمّه الإسلام هم صفوه العباد، المبرّءون من كلّ عيب و نقص و دنس، الذين خصّهم اللّه بعنايته و لطفه، فأودعهم القرآن بأسراره و مكنوناته و خفيّاته، إلى جانب تعليمهم من قبل ربيب الوحی النبیّ الأكرم صلی الله علیه و آله، فهم يرون الحقائق كما يراها رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و قد أفاض عليهم نوره، فهو معلّم أمير المؤمنين عليه السلام الذی علّمه ألف باب من العلم، فكان عليه السلام هو الأُذن الواعيه التی لا يعزب عنها شیء حتّی قال فيه: «إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبیّ»(۱).

۱- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ۴۳۷.

الآیه الأُخری التی کشفت عن علم الإمام بالغیب هی: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللَّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلی عالِمِ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَهِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(۱).

کیف یعلم الجمیع؟!

کیف یعلم جمیع المسلمین بسیره المنافقین أو خفایا بعض الناس؟ اللَّه عالم الغیب و الشهاده و الذی یکشف الأعمال و یریها من یقوم بها فیضعها نصب أعینهم، فالأعمال التی تصدر من الناس- و علی ضوء ذیل الآیه- لا بدّ أن تکون الأعمال و الأفعال الخفیّه، إلّا أنّنا نعلم أنّه لا یمکن للجمیع الاطّلاع علی هذه الخفایا، و هنا لا بدّ من القول بوجود عدّه معدوده من المؤمنین- مضافاً إلی اللَّه و رسوله- تمتلک رؤیه ثاقبه تجعلها تخترق الحُجب و تطّلع علی الخفاء، فلا بدّ أن نعرف من هی هذه العدّه المعدوده من المؤمنین؟ قال المحقّق الطوسی فی تفسیره التبیان: هؤلاء هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و قد جاء فی الخبر أنّ أعمال الامّه تعرض کلّ یوم اثنین و خمیس علی النبی صلی الله علیه و آله و الأئمّه علیهم السلام(۲)، و هذا ما أشار إلیه الإمام الرضا علیه السلام لابن الزیّات(۳). إذن، فالآیه الکریمه تری للأئمه رؤیه ثاقبه کالتی لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله و التی تمکّنهم من الإحاطه بالخفیات. و أدنی تأمّل فی صدر الآیه و ذیلها یقود إلی أنّ تلک العدّه المعیّنه من المؤمنین عالمه بالغیب و الشهاده أیضاً، فقد ورد لفظ الجلاله فی أوّل الآیه دون قید ثمّ أردف بالرسول، و هؤلاء المؤمنین فی طول لفظ الجلاله فی الاطّلاع علی

۱- سوره التوبه: الآیه ۱۰۵.

۲- تفسیر التبیان: ۵/ ۲۹۵.

۳- تقدّم فی ص ۱۷۳.

خفايا الناس، أمّا ذيل الآيه فقد ورد لفظ الجلاله متّصفاً بعالم الغيب و الشهاده، و هذا العالم هو اللَّه الذى ذكر فى صدر الآيه، و عليه: فكما أنّ اللَّه عالم الغيب فإنّ رسول اللَّه و بعنايه الحقّ سبحانه فى طول هذه المزيه الإلهيه الذاتيه- لأنّها وردت فى طول اللَّه فى الآيه- يتمتّع بإفاضه علم الغيب عليه، و ليست هنالك من الأعمال ما يخفى عليه، ثمّ كان المؤمنون فى طول رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، الأئمّه الأطهار الذين يطّلعون الخفاء بلطف اللَّه فيقفون على أعمال العِباد، و اللَّه أعلم.

الشواهد الحيّه!!!

هل يمكن أن نحصر علم الأئمّه فى دائره أحكام و تعاليم القرآن رغم هذه الشواهد الحيّه و الدلالات القرآنيه بعلمهم المطلق و إحاطتهم بالخفايا و الأسرار، فلا نراهم أبعد شأناً من المجتهد الذى يستنبط الأحكام الشرعيه من القرآن؟! أم لا بدّ أن نذعن إلى سعه علمهم و إحاطتهم بكافّه الحوادث؛ لأنّ الزمان و المكان ليس من شأنهما أن يكونا حجاباً يحول دون رؤيتهم لباطن الامور، و هل يصعب على هؤلاء الزعماء الخالدين المطهّرين من الرجس و الدنس و العلماء بالكتاب و الشهداء على أعمال العباد و حفظه القرآن و أمناء الوحى، أن يتكهّنوا بالحوادث و الوقائع التى تهدّد بالخطر كيان الإسلام و المسلمين؟ و هل كان الإمام الحسين عليه السلام المظلوم الذى هبّ للدفاع عن الرساله غافلًا عمّا ستئول إليه الامور فى كربلاء، و لم يكن يمتلك رؤيه واضحه لحركته و انطلاقته التأريخيه من المدينه إلى كربلاء! لا نروى الإجابه على هذه الأسئله و نترك ذلك للإخوه القرّاء الأعزّاء، ليتحفونا بجوابهم على ضوء ما واكبناه من أحداث سابقه.

طرق الأئمّه عليهم السلام فى الحصول على العلم:

لقد اتّضح من الأبحاث السابقه أنّ الإمام عالم بالغيب، و أنّه يستمد علمه

الغیبی من خلال المـدد الإلهی الـذی یـدعی بالإفاضه الرحمانیه، کما اتّضـح لـدینا أیضاً أنّ الزعامه الـدائمه الهادیه إلی الصـراط المسـتقیم لا یمکنها أن تکون غیر محیطه بالحوادث و الوقائع التی یواجهها المسـلمون و الإسـلام طیله التأریـخ، و ذلک لأنّها إذا کانت جاهله بهذه الحوادث فإنّها سـتشقّ عصا المسـلمین و تفرّق صفوفهم و تعرّض الکیان الإسلامی للتصدّع و الانهیار، و تحیل القرآن الکریم- هذا الکتاب الذی یتضـمّن سعاده الامم و الشعوب علی مرّ العصور- إلی کتاب لا یبقی منه سوی شکله و رسمه، بینمـا وعـد الحقّ بخلـود هـذا الکتـاب العزیز و أنّه محفوظ حتّی عن سـقوط أحـد حروفه، فکیف یتعامـل أئمّه الـدین و زعمـاء المسـلمین مع الأحـداث بمـا یقود إلی تلک النتیجه المؤسـفه! أو لا یتعرّض الإسـلام إلی الإباده و الزوال من قِبل الأعـداء الـذین یتربّصون به الـدوائر، و الـذین لاـ یرقبون فی المسـلمین إلّاً و لا ذِمَّه؟ لا شکّ أنّ هـذا السـقوط و الزوال حتمی و تصـدّع القرآن قطعی لو لم یکن الأئمّه الأطهار علیهم السـلام عالمین بحوادث الـدهر، فی حین قطع القرآن علی نفسه قضـیه بقائه و دیمومته إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ(۱)، و بشّـر من جانب آخر بانتصار حکومه العدل الإلهی التی ستنشـر قیم العدل و الفضیله فی کافّه أرجاء المعموره، فقال عزّ من قائل: وَ نُرِیـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْـعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ(۲). و هنـا یُطالعنـا هـذا السؤال: إذا کانت زعامه الأُمّه من قِبل هؤلاء الأئمّه الـذین لهم مثل هـذا العلم و الـدرایه و أنّهم یبلغون بالامّه کمالها المنشود، فکیف یتّجه الإسـلام نحو الضـعف و الافول؟ و قد قال القرآن الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ أو یدبّ الضعف فی صفوف المسلمین فی ظلّ زعامه اولئک الأئمّه؟ و ناهیک عمّا

۱- سوره الحجر: الآیه ۹.

۲- سوره القصص: الآیه ۵.

تقـدّم؛ فإنّ اللّه هو الـذی أنزل القرآن و تکفّل بحفظه، فهو لن یصـبح کتاباً عادیاً أبـداً؟ و نقول فی الجواب: إنّ الإسـلام لا یتّجه إلی الضـعف و الافول لو کـان الأئمّه الأطهـار علیهم السـلام هم الـذین ینهضون بالأمر، فهم عالمون بصـیرون، و هـدایتهم- لو امتثلت- فسوف تؤدّی إلی قوّه شوکه الإسـلام و المسـلمین، غیر أنّ الخطّه الـتی رسـمها القرآن الحکیم لم تطبَّق، و انحطـاط المسـلمین کـان نتیجه طبیعیه لتنحیه أولئک الزعمـاء، و هـذا ما أرادت أن تُشیر إلیه الآیه فی أنّ هـذا الضـعف ناشـئ عن إقصاء الأئمّه، و أنّ الإسـلام سیسـتعید قوّته مستقبلًا، و هذا لا یتسنّی إلّا فی ظلّ حکومه أتقیاء الدهر و علی رأسهم إمام العصر و الزمان- أرواحنـا و أرواح العـالمین له الفـداء- الـذی سـیبعث الحیـاه من جدیـد حین تکون السـیاده فی حکومته للقرآن و تعالیمه الحقّه، ستکون الدنیا آنذاک متعطّشه لحکومه العدل القرآنی، و التفاصیل فی المجلّد الثانی.

أمیر المؤمنین علیه السلام و الآیه الکریمه:

قال علی علیه السـلام «لتعطفنّ الدنیا علینا بعد شماسها عطف الضروس علی ولدها»، و تلا عقب ذلک وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ ...(۱). لقد أبان الإمام بهـذه العباره منزله الإمام، کما أفصح عن دافع ظهور حکومه العـدل القرآنی، فی حین اتّضـحت دلاله الآیه فی حلول الیوم الـذی سیشـهد حاکمیه الإسـلام بزعامه الإمام. ما أشـقی الامّه حین ولّت ظهرها لهذه الصـفوه و أبعدتها عن الزعامه! و لکن سوف لن یکون بوسعها إقصاء مُعزّها الـذی سـیأخذ بیـدها و یفیض علیها برکات الـدنیا و الآخره حین تعلن وفاءها و وقوفها إلی جانبه. نعم، انحطاط المسلمین کان معلولًا لعدم انصیاعهم لزعامه أولیاء اللّه من تلک

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۷۰۴ حکم ۲۱۰.

الصـفوه، لاـ إلى عـدم العلم بحوادث التأريـخ. و كـأنّ السائل أراد بالسؤال أن يشـير إلى علّه الضـعف التى أفرزتها افتقار الزعامه لمقوّماتها و شـرائطها. و عوداً على بدء فقد اتّضح أيضاً أنّ الإمام بصـفته الزعيم الأبدى، عالم بكافّه الوقائع و الحقائق و الأسرار و السـير نحو الجمال و الكمال. و هنا لا بدّ من الإذعان بأنّ بصـيرتهم هى عين الواقع التى تأبى الخطأ و الانحراف، فقد شـعّت أنوار قلوبهم بـاللَّه نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الـذى لم يجعل للظلمه من سبيل إلى قلوبهم، فقـد طهرت حتّى لم تتمكّن هـذه الحُجب من الوقوف بوجهها. و اتّضح أيضاً بأنّ الإمام طالما كان الحاكم الإسلامى و الزعيم المطلق؛ فإنّ حكومته متقوّمه بالغيب الذى يشمل حتّى الحوادث الشخصـيه البسـيطه، كمـا تبيّن أنّ الكتـاب السـماوى- القرآن- قـد اسـتودعه اللَّه الأـئمّه ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتـابَ الَّذِينَ اصْـطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا. و قد تكفّل القرآن ببيان أنّ المراد من هذا الإرث هو اسـتناره قلوب الأئمّه بنور القرآن: قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَـهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ(۱)، و قـد قال الإمام الصادق عليه السـلام: «و عندنا و اللَّه علم الكتاب كلّه»(۲)، كما فهمنا أنّ آصف بن برخيـا بنصّ الآيه الكريمه قـد أوتى بعض العلم بالكتاب، فانطوى على تلك القـدره و القوّه العلميه، فما بالك بمن اوتى العلـم بالكتـاب كلّه! فى حين لاـ زال البعض يعيش القلـق الفكرى و يتسـاءل: هـل يتجـاوز علم الإمـام حـدّ اسـتنباط آيـات الأحكام؟ و أخيراً وقفنا على إحاطتهم بأعمال العباد، و أنّه لا يعزب عن علمهم مثقال ذرّه من تلك الأفعال، و أنّهم الشـهداء على الناس يوم القيامه فى محكمه العدل «فمن

۱- سوره الرعد: الآيه ۴۳.

۲- الكافى ۱: ۲۲۹ باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّه، و أنّهم يعلمون علمه كلّه ح ۵.

صـدّق صـدّقناه یوم القیامه، و من کذّب کذّبناه یوم القیامه»(۱)، فـإذا أنکر منکر عمله، نادوه: صه فقـد کنّا مطّلعین علی عملک، کما علمنا بأنّ رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله ربیب الوحی قد أفاض علیهم علومه مضافاً إلی ما خصّهم اللَّه به من عنایته و فضله و أفاض علیهم من لطفه و رحمته. کانت هـذه نماذج من علم الإمام، و القرآن هو الشاهـد علی هـذه العلوم، و لنا الآن أن نلتمس سبل هذه العلوم دون اللجوء إلی أقوال تلامذه الوحی، فما مصدر علم الإمام؟

المعلّم الأوّل:

لقد ذکرنا خلال الأبحاث السابقه أنّ النبیّ أو الإمام لا یدرک جمیع الأشـیاء بنبوّته أو إمامته، بل هم لا یسـتغنون فی کلّ آن عن الفیض الإلهی، فالنبوّه و الإمامه لا تجعله بمجرّدها عالماً بکلّ شـی ء. إذن، فهذا العلم الجمّ الذی یملکه الإمام لا بدّ أن یکون قد تعلّمه فی مـدرسه، و قـد مرّ علینـا أنّ الإفـاضه هی وسـیله الإمـام فی علمه، فـاللَّه هـو الـذی یفیض و یتلطّف بـأئمه الـدین زعمـاء المسـلمین، و قـد قلنـا بأنّه یحکم بما یریه اللَّه لِتَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ(۲)، و أنّهم بعنایه اللَّه صـفوه عابـده مخلصه عالمه بالکتاب ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا ...(۳)، و بیّنـا أیضاً بأنّ یوسف کان مُنَصَّباً من قِبَل اللَّه رغم نهوضه بأمر دون الزعامه العامّه، و أنّه معلَّم منه:

وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ(۴).

۱- الکافی ۱: ۱۹۰ باب أنّ الأئمّه شهداء اللَّه عزّ و جلّ علی خلقه ح ۲.

۲- سوره النساء: الآیه ۱۰۵.

۳- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

۴- سوره یوسف: الآیه ۱۰۱.

و الـذی نریـد أن نخلص إلیه هو أنّ المعلّم الأـوّل للإمـام هو العلیم المطلق، و مـا ذلـک إلّـا لإخلاصه و تسـلیمه و انقیاده المطلق للحقّ، فیحظی بالعنایه الإلهیه و الفضل الربّانی لیتغلّب علی ما یعترضه فی مسیرته من حوادث و أحداث.

المعلّم الثانی:

المعلّم الثـانی للإمـام هو رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله، فقـد قلنا سابقاً بأنّ دعوه إبراهیم و إسـماعیل کانت لأجل ظهور صـفوه صالحه فی ذرّیّتهم تتربّی فی مـدرسه الرساله، و کانت نتیجه الدعوه أن تولّی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله بشـخصه تعلیم علی علیه السلام و تربیته منذ نعومه أظفاره.

و قـد صـرّحت بـذلک آیات سوره البقره وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ(۱). و هو مـا أشار إلیه الإمام الصادق علیه السـلام استـناداً إلی الآیه، فقال: «لم یعلّم اللَّه محمّـداً صـلی الله علیه و آله علماً إلّا و أمره أن یعلّمه علیاً علیه السـلام»(۲). و بناءً علی ما تقـدّم فالنبی الأکرم صلی الله علیه و آله هو المعلّم الثانی للإمام.

الإمام الصادق علیه السلام و علم الإمام:

سـأل الحارث بن المغیره الإمام الصادق علیه السـلام عن مصـدر علم الإمام، فأجاب علیه السـلام: «وراثه من رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله و من علیّ علیه السلام». فقال الحارث: إنّا نتحدّث أنّه یقذف فی قلوبکم و ینکت فی آذانکم صلی الله علیه و آله، قال علیه السلام: «أو ذاک»(۳). أی أنّ الإمام ملهم و تلمیـذ مدرسه النبی صـلی الله علیه و آله و الإمام علی علیه السـلام، و قد مرّ(۴) علینا قول الباقر علیه السلام أنّ الإمام یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک»(۵).

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۷.

۲- الکافی ۱: ۲۶۳ باب أنّ اللَّه عزّ و جلّ لم یعلّم نبیّه علماً إلّا أمره ... ح ۱.

۳- الکافی ۱: ۲۶۴ باب جهات علوم الأئمّه علیهم السلام ح ۲.

۴- فی ص ۱۶۷.

۵- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبیّ و المحدّث، ح ۱.

القرآن و علم الإمام علیه السلام:

أمّا أفضل طرق علم الإمام فالقرآن الکریم، و قلنا: إنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله مکلّف بتعلیم أئمّه الإسلام، و بالطبع فقد اقتصر هذا التعلیم المباشر علی أمیر المؤمنین علیه السلام، إلّا أنّنا نعلم بأنّ القرآن الذی جمعه الإمام علیه السلام لم یقتصر علی الکتاب المُنزل، بل ضمّ إلیه جمیع الأسرار القرآنیه و التفسیر و التأویل و أسباب النزول و کافّه الأحکام، فقد کان علی علیه السلام یسطّر ما یتلو علیه النبی صلی الله علیه و آله، و أنّ هذا القرآن کانت تتناقله الأئمّه دون أن تصل إلیه ید الآخرین، و هو الآن بید قائم آلم محمّد صلی الله علیه و آله إمام العصر و الزمان. و من هنا تتبیّن أهمّیه و عظمه هذا الکتاب الذی انطوی علی جمیع الحقائق و الأحکام و أسرار القرآن- الأعم من التأویل و التنزیل- و الذی أملاه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علی أمیر المؤمنین علیه السلام و لم تصل إلیه ید عامّه الأُمّه، و کیف أنّه یتجاوز المکنونات و المجهولات؟! هذه نبذه من الطرق التی تکشف عن علم الإمام و إحاطته بالمجاهیل، و من أراد المزید فلیراجع کتاب أصول الکافی لثقه الإسلام الکلینی، أو کتب عُلماء الکلام بهذا المجال لیقف من خلال الأحادیث و الأخبار علی مصادر علم الإمام علیه السلام.

أسئله و أجوبه:

طرحت عدّه أسئله فی المباحث السابقه من قبیل: ۱- هل للإمام علیه السلام علم بالغیب أم لا؟ الجواب: نعم، هو عالم بالغیب، و لکن من خلال الوحی أو الإلهام أو شرح اللَّه

لصـدرهم بمـا یزیـل عنهم الحُجب فینظرون إلی حقـائق الأشـیاء، و هـذا العلم الجمّ من لوازم الزعـامه الخالـده، و لاـ بـدّ للحاکم الإسـلامی من الاسـتناد إلی الغیب فی حکومته. ۲- هـل مجرّد بلوغ النبوّه أو الإمـامه یجعلهم یـدرکون الغیب؟ الجواب: کلّا، فانّ مجرّد الإمامه لا تسـتلزم هذا الأمر، فهم مقیّدون لا یعلمون دون عنایه الحقّ و لطفه، إلّا أنّ سـنّه اللَّه جرت فی أنّ أئمّه الإسـلام أن یحیطوا بکـافّه الأسـرار بفضل الإفاضه الرحمانیه. ۳- هـل تنحصـر علوم زعماء الـدین و أئمّه المسـلمین فی إطار القرآن و أحکام الإسـلام دون الحوادث الواقعه و مصیر المسلمین و مستقبل الإسلام؟ الجواب: أفادت الدراسات و الأبحاث السابقه أنّ علم الإمام لاـ ینحصـر بـالقرآن و أحکـام الإسـلام، و لا بـدّ أن یحیط الزعیم بالحوادث و لا سـیّما تلک المرتبطه بکیان الإسـلام و المجتمع الإسلامی. ۴- هـل الأـئمّه علیهم السـلام عـالمون بمـا کان و ما یکون؟ الجواب: أشـرنا باختصار إلی هـذا الأمر، و قـد أوضـحته الروایات التی صـرّحت بأنّ عنـدهم المصـحف بإملاء رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله و خطّ أمیر المؤمنین علیه السـلام، و الـذی یحتـوی علی جمیع الحقـائق و الأسـرار و امور التأویـل و التنزیـل کمـا ورد فی القرآن الکریم: تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْ ءٍ(۱) فلا بـدّ من الإذعـان بـأنّهم عـالمون بمـا کـان و مـا یکون. و لاـ نری المقام یسع للخوض فی بیان المقصود بما کان و ما یکون. ۵- هل علم الإمام علیه السـلام بالأشـیاء حضوریّ، أم حصولی؟ الجواب: لا نری من جـدوی فی إطاله الکلام بهذا الشأن رغم إصـرار البعض فی مؤلّفـاتهم علی أنّ علم الإمـام حضوری، فمـا عنـد الإمـام من العلم هو الإفـاضه و العنایه، و ما یهمّنا هو التأکّد من علمه مهما کانت کیفیّته ما لم یستلزم أمراً غیر معقول.

۱- سوره النحل: الآیه ۸۹.

العلم الشائی:

هذا اصطلاح أورده علماء الکلام فی أنّ الإمام علیه السلام عالم بکلّ شی ء و لکن بالعلم الشائی، أی متی شاء علم و إلّا فلا. و بعباره اخری: فإنّ عنان العلم بید الإمام بمجرّد أن یرید العلم یعلمه. و لا ـ ندری من أین لعلماء الکلام هذا الاعتقاد، و کیف یستدلّون علیه؟ فإن کان الدلیل الأخبار، فإنّنا تتبعنا الأخبار التی اعتبرت العلم متوقّفاً علی المشیئه، فإذا هی ثلاثه أخبار فی اصول الکافی- التی تهتمّ بمثل هذه الأحادیث و الأخبار- و هی لا تنفع المتکلّمین بهذا الشأن.

إیضاح:

هنالک أمران ینبغی توفّرهما من أجل صحّه الاحتجاج و الاستدلال بأیّه روایه، و هما: ۱- الوثوق بصدور الروایه عن الإمام علیه السلام. ۲- دلاله نصّ الحدیث علی المُراد بصوره واضحه و لو من بعض القرائن. و ممّا یؤسف له أنّ الروایات الوارده بهذا الشأن فی باب «أنّ الأئمّه علیهم السلام إذا شاءوا أن یعلموا علموا» لیست أکثر من ثلاث، و هی تفتقر إلی السند و إلی الدلاله التی قال بها بعض المتکلّمین، بل یمکن القول بأنّها روایتان؛ لأنّ رجال السند بعد ابن مسکان متحد فی روایتین، و ینتهی السند إلی أبی ربیع الشامی الذی روی عن الصادق علیه السلام. عباره الروایه الأُولی: «إنّ الإمام إذا شاء أن یعلم علم»(۱) بینما عباره الروایه

۱- الکافی ۱: ۲۵۸ ح ۱.

الثانیه التی متحد فی السند مع الأُولی «إنّ الإمام إذا شاء أن یعلم أُعلم»(۱) و عباره الروایه الثالثه «إذا أراد الإمام أن یعلم شیئاً أعلمه اللَّه ذلک»(۲). و بالتمعّن فی نصّ الروایه الثالثه و الثانیه تری أنّ کلمه «علم» فی الروایه الأُولی بضمّ العین و تشدید اللّام فهی صیغه مجهوله من باب التفعیل لا بمعنی «یعلم»، و لذلک فمفادها واحد، و هو أنّ الإمام علیه السلام متی شاء أن یعلم یعلّمه اللَّه و یفیض علیه «أعلمه اللَّه ذلک». و علیه: فإن کان مستند هذا البعض من المتکلّمین بالعلم الشائی هذه الروایه، کان لا بدّ من القول بأنّ الروایات الثلاث لا تنطبق علی العنوان المذکور فی کلام المُتکلّمین، و إن کانت هناک روایات اخری فإنّنا لم نعثر علیها. و بغض النظر عمّا مضی فإنّ سند الروایه ضعیف، و یمکن القول بأنّ الروایات الثلاث دالّه علی أنّ علم الإمام إفاضته، و متی غاب عنهم شی ء تلطّف اللَّه علیهم و کشفه لهم. و هنا نأتی إلی اختتام البحث و التحقیق بشأن الإمامه و شرائطها و لا سیّما علم الإمام. و هنا لا بدّ من القول بأنّ بحث الإمامه لیس من الأبحاث السهله، فمعرفه الإمام تتطلّب رؤیه ثاقبه و افق واسع، و أنّی للقلوب الملوّثه أن تدرک شأن الإمام، فقد قال الإمام الرضا علیه السلام: «إنّ الإمامه أجلّ قدراً و أعظم شأناً و أعلی مکاناً و أمنع جانباً و أبعد غوراً من أن یبلغها الناس بعقولهم»(۳).

۱- الکافی ۱: ۲۵۸ ح ۲.

۲- الکافی ۱: ۲۵۸ ح ۳.

۳- الکافی ۱: ۱۹۹ باب نادر جامع فی فضل الإمام و صفاته ح ۱.

علم الإمام سيّد الشهداء عليه السلام بحادثه كربلاء

اشاره

اتّضح لـدينا سابقاً بأنّ الإمام عالم و محيط بكلّ حادثه فى المسيره التأريخيه للمسلمين و إلى الأبد، و عليه: فلم يعد هنالك من معنى للتساؤل عن أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان عالماً بمصيره فى كربلاء و سبى نسائه أم لا، فهذا السؤال مثل من يسأل عن شُعاع الشمس هل يصل إلى ذلك المكان و هو يرى بأُمّ عينيه نورها الذى يضى ء كلّ شى ء! ترى ما العمل و قد طرح هذا المبحث منذ القدم لدى العقلاء و المفكّرين؟ الأمر الذى جعلنا نتصدّى للخوض فى مثل هذه المباحث، و لعلّ مثل هذه العُقد و الشبهات قد تسلّلت إلى الكتاب المعروف: «شهيد جاويد» و الحقّ أنّ المؤلّف قد اعتمد نهجاً جديداً فى طرحه لأبعاد تلك الواقعه، غير أنّه أخطأ فى بعض الاستنتاجات و قراءه الأحداث، و هذا ما دفعنا لأن نخصّص هذا الفصل لنقد محتوى و مضمون هذا الكتاب، و لا يسعنا إلّا أن نذعن ببراعه الكتاب سوى خاتمته التى طرحت هذا السؤال: هل كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم بأنّه سيُقتل فى

کربلاء أم لا؟ فی حین فرغنا من إثبات علم الإمام بالغیب و أنّ رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله قد قال لعلی علیه السلام: «إنّک تسمع ما أسمع و تری ما أری إلّا أنّک لستَ بنبیّ»(۱). و لمّا کان مؤلّف الکتاب من الباحثین و قد ناشد الجمیع تذکیره بالهفوات التی ربّما استبطنها الکتاب، و قد دوّن عنوانه بغیه استلام الرسائل فی هذا المجال، رأینا أنفسنا إتحافه ببعض الامور المتعلّقه بالکتاب من خلال هذا الکتاب الذی بین أیدینا- لا عن طریق الرسائل- فلعلّ کتابه خلّف هاجساً من القلق و الاضطراب لدی الرأی العام. آملین أن یعید المؤلّف النظر فی الطبعات الأُخری لیتلافی ما فرط منه فی ما سبق، سائلین الإخوه المحقّقین و الباحثین التماس العذر لنا فی ما یبدر منّا من زلل و تذکیرنا به رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا(۲).

ثلاثه أخطاء رئیسیه:

۱- إنکار علم الإمام علیه السلام بشهادته فی هذه الحرکه. ۲- تضرّر الإسلام و المسلمین إثر حادثه کربلاء و شهاده الإمام علیه السلام. ۳- لم تکن ثوره الإمام علیه السلام سوی دفاعاً عن النفس.

الخطأ الرئیسی الأوّل:

رغم تصریح مؤلّف کتاب «شهید جاوید»- فی الصفحه السادسه من کتابه- بأنّ الإمام کان یعلم بأنّه سیُقتل فی آخر الأمر، إلّا أنّ مبانی الکتاب و اسسه قائمه علی أساس إنکار علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه و سبی نسائه و عیالاته،

۱- الطرائف لابن طاوس: ۴۱۵، و قد تقدّم عن نهج البلاغه فی ص ۱۸۹.

۲- سوره البقره: الآیه ۲۸۶.

بحیث لو جرّد الکتاب من هـذا المحور لاکتسب صبغه اخری، فالإصـرار علی إنکار رؤیا الإمام علیه السـلام و أمره من قبل النبی صلی الله علیه و آله: «یا حسـین اخرج إلی العراق ...»(۱) و حدیث امّ سـلمه و حوار محمّد بن الحنفیه، و التردید فی دلاله الروایه الصـحیحه الوارده فی کامل الزیارات بأنّ الإمام علیه السـلام قال: «مَن لحق بی استشـهد ...»(۲) و قوله علیه السـلام: «هاهنا و اللَّه محطّ رحالنا و مسـفک دمائنا ...»(۳) و تلاوته لخطبته المعروفه «خُطّ الموت علی ولـد آدم ...»(۴) فی مکّه، أو خـدشه فی دلاله الخطبه «کأنّی بأوصالی ...»(۵) أو عـدم التعرّض لهـا، کلّ هـذه الامور قائمه علی أساس الإنکار، غایه ما فی الأمر أنّه یتعرّض لها من زاویه اخری، بینما یبقی الهـدف الأصـلی متمثّلًا بإنکار علم الإمام بشـهادته، و لا نری هـذا الکلام جدیـداً، فقد تعرّض أرباب المقاتل و أجابوا بما فیه الکفایه، إلّا أنّنا لم نلمس مثل هذه الشـبهات و الشکوک فی الکتب التی تعرّضت لحادثه کربلاء. بالطبع یمکن أن ترد مثل هـذه الأُمور فی بعض الأوساط الأُخری التی لیس لها معرفه تُـذکر بهـذا الشأن و تجهل مقام الإمام، إلّا أنّ هذا الأمر یبدو أنّه یحمل نوعاً من الغرابه بالنسبه لعالم التشیّع الذی تثقّف و فَهِم أفکار و ملابسات هذه الحادثه الخالده.

الخطأ الرئیسی الثانی:

لقد اعترف المؤلّف- بالتلویح أو التصـریح- بأنّ حادثه کربلاء و شهاده الإمام الحسین علیه السلام قد أدّت إلی الإضرار بالإسلام و المسلمین.

۱- الملهوف لابن طاوس: ۱۲۸، ینابیع المودّه ۳: ۶۰.

۲- کامل الزیارات: ۱۵۷ ح ۱۹۵، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۷ ح ۲۳.

۳- الملهوف لابن طاوس: ۱۳۹، الاحادیث الغیبیه ۲: ۳۰۹.

۴- کشف الغمّه ۲: ۲۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۶- ۳۶۷.

۵- کشف الغمّه ۲: ۲۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۶- ۳۶۷.

الخطأ الرئیسی الثالث:

یفید التأمّل فی الکتاب المذکور أنّه لم تکن هنالک من دوافع لثوره الإمام سوی الدفاع عن النفس، و ذلک لأنّ الإمام و بمجرّد أن یئس من النصر و الإصلاح و رأی نفسه فی قبضه العدوّ لم یکن له بُدّ من الدفاع عن نفسه. نعم، هذه هی أهمّ الأخطاء التی ارتکبها صاحب الکتاب، و لا یسعنا الخوض فی سائر الأخطاء التی لا ترتبط بمنهج هذا الکتاب. و نخوض الآن فی مناقشه الخطأ الأوّل و الثانی، و سیتّضح لدینا من خلال البحث الجواب علی الخطأ الثالث، و لذلک فلا حاجه لعنوان مستقلّ.

الکتاب و الخطأ الأوّل:

اشاره

۱- یستنتج من البحث الوارد بشأن دوافع الثوره بأنّ «الإمام ثار من أجل إنشاء الحکومه الإسلامیه، و هذا هو الهدف الأصلی و الواقعی فی حرکته نحو الکوفه، و ذلک لأنّ کافّه الظروف کانت ممهّده لنیل النصر». و یمکن القول بأنّ الهدف الأصلی للکتاب قد تبلور فی هذا الأمر، أی إنشاء الحکومه الإسلامیه و القضاء علی حکومه یزید، و لسنا الآن بصدد دراسه هذه القضیه، و سنتّفق و الکاتب فی أنّ هدف الإمام کان یتمثّل بالأخذ بزمام الامور، إلّا أنّه ذکر فی الصفحه السادسه من الکتاب «أنّ الإمام کان یعلم بأنّه سیُقتل فکیف له بذلک العسکر الذی رافقه أن یطیح بحکومه یزید». و بناءً علی هذا فلا یمکن الجمع من وجهه نظر الکاتب بین العزم الراسخ بالإطاحه بحکومه یزید، و العلم بالشهاده فی تلک النهضه، فهناک تباین بین الأمرین. فقد ظنّ بعدم إمکانیه تحقیق الإمام للهدف و تعبئه الجهود من أجله، بینما کان یعلم بأنّه سیُقتل دون نیل ذلک الهدف، و حیث کان الهدف الذی رکّز علیه

الإمام علیه السـلام من وجهه نظر الکاتب هو إنشاء الحکومه، فلم یجد بدّاً من التنکّر لقضیـه علم الإمام علیه السلام بقتله فی هذه النهضه، و لا ـ نریـد أن نقول بـأنّ هـذا الفصـل من الکتاب صـرّح بنفی علم الإمام بشـهادته، بل حیث توصّل الکاتب إلی أنّ علم الإمـام بشـهادته فی هـذه الحرکه یتنـافی و هـدف الکتـاب فی قیـام الإمـام من أجـل الإطـاحه بحکـومه یزیـد و إنشـاء الحکـومه الإسـلامیه، فلم یکن أمامه من سبیل سوی إنکار علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه، و هذا هو الأساس الذی ابتنی علیه الکتاب.
۲- لقـد تنکّر الکتاب لکافّه الأدلّه التی تفیـد- بغضّ النظر عن الأدلّه العامّه التی تصـرّح بالعلم المطلق لکلّ إمام- علم الإمام علیه السلام بشهادته فی هذه الحرکه، فهو إمّا کان یطعن فیها من حیث السند و الاعتبار أو یناقشها من حیث الدلاله، و هنا لا یجب أن ننسـی أنّ المؤلّف قـال: لم یخرج الإمـام من أجـل الشـهاده أبـداً، ففنّـد کـلّ ما یفیـد هـذا الأمر، فمثلًا علّق علی عباره الإمام علیه السـلام: «من لحق بی استشهد» فقال: لا تعنی هذه العباره أنّ کلّ مَن یلحق بی یُقتل، فی حین لا یفهم العرف و اللغه سوی ذلک، بل یری أنّ المعنی: مَن یلحق بی إنّما یتعرّض إلی الأخطار و الشـهاده، أَ وَ لا یعنی بهذا أنّه ینکر علم الإمام بما سیقع فی کربلاء؟ و بالطبع لا ارید أن أقول بأنّ کافّه الأدلّه قطعیه السـند تأریخیاً، رغم القول بصحّتها من قبل کبار أرباب المقاتل، بل أقول: إنّ کلّ مـا بـدر من المؤلّف کـان اجتهـاداً فی التأریخ و لیس من التأریـخ فی شـی ء، و لم یهـدف سوی إنکـار علم الإمـام علیه السـلام بشهادته فی هذه الحرکه. ۳- کیف لنا أن نفترض عدم تنکّر المؤلّف لعلم الإمام بشـهادته، و هو الذی أورد عنواناً تساءل فیه عن قتـل الإمام هل کان بنفع الإسـلام أم بضـرره، ثمّ یـذهب صـریحاً- و سـیأتی ذلک فی مناقشه الخطأ الرئیسـی الثانی- إلی أنّ قتل الإمام علیه السلام و حادثه کربلاء و سبی عیالات أهل البیت إنّما شکّلت ضرراً علی الإسلام، حیث

ذهب أیضاً إلی أنّ القول بالعلم یستلزم الاعتراف بإقدام الإمام علیه السلام علی عمل لم یتضمّن سوی ضرر الإسلام و المسلمین، لو کـان الإمـام عالماً بما ارتکب و ما یتنافی و الإسـلام، و علیه: فلا مفرّ للمؤلّف من الاعتقاد بعـدم علم الإمام بشـهادته فی تلک النهضه. و بعباره أوضح: یعتقد المؤلّف بأنّ حادثه کربلاء قد أضـرّت بالإسـلام- سیأتی الردّ قریباً- و علی هذا الأساس کان لا بدّ له من التنکّر لعلم الإمـام بما سـیجری فی تلک الحادثه، و إلّا لما ارتکب ذلک الفعل الـذی أدّی إلی ضـرر الإسـلام، و علیه: فلم یکن للإمـام علم، و إلّا کان متعمّـداً- و العیاذ باللّه- للإضـرار بالإسـلام. ۴- یفهم من الأدلّه التی ساقهـا المؤلّف فی إطـار حرکه الإمام الحسـین علیه السلام إلی الکوفه و إنشاء الحکومه الإسلامیه، أنّ الإمام لم یکن ملتفتاً إلی الأحداث و الوقائع التی ستنطوی علیهـا حادثه کربلاء. فقـد صـرّح فی ص ۵۵ قائلًا: «علی ضوء المعادلات الطبیعیه- و المقصود بالمعادلات الطبیعیه هنـا بقرینه العبارات السابقه و اللاحقه: إعـداد العدّه و العدد و شـعبیه الإمام و نصـره الکوفه له و ...- فإنّ الإمام کان یأمل بتحقیق النصـر فی هذه المعرکه و الإطاحه بحکومه یزید». و لنا هنا أن نسأله: هل یمکن الجمع بین الأمل- الذی یمثّل إحدی الصـفات الإنسانیه- و العلم بالشـهاده فی هـذه النهضه؟ هل یمکن القول بأنّه کان یأمل بالإطاحه بحکومه یزیـد و الأخـذ بزمام السـلطه، کما کان عالماً بأنّه سیُقتل قبل وصوله إلی الکوفه؟ کأن نقول مثلًا بأنّ مسافراً انطلق من مـدینه قم و هو یأمل بأنّه سـیصل طهران فی نفس ذلک الیوم، کما أنّه موقن بأنّه سیموت فی حادثه اصـطدام خلال الطریق قبل أن یبلغ طهران. أجل، لا یمکن الجمع بین العلم بالشهاده فی هذه الحرکه، و الأمل التامّ بالنصر الذی یتمثّل بالإطاحه بحکومه یزید.

و لعلّ هناک من یقول: إذن، فأنتم تتّفقون مع مَن یقول: إنّ الإمام إنّما خرج من أجل القتل، لا ـ بقصد الاتّجاه إلی الکوفه و القضاء علی زعامه الفاسق یزید؟ و للإجابه علی هذا الزعم نقول: لا ننوی فعلًا الدخول فی ماهیه قضیه کربلاء و نبدی بعض و جهات النظر بهذا الخصوص، بل إنّما نرید الإشاره إلی الأخطاء التی ارتکبها مؤلّف کتاب شهید جاوید، کما نرید أن نقول بأنّ أساس الکتاب إنّما وُضع علی أساس إنکار علم الإمام علیه السلام بالشهاده فی هذه الحرکه، و لکن لا بأس بالإجابه علی ذلک الزعم الموهوم. فقد استبطنت حکومه یزید الزائفه عدّه خطط و برامج خطیره، فلم یکد المسلمون یتنفّسون الصعداء إبّان عصر الاستبداد و الطغیان الذی شهدته حکومه معاویه، حتّی رأی المسلمون هذا الفاسق شارب الخمر و قد تربّع علی عرش السلطه، السلطه التی جعلت المسلمین یذوقون الأمرین من هذا الفتی الطائش- یزید-، و قد أخذ الظلم مأخذه من الناس بالشکل الذی جعلهم یرفعون أصواتهم و یصرخون بوجه الظلم و یطلبون النجده من الرجل الصالح الجدیر بزعامه الامّه و إمامتها و یرون فیه أملهم المنشود. أمّا الإمام من جانبه فقد کان عالماً بحکومه یزید التی لا ترید سوی زعزعه أرکان الإسلام و محو آثار القرآن، و أنّها ستنشد یوماً:

لعبت هاشم بالملک فلاخبرٌ جاء و لا وحیٌ نزل(۱)

و ستجدّد مفاخر الجاهلیه و تقضّ مضاجع الدین، الأمر الذی یجعل الإمام ینهض لممارسه وظیفته تلبیه لدعوه الامّه، و هی الوظیفه التی ینهض بها کلّ إمام حسب الظروف و الشرائط، فلم یکن ینبغی للإمام الحسین علیه السلام أن یصمّ آذانه عن

۱- روضه الواعظین: ۱۹۱، الاحتجاج ۲: ۱۲۲ رقم ۱۷۳، الملهوف: ۲۱۵.

سماع صراخ المظلومين، و لذلك أعلن عن عزمه على خلاص الإسلام و الامّه من مخالب يزيد، حتّى لا يتفوّه أحد بأنّ الامّه استغاثت بالإمام و لم يجبها و تهرّب من ممارسه وظيفته و مسئوليته! كان هذا الأمر يتطلّب توفير بعض المقدّمات من قَبيل الحركه نحو الكوفه ليعلن للعالم بأنّى لن أخلد إلى السكون و الراحه. نعم، فالسبيل الذى سلكه يزيد و العلم الذى يعلمه الإمام لم يجعل أمامه من سبيل سوى القيام و الثوره، هذا من جانب، و من جانب آخر فقد كان عالماً عارفاً أنّه لن يحقّق هدفه و يُنهى حكومه يزيد و يقيم الحكومه الإسلاميه، بل إنّ سبيل التضحيه و الفداء هو الذى سيسقى شجره الدين التى جفّت عروقها خلال سنوات حكم معاويه، و أنّ تضحيته ستنفخ الروح من جديد فى جسد الإسلام الذى أصبح جثّه هامده بلا حركه، و كان يعلم جيداً بأنّه سيتمكّن بهذه التضحيه من أداء دينه للإسلام، و ستتحقّق مقوله جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله «حسينٌ منّى و أنا من حسين»(۱). إذن، فالانطلاق نحو الكوفه لزعامه الأُمّه كان من أجل كَمّ الأفواه التى فتحت آنذاك و ستفتح اليوم و غدا، على أنّ السبيل كان ممهّداً و الظروف مناسبه فَلِمَ لَمْ ينهض الإمام الحسين عليه السلام غير أنّ العلم بالشهاده و الذى يجعل الهدف يكمن فى كربلاء لم يكن يصدّ الإمام عن القيام و الثوره، فالإمام كان يعلم بأنّه سيُقتل فى هذه الحادثه- و هذا ما سنشير إليه لاحقاً- و لكن لا بدّ من الانطلاق نحو الكوفه و تمهيد المقدّمات لكى لا تخرج النهضه عن دائره العقلائيه و الحسابات التقليديه، رغم علمه بأنّه سوف لن يصل الكوفه. إذن، فالإمام رام بهذه الحركه إفهام العالم بأنّه قام من أجل إحياء الإسلام و إنقاذ الامّه المظلومه من قبضه حكومه يزيد، و أنّه سيُقتل إثر هذا القيام، و لم يكن

۱- كامل الزيارات: ۱۱۶ ح ۱۲۶، و عنه بحار الأنوار ۴۳: ۲۷۰.

للُامّه أن تـدرک مغزی هـذا القیام ما لم ینطلق صوب الکوفه، أمّا الإمام فقـد کان علی علم بأنّه لن یصل الکوفه. و هنا یبرز هـذا السؤال: إذا کان الإمام یعلم بأنّه سیُقتل قبل الوصول إلی الکوفه و الظفر بإنشاء الحکومه الإسلامیه- الحسینیه- فلما ذا قام و نهض بالأمر؟

وَ لِمَ سلّم أهل بیته للقتل طواعیه حیث لم یکن هنالک من احتمال و لو واحد بالمائه بالغلبه و النصر؟ و الجواب: لم یکن الأخذ بزمام الأُمور و السیطره علی الحکومه هو الهدف الواقعی للإمام؛ لأنّ الإمام کان یعلم بعدم إمکانیه تحقّق هذا الأمر، و أنّه سوف لن یبقی حیّاً قبل أن یصل الکوفه، بل کان هـدفه الأصلی إحیاء الإسلام، و تطبیق القرآن، و إبقاء عزّه المسلمین و شریعه خاتم النبیّین صلی الله علیه و آله، و إزاله البدعه و إحیاء السنّه، و لیس هنالک من سبیل سوی الشهاده لتحقیق هذا الهدف العظیم- و هذا ما سنتعرّض له فی مناقشه الخطأ الرئیسی الثانی- و هذه المهمّه کانت تشکّل وظیفه من وظائف الإمامه التی کان علی الإمام السعی للقیام بها، و أن یُحمل رأسه علی الرماح من أجل رفعه الإسلام العزیز. و علی العموم لیست هنالک من منافاه بین الحرکه نحو الکوفه و تلبیه دعوه الامّه و إعداد مقدّمات النهضه، و بین علم الإمام بالشهاده، و ذلک لأنّ الغرض الأصلی هو إفشال مخطّطات یزید و إحیاء الإسلام، و لم یکن من سبیل لذلک سوی القتال المستمیت فی کربلاء حتّی الشهاده، و لم یکن یعلم بهذا الأمر سوی الإمام علیه السلام، و أنّ هذا الهدف العظیم إنّما یتحقّق فی ظلّ الشهاده لا الحکومه. أمّا حرکه الإمام باتّجاه الکوفه إنّما کان یهدف منها توضیح أسباب قتل الإمام، و لیعلم العالم بأسره أنّ الإمام ثار من أجل إنقاذ الامّه الإسلامیه و الحیلوله دون اضمحلال و محو الدین من قبل حکومه یزید و أنّه قُتل فی هذا السبیل.

و لعلّ الإدراک الحقیقی لفلسفه حرکه الإمام و الوظیفه التی قام بها قد یتعذّر علی الناس لو کان الإمام قال منذ بدایه حرکته: إنّما انطلق إلی الأرض التی سأُقتل فیها، کما سیتعذّر علیهم إدراک کیفیه قیام الإمام بهدف إحیاء الإسلام، أمّا الإمام فکان یعلم شخصیاً بأنّ السبیل الوحید للانتصار و زعزعه سلطه یزید و إحیاء الإسلام إنّما یکمن بالشهاده و التضحیه بالغالی و النفیس. نعم، جرت عاده الأئمّه المعصومین علیهم السلام باعتماد بعض الأُمور من أجل إفهام الناس بعض الحقائق و الوقائع، فقد رقد الإمام علی علیه السلام فی الفِراش بعد أن ضُرب فی محراب عبادته، فهو کان یعلم بأنّ ضربه ابن ملجم قاتله، و قد کشف النقاب عن جمیع تفاصیلها قُبیل وقوعها، و لکن کیف له أن یفهم الآخرین بأنّ تلک الضربه قاتله؟ لا شکّ فی أنّه لیس هنالک من سبیل سوی استدعاء الطبیب لفحصه و إبداء وجهه نظره بهذا الشأن، فلولا فحص الطبیب و تشخیصه بأنّ الضربه قاتله و لا أمل فی الحیاه، فلعلّ هناک من یتساءل لو کان علیّ علیه السلام راجع الأطباء و قدّموا له العلاج و الدواء فلربما تماثل للشفاء و نجی من الموت، و هذا هو جواب أولئک الذین یلتبس علیهم الأمر فیقولون: إذا کان علی یعلم بأنّه سیفارق الدنیا إثر ضربه ابن ملجم و أنّه میّت لا محاله، فَلِمَ أخضع نفسه لإشراف و فحص الطبیب؟ و لمَ استعدّ لتلقّی العلاج؟ أ و لیس هذا دلیلًا علی عدم علمه علیه السلام بأنّه سیموت إثر هذه الضربه، فعلی علیه السلام کان یعلم أن لا جدوی من العلاج و أنّه سیُفارق الحیاه، و لکن کیف له أن یفهم الآخرین هذا الأمر و لا سیّما عوام الناس؟ فهل هناک سوی السبیل الذی سلکه الإمام علیه السلام؟ و هذا ما یصدق علی واقعه کربلاء و حرکه الإمام نحو الکوفه، الأمر الذی سنتعرّض له لاحقاً. ۵- یتّضح من الإجابه التی أوردناها علی السؤال فی النقطه الرابعه أن لیس هناک أیّه منافاه عقلیه و عقلائیه بین أساس النهضه من أجل الإطاحه بحکومه

یزید و العلم بالشهاده فی هذه النهضه من أجل تحقیق هذا الهدف. أمّا المؤلّف- و بغضّ النظر عن العلم بالشهاده فی هذه الحرکه- فلم یجد من سبیل للجمع بین تحقیق الهدف و أساس النهضه، فظنّ أنّ فرض صحّه هذه الحرکه إنّما تتأتّی إذا غضضنا الطرف عن علم الإمام علیه السلام بحادثه کربلاء، ثمّ یستنتج علی هذا الأساس أنّ الإمام لا یستطیع أن یطیح بحکومه یزید من خلال هذا الطریق، فکیف تأهّب لمثل هذه الحرکه، فالقیام و النهضه لم تعدّ عملیه عُقلائیه! و علیه: فیری المؤلّف أنّنا إذا أردنا أن نسند الثوره لهذا الأساس وجب علینا أن نغضّ النظر عن علم الإمام، و لمّا أجبنا علی هذا السؤال الوارد بهذا الشأن، فإنّنا نری أنّ المؤلّف لم یستطع أو لم یرد أن یشخّص الطریق الصحیح، فان استند إلی مبناه فی أنّ الهدف هو إسقاط حکومه یزید و الأمل بالنصر و إنشاء الحکومه الإسلامیه، وجب علیه القول بعدم علم الإمام بما ستئول إلیه الأحداث، أو أن یتراجع عن قوله: من أنّ الهدف هو إسقاط حکومه یزید. و نخلص من هذا إلی أنّ الإذعان بالعلم یستلزم نسف کلّ ما ورد فی الکتاب، إلّا أنّنا نعتقد أنّ الهدف کان یتمثّل بالإطاحه بحکومه الظلم و الجور إلی جانب تلبیته لدعوه الامّه المتعطّشه إلی الحریه و حکومه العدل، کما کان عالماً بالأحداث، و فی ظلّ هذا الأمر یتحقّق الهدف، لکن لیس فی ظِلّ إنشاء الحکومه، بل بواسطه التضحیه، و هذه حقیقه معنویه و وظیفه إلهیّه کانت معلومه منذ البدایه، و قد قلّد رسول اللّه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام حسیناً علیه السلام هذه المسئولیه التأریخیه و قَبلها بکلّ رحابه صدر. و بناءً علی هذا ینبغی علی المؤلّف الذی ظنّ بأنّ السبیل العقلائی لهذه النهضه یقوم علی أساس غضّ النظر عن علم الإمام، و بالنظر إلی الکلمات و الخطب التی أوردها الإمام بشأن علمه بشهادته؛ فإنّ الکتاب یکون قد نقض أو نسف تماماً،

و إلّا فلا- خيار آخر سوى الاعتراف بعدم علم الإمام عليه السلام. ۶- لقد تبيّن من خلال الأدلّه السابقه أنّ المؤلّف- و أساس الكتاب- لا- يمكنه أن يقول بعلم الإمام بشهادته فى هذه الحركه، إلّا أنّنا لم نـدّعِ تصريح المؤلّف بإنكار علم الإمام. ۱) قال المؤلّف فى ص ۲۹۰ و ۲۹۱- بعد الاتّفاق الذى حصل بين الحرّ بن يزيد و الإمام-: «لزم الإمام ميسره الطريق و انطلق» ثمّ أضاف المؤلّف: «فلو سأله أصحابه أين ننطلق؟ ما مصير هذه الحركه؟ أين سنحلّ؟ ما ذا سنفعل؟ هل هناك من مشاكل ستواجهنا؟ لا يسع الإمام أن يقدّم من جواب سوى القول: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الامور»، فهل يسع المؤلّف بعد التصريح بنفى علم الإمام بالأحداث و المصير أن يقول: لقد غضضنا الطرف عن علم الإمام و معرفته بالامور، فما الحاجه هنا لغضّ الطرف، فالإمام عليه السلام قد رأى نفسه فى قبضه العدوّ، و لم يكن له سوى الاتّجاه نحو ميسره الطريق بعد رفض العدوّ لاقتراحه بالرجوع، كما تزعم بأنّ الإمام أخذ يلتفت شيئاً فشيئاً أنّه سوف لن يظفر بهدفه المقدّس، فكيف نغضّ الطرف عن علمه رغم علمه و معرفته! لقد غضضت طرفك حين تعذّر عليك الجمع بين العلم و تحقّق الهدف، أمّا و قد انعدم الأمل و لاحت بوادر انتصار يزيد، و ذلك لأنّه وقع فى قبضه العدوّ قبل أن يدخل الكوفه و يتّصل بقواعده الجماهيريه، و قد أغلق حتّى طريق الرجوع بوجهه! فهل غضّ طرفه عن علم الإمام فى ظلّ هذه الظروف، و الجمله التى ذكرتها- و التى تفيد عدم اطّلاع الإمام- استندت فيها على ما ورد فى الكتاب التأريخى الفلانى، فهل بقى من طريق عقلائى لغضّ الطرف عن العلم!! نعتقد بأنّ هذه الجمله ليست تفيد عدم علم الإمام بما ستئول إليه الأحداث فى كربلاء فحسب، بل تفيد أيضاً أنّ الإمام لم يشعر- و العياذ باللّه- بأدنى خطر من

هـذه الحـادثه المروّعه الخطيره، و هو الوقوع فى قبضه الحرّ و جيشه المتعطّش للـدماء. لعـلّ المؤلّف يقول: أين أوردنا اسم الإمام فى جواب على سؤال؟ نقول: ليس هنالـك من جواب على تلـك الأسـئله سوى تلك العباره. أمّا جوابنا على السؤال فنقول: على مَن يطرح الأصـحاب أسـئلتهم؟ ليس لهم سوى الإمـام، أضف إلى ذلـك فإنّـك نقلت تلك العباره من تأريـخ الطبرى، فالتاريخ المذكور ينسب هذه العباره صراحه إلى الإمام، و هى صـريحه بعدم علمه بحادثه كربلاء. و ربّما قال المؤلّف: نعم، لقد استندت إلى تأريـخ الطبرى فى نقل تلك العباره، ثمّ تبعته فى قضـيه عـدم اعتقاده بعلم الإمام بالحادثه. فنقول: أوّلًا: هل يصـحّ الاسـتدلال بالتأريـخ فى المسائـل العقائـديه المرتبطه تماماً بعلم الكلام، و التى ينبغى التوصّـل إليهـا من خلال الأدلّه العقليه أو الأدلّه النقليه الموثّقه! فعلم الإمام، بالحوادث المستقبليه من المواضيع العقائديه، و ليس للتأريخ أن يبدى وجهه نظره بهذا الشأن سلباً أو إيجاباً. ثانياً: تأريخ الطبرى ليس وحياً مُنزلًا، فهل كلّ ما ورد فيه موثوقاً معتمداً عليه و إن خالف أقوال كِبار محدّثى الشيعه و مؤرّخيهم؟ نعم، تأريخ الطبرى قـد اشـتمل على مـا لاـ يحصـى من الأخبـار الموضوعه، و إذا أردت التأكّـد فإليـك مـا أورده العلّامه الأمينى صـاحب الغـدير بشأن بعض تجنّيات هـذا التأريـخ، فقـد قال العلّامه- فى الجلـد الثامن ص ۴۵۷- ۴۶۰- حين تعرّض الطـبرى فى تأريخه إلى تأريـخ أبى ذرّ قال: فى هـذه السـنه- أعنى السـنه الثلاثون- كان ما ذكر من أمر أبى ذر و معاويه، و إشـخاص معاويه إيّاه من الشام إلى المدينه، ثمّ ذكر أسباباً دعت معاويه لنفيه، و لا

أرغب بالتعرّض لها «فأمّا العاذرون معاويه فی ذلک فإنّهم ذکروا فی ذلک قصّه»، ثمّ یخوض الطبری فی ذکر تلک القصص، ثمّ یضیف العلّامه الأمینی قائلًا: «ما الذی دفع الطبری للاقتصار علی ذکر القصص التی تعذر معاویه، بینما یتحفّظ عن ذکر العلل و الأسباب التی أوردها الآخرون و التی تصوّر بشاعه هذا العمل؟ فهل کان له من هدف سوی إعذار معاویه و إثبات حسن صنیعه؟ فَلِمَ لَمْ ینقل الحقائق المتعلّقه بهذه الحادثه، و الحال أنّها مرتبطه بواقع تأریخ الامّه الإسلامیه، لقد ظنّ بأنّ هذه الحقائق ستبقی مستوره إلی الأبد و قد غفل عن وضوحها فی کتب الحدیث و زوایا التأریخ» ثمّ قال الأمینی: «لقد شوّه الطبری تأریخه بالمکاتبات التی نقلها السرّی الکذّاب الوضّاع عن شعیب، عن سیف، و ذلک لأنّ السرّی اسم لفردین معروفین بالکذب و وضع الأحادیث، و شعیب- علی ضوء المختصّین بعلم الرجال کابن عدی و الذهبی- مجهول، و سیف ضعیف و متروک و ساقط من الاعتبار، بل متّهم بالزندقه من قِبل الحفّاظ و أرباب الجرح و التعدیل، لقد نقل الطبری ما یربو علی السبعمائه روایه- و التی تعادل عدّه مجلّدات من تأریخه- عن السرّی، عن شعیب، عن سیف، و غرضه هو إخفاء الحقائق التی وقعت منذ سنه ۱۱ ه حتّی سنه ۳۷ ه، أی عصر الخلفاء الثلاثه». ثمّ یخوض العلّامه الأمینی بالتفصیل فی هذه الروایات و الحوادث المتعلّقه بکلّ سنه فی ذلک العصر. أمّا غرضنا من نقل أقوال العلّامه الأمینی هو أنّه کیف یسعنا اعتبار تأریخ الطبری سنداً تأریخیاً قاطعاً و نذعن من خلاله بعدم علم الإمام علیه السلام بحادثه کربلاء و ما آلت إلیه الأحداث!! ثالثاً: لقد نقلت فی هذا التأریخ- کما سیأتی لاحقاً- بعض القصص التی تفید علی نحو الجزم علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه، فلم لم تتبع هذه الامور فی

تأريخ الطبرى!! ۲- قال المؤلّف- فى ص ۲۹۰-: «يا لها من فاجعه! فى أن يمنح الإمام أصحابه حاله السكينه و الطمأنينه فى ظلّ تلك الأوضاع المزريه التى عصفت بهم، ثمّ يتّجه بهم فى تلك الصحراء الطويله العريضه إلى موضع لم يتكهّن به». و هنا نسأل المؤلّف: «يتّجه بهم إلى موضع لم يتكهّن به» ما ذا تعنى هذه العباره؟

أَ وَ لا تعنى أنّ الإمام لا يدرى أين يذهب، و لا يعلم بأنّ ذلك الموضع هو كربلاء؟

فإذا كان كذلك فهل يمكن التصديق بأنّ الإمام عالم بأنّه سيحلّ فى كربلاء، حقّاً أنّ مثل هذه الحيره لا تليق بشأن الإمام العالِم بكلّ شى ء و لا سيّما تفاصيل و جزئيات حادثه كربلاء، فهذه الامور لا تقود بالتالى إلّا إلى الحطّ من المنزله العلميّه للإمام عليه السلام، لِمَ هبطت بمقام الإمام الى هذه الدرجه بعد تغليف العبارات بهاله من التراجيديا و الغمّ؟ فى حين تعتقد بأنّ كتابک قد أدّى إلى رفعه مقام الإمام و تقول:

«إنّ هذا الكتاب ليس فقط لم يقلّل من شأن مقام الإمام، بل قد رفع مقام الإمام بشهاده العلماء إلى درجه أرفع ممّا كانت تتصوّره عامّه الناس». فهل افتراض عدم العلم و الاطّلاع ترفع منزله الإمام؟ و هل الحيره و الترديد من قِبل الإمام دفعت أولئك العُلماء للإدلاء بتلك الشهاده؟ و هل عوامّ الامّه فقط يرون الإمام عالماً عارفاً؟ لا يسعنا هنا إلّا أن نناشدک بأن تعتبرنا جزءاً من عوامّ الامّه. ۳- قال فى ص ۳۰۱- بعد أن نقل شيئاً يسيراً عن نزول الإمام و صحبه فى كربلاء-: «لقد تذكّر الإمام حديث والده أمير المؤمنين عليه السلام بشأن هذه الأرض، حيث قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسين- حين كان له من العمر ثلاث و ثلاثين سنه-: سيُقتل هنا ثلّه من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و قد ابتليت ثلّه منهم اليوم بهذه الأرض». أو ليست تلك العدّه المعدوده من أهل البيت التى تحدّث عنها أمير

المؤمنین علیه السلام هم الحسین علیه السلام و أهل بیته؟ أ وَ لا ینطبق ذلک الحدیث الذی ذکره أمیر المؤمنین علیه السلام قبل أربع و عشرین سنه بشأن قتل عدّه معدوده من أهل البیت فی ذلک الموضع علی الحسین علیه السلام و أهل بیته؟ لقد نقل الحسین علیه السلام ذلک الحدیث إلی صحبه، و بالطبع فإنّه علیه السلام کان یحتمل بأنّه هو المعنیّ بالکلام، فجعل یستعدّ و صحبه لذلک البلاء. و الذی نخلص إلیه من عبارات هذه الصفحه من کتاب المؤلّف الذی أثار مثل هذه الاستفهامات: ۱- أنّ الإمام الحسین علیه السلام حین بلغ کربلاء و حاصره العدوّ، تذکّر ما قاله أمیر المؤمنین علیه السلام: إنّ صفوه من أهل البیت تقتل فی هذا الموضع. ۲- لقد أورد أمیر المؤمنین علیه السلام عبارته بضمیر الغائب «هم» فی قوله: «مهراق دمائهم ...»(۱) و رغم کون الحسین علیه السلام معه إلّا أنّه لم یعتقد بأنّه المعنیّ بذلک الحدیث. ۳- لم یتذکّر الإمام علیه السلام حدیث أمیر المؤمنین علیه السلام طیله مسیره حتّی حلّ فی کربلاء و حاصره العدو. ۴- حین تذکّر الإمام علیه السلام ذلک الحدیث، خشی أن یکون هو و صحبه المصداق للعباره: «مهراق دمائهم» و رغم جمیع القرائن و الشواهد من قبیل حدیث أمیر المؤمنین علیه السلام بشأن تلک الأرض، و قرینه نزول الإمام فیها، و محاوله قتله من قِبَل یزید، و المعامله الفِضّه لعبید اللّه بن زیاد و محاصرته للإمام علیه السلام، و ما قاله الفرزدق حین التقاه، و مئات القرائن الاخری، فإنّ الإمام تذکّر توّاً حین نزل فی تلک الأرض أن یکون هو و صحبه المقصودین بذلک الحدیث الذی أورده أمیر المؤمنین علیه السلام قبل أربع و عشرین سنه، فرجع الإمام إلی نفسه و أحسَّ بالخطر الذی

۱- اختیار معرفه الرجال، المعروف ب« رجال الکشی»: ۱۹ ح ۴۶، و عنه بحار الأنوار ۲۲: ۳۸۶ ح ۲۷، الأحادیث الغیبیه ۲: ۱۶۴- ۱۶۵، و یأتی مفصّلًا فی ص ۲۵۹.

يواجهه، فى حين لم تكن كلّ تلك القرائن و الشواهد سبباً ليقين الإمام عليه السلام، أمّا عبارته: «هاهنا و اللّه محطّ رِحالنا ...» فقد نسبت إليه من قِبل ابن الأعثم المشهور بالكذب. أمّا العبارات المنمّقه التى اعتمدها المؤلّف- فى هاتين الصفحتين من الكتاب- فهى لا تفيد كون الإمام لا يعلم بقتله فى هذه الحادثه، و لم يستطع تشخيص الواقعه فحسب، بل وردها على أساس الاحتمال. و هنا نقول: كيف يقرّ المؤلّف بعلم الإمام بالشهاده منذ انطلاقته، و الحال كانت هذه هى النتيجه لدراسه الصفحتين المذكورتين؟ و لعلّ المؤلّف يقول: إنّى لا أنكر التفات الإمام لهذا الأمر، بل أقول: إنّه لم يطلق هذه العباره: «هاهنا و اللّه محطّ رِحالنا ...» و قد نسبها إليه الكذّاب ابن الأعثم. فأقول: أوّلًا: ما أوردناه هو نتيجه التحقيقات فى ص ۳۰۱. و ثانياً: لِمَ التعرّض إلى مقوله ابن الأعثم و الإصرار على إثبات عدم صحّتها؟

التعرّض لذلك لا يكون إلّا لأنّ المؤلّف قد التفت إلى عدم العلم، و أراد بتضعيف هذه العباره أن يزعزع أساس علم الإمام، و يخلص بالتالى إلى أنّ الإمام عليه السلام لم يقل:

«هاهنا مسفك دمائنا»، أضف إلى ذلك على فرض أنّ ابن الأعثم كذّاب وضّاع، فهل لنا أن نرميه بالكذب فى الخبر الذى ينقله عن الإمام إذا كان مخالفاً لبعض الواقعيات حسب بعض القرائن؟ و هل هذا هو الاسلوب الذى ينهجه المؤلّف فى استنباطه للأحكام الشرعيه؟ مثلًا إذا كانت روايه دون سند، أو كان بعض رواتها من يخدش فيهم، إلّا أنّ الروايه موافقه لروايه موثوقه، فهل تسقط هذه الروايه من الاعتبار؟ هنالك ما لا يحصى من القرائن التى تجعل من الطبيعى نسب عباره «هاهنا و اللّه محطّ رِحالنا» إلى الإمام، و فرض كذب ابن الأعثم فى سائر الموارد لا يعتبر

دليلًا على صحّه هذه المقوله، و ليس هنالك ما يدعو إلى تكذيب ابن الأعثم فى إيراده لمقوله تنسجم و سائر الموازين العلميه و القرائن الخارجيه، و لا يسعنا إلّا أن نردّ إصرار المؤلّف على التكذيب إلى مبدئه الأساسى القائم على إنكار علم الإمام بمقتله فى هذه الحادثه. و من المناسب هنا أن نشير إلى نقطتين: النقطه الاولى: ترى الشيعه الإماميّه أن لا فرق بين الأئمّه الطاهرين عليهم السلام فى جميع الامتيازات و الفضائل، فهم متشابهون فى القدره و العلم و ما إلى ذلك من الصفات، و هنا نطرح هذا السؤال: ما الفرق بين أمير المؤمنين و الحسين عليهما السلام؟ فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام عالماً بواقعه كربلاء، فما الذى يدعونا للقول بعدم علم الإمام الحسين عليه السلام بها، بحيث يكون هناك فارق فى العلم بين الإمامين؟ و لعلّ هناك من يقول: أوّلًا: لقد نقل أمير المؤمنين عليه السلام هذه المقوله كروايه أو حكايه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فما الضير ألّا يكون الإمام الحسين عليه السلام قد سمعها من النبى صلى الله عليه و آله؟ ثانياً: لقد تطرّق أمير المؤمنين عليه السلام إجمالًا لهذه الحادثه، و لعلّه لم يقف على تفاصيلها و لا- يعلم أنّها بشأن ولده الحسين عليه السلام. فنقول فى الجواب: أوّلًا: لم يتعرّض لها المؤلّف كروايه أو حكايه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، بل اعتمدها المؤلّف كنقل آخر من قبيل كونها نبوءه لأمير المؤمنين عليه السلام فقط. ثانياً: يفيد ظاهر الكتاب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مطّلعاً على تفاصيل الواقعه و أنّها بشأن ولده الحسين عليه السلام، و فى هذه الحاله يبقى سؤالنا قائماً: كيف نقول بالفارق بين إمامين مفترضى الطاعه فنثبت لأحدهما من العلم ما ليس للآخر؟! النقطه الثانيه: من المسلّم لديك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إجمالًا فى معركه صفّين إلى هذه الواقعه و لم يصرّح بشى ء بخصوص ولده الحسين عليه السلام، فى حين

أفادت المصادر و الروايات أنّه صرّح باسم ولده الحسين عليه السلام و بحضوره، و قد وردت أغلب هذه الروايات في كتاب البحار للعلّامه المجلسي رضي الله عنه في المجلّد الأربع و الأربعين ص ۲۵۲- ۲۶۶، و نكتفي هنا بذكر روايه واحده تدحض قضيه الإجمال: فقد قال العلّامه المجلسي رضي الله عنه: «و روى في بعض الكتب المعتبره عن لوط بن يحيى(۱) عن عبد اللّه بن قيس قال: كنت مع مَن غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفّين و قد أخذ أبو أيّوب الأعور السلمي الماء و حرزه عن الناس، فشكا المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امضِ يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيّوب عن الماء، و بنى خيمته و حطّ فوارسه، و أتى إلى أبيه و أخبره، فبكى علي عليه السلام، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين و هذا أوّل فتح ببركه الحسين عليه السلام؟

فقال: ذكرت أنّه سيُقتل عطشاناً بطفّ كربلاء حتّى ينفر فرسه و يحمحم ...»(۲). و لعلّ المؤلّف يقول: ليس هناك من منافاه بين هذه الروايه و ما ذكرته، فقد قلت بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يتطرّق إلى ذكر الحسين عليه السلام خلال مروره بأرض كربلاء متوجّهاً إلى صفّين، و لعلّه صرّح بذلك حين المعركه، فأقول: لو سلّمنا ذلك، فالتصريح بالاسم خلال المعركه هل يبقى هنالك من مجال للإجمال، أو ليس التصريح موضحاً للإجمال؟

نتيجه الأدلّه:

كانت الأدلّه السابقه نماذج تثبت عدم إمكانيه تصديق المؤلّف لعلم

۱- لوط بن يحيى هو أبو مخنف الذي يروى عنه الطبري، و قد أدرك زمان الإمام الصادق عليه السلام.

۲- بحار الأنوار ۴۴: ۲۶۶ ح ۲۳.

الإمام علیه السـلام بشهادته فی هذه الحادثه، الأمر الذی دوّن من أجله الکتاب. و بالالتفات إلی ما أوردناه سابقاً فلعلّ هنالک من یقول بأحد الموضوعین التالیین:

الموضوع الأوّل:

لقد ألّف کتاب شـهید جاوید بغضّ النظر عن علم الإمام علیه السلام بالشهاده فی هذه النهضه، و هو عباره عن دراسه دقیقه تثبت نهضه الإمام علی أسس عقلائیه و منطقیه من خلال المعادلات الطبیعیه.

الموضوع الثانی:

قد یُقال: و هل العلم بالشـهاده فی هذه النهضه من ضـروریات المذهب بحیث یدعو إنکاره إلی مثل هذه الضـجّه؟ فما الضـیر ألّا یکون الإمام عالماً بموضوع قد یکون من المسلّمات؟!

جواب الموضوع الأوّل:

۱- إذا کان هناک انسـجام بین الدراسه التی تناولها الکتاب و علم الإمام، و رأیتم أنّها لیست منسجمه فحسب، بل بالتوجّه إلی ما ذکر من أنّ علم الإمام یمکن جمعه مع الحرکه المنطقیه و العقلائیه للإمام، فما الحاجه لصـرف النظر هذا؟ فی الواقع یعتبر صرف النظر هـذا اعترافاً صـریحاً یتعذّر معه الجمع بین الکتاب و علم الإمام، و أنّ مضـمون الکتاب قد دوّن علی أساس عدم علم الإمام.
۲- یمکن افتراض موضوع «غضّ النظر عن العلم» من وجهه نظر المباحث العلمیه و الـدراسات العقلیه السائده بین العلماء، أمّا من ناحیه الامّه فلا یمکن

قبوله؛ لأنّ الكتاب إنّما دوّن لغرض استفادتها، فليس للُامّه أن تغضّ النظر عن علم الإمام و تدرس المباحث دون الأخذ بنظر الاعتبار ذلك العلم. ۳- أين ذكر الادّعاء بغضّ النظر عن علم الإمام بشهادته فى النهضه من مباحث الكتاب أو مقدّمته، فى حين لم ينس الكاتب الإشاره إلى المواضيع التى ليست بذات أهمّيه، أو لا يستحق موضوع علم الإمام عليه السلام بشهادته فى هذه النهضه و الذى تعتقد به الامّه الإسلاميه إذا غضّ الكتاب طرفه عن ذكره بحيث دوّن بما يتنافى و ذلك العلم من ذكر تلميح أو تصريح فى أوّل صفحه من الكتاب؟ ۴- هل من فائده تُذكر لكتاب أسّس بنيانه على فرض غير صحيح و مخالف للواقع؟ يمكن أن يُقال: إنّ فائدته كما ذكرنا فى الصفحه السادسه هو دراسه النهضه الحسينيّه على المستوى العالمى غير الشيعى إلى جانب نفعه لأهل الإيمان من خلاله اعتماده الموازين العُقلائيه. و الجواب: لو أذعنّا لهذا الزعم، كان لا بدّ أن ينشر الكتاب بإحدى لغات العالم الحيّه و يقتصر على العالم البعيد عن التشيّع، و لا ينبغى أن يطّلع عليه العالم الشيعى فتجرح مشاعره، و للزم من ذلك أن يقول: إنّنا نقدّم هذا الكتاب للعالم غير الإسلامى، بدلًا من العباره التى ذكرها فى ص ۷: «إنّنا نقدّم هذا الكتاب إلى المجتمع الإسلامى و غير الإسلامى بصفته فرضيه تأريخيه حول نهضه الإمام الحسين عليه السلام».

جواب الموضوع الثانى:

لا بأس هنا من الالتفات إلى بعض المواضيع المهمّه و إن تعرّضنا لشرحها آنفاً: ۱) هل يقتصر علم الأئمّه الأطهار عليهم السلام على أحكام الإسلام و تعاليم الدين و قوانين الشرع بالاستناد إلى الاجتهاد فى القرآن الكريم و سنّه النبى صلى الله عليه و آله، أم أنّهم

مفسّرون للقرآن و لهم معرفه تامّه بالغيب و أسرار و بطون القرآن و الأحكام و السّنه النبويّه؟ ۲) هل الإمام عالم بالموضوعات و تفاصيلها أم لا؟ و الاعتقاد بهذا الأمر جزء من ضروريات المذهب أم لا؟ و هل الموضوعات على درجه واحده، أم هنالك فوارق بينها؟ ۳) إذا افترضنا عدم علم الإمام بالموضوعات، و لم يكن الاعتقاد بهذا الأمر من ضروريات الدين، فهل الإمام الحسين عليه السلام كان عالماً بوقائع حادثه كربلاء فى نهضته أم لا؟ هذه أسئله يبدو أنّ دراستها و تحقيقها فى غايه الأهمّيه، و أهمّها هو السؤال الثالث الذى يجب دراسته حتّى تنكشف حقيقه الأمر و يزال الالتباس عن ذهنيّه الامّه المسلمه المناصره لرساله الإمام و إبعاد الشبهات عن نهضه سيّد الشهداء عليه السلام، التى - لا سمح اللّه - ستؤدّى إلى التقليل من أهمّيه مقام الولايه. و إليك جواب السؤال الثالث:

جواب السؤال الثالث:

أوّلًا: إذا افترضنا جدلًا بعدم علم الأئمّه الأطهار عليهم السلام بالحوادث و الموضوعات، و قلنا من وجهه نظر المبانى الدينيّه: إنّ الاعتقاد به ليس ضروريّاً، و لكن لا يمكن هنا إنكار حقيقه، و هى أنّه لا يمكن إخضاع كافّه الموضوعات لمقياس واحد، فإذا افترضنا أنّ الإمام لا يعلم اسم الشخص الفلانى، أو أين تقع الأرض الفلانيه، أو وجود الكهرباء، فهذه الامور لا تمتّ بصله من قريب أو بعيد إلى أساس الإسلام و مصير الامّه الإسلاميه. و لكن هل لنا أن نفترض عدم علم الإمام بالموضوعات التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بسعاده المسلمين و حياتهم و تؤثّر

مباشره علی المسیره الإسلامیه؟ و هل یمکننا القول بصراحه بأنّه لا یجب أن یحیط الإمام علیه السلام علماً بمثل هذه الامور؟ بالاستناد إلی هذا التفکیک فی الموضوعات، یبدو من الواضح ضروره الاعتقاد من وجهه نظر الدین بأنّ مثل هذه الحوادث لیست بخافیه علی الإمام علیه السلام و إلّا تعرّض کیان الإسلام إلی خطر السقوط و الزوال، و علیه: فلا یمکن إصدار نفس الحکم بشأن کافّه الموضوعات. فإن قُلنا أیضاً بعدم امتلاکنا للدلیل علی علم الإمام بهذه الحوادث و تشخیصه لها، فإنّنا لا بدّ أن نعتقد بأنّ إمکان خطأ الإمام فی تشخیصه لمثل هذه الحوادث من شأنه أن یسدّد بعض الضربات الموجعه إلی الإسلام و المسلمین، فهل تجب طاعه و اتّباع مثل هذا الإمام؟ أولا تنصرف الآیه أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ(۱) إلی شی ء آخر؟ أو لا تجب طاعه اولی الأمر فی الحوادث؟ هل تجب الطاعه للولی الذی یجوز علیه الخطأ؟ و الآن نسأل هذا السؤال: واقعه کربلاء مِصداق لأیّ من الحوادث و الموضوعات المذکوره آنفاً؟ هل هذه الواقعه المأساویه أمر جزئی لا مساس له بالإسلام و العالم الإسلامی؟ و هل کانت مصادمه عادیّه بین زعیم صالح و زعیم جبّار؟ أم أنّها کانت حادثه جوهریه ذات تأثیر بالغ علی مصیر الإسلام؟ الجواب واضح تماماً، فلا شکّ أنّ حادثه کربلاء کانت حادثه بالغه الخطوره علی الإسلام و المسلمین، و علی ضوء ما أوردناه فإنّ علم الإمام علیه السلام بهذه الحادثه یبدو منطقیاً تماماً، کیف ینسب الجهل إلی الإمام و أنّه ورد میداناً لم یتکهّن به حتّی سبّب ذلک ضرراً علی الإسلام حسب رأی البعض! و کیف یحمل یزید وزر تلک الاضرار و الخسائر؟! و کیف تجب طاعه الإمام فی هذه الحرکه التی لم یکن

۱- سوره النساء: الآیه ۵۹.

يعلم بعاقبتها؟! يرى المؤلّف أنّ الإمام لم يكن على علم بعاقبه تلك الأُمور! ثمّ حذا حذو الطبرى فى أنّه لو سُئل: أين نذهب؟ أين سننزل؟ ما عاقبه هذا الأمر؟ لما أجابهم إلّا بالقول: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الأُمور». كما يرى المؤلّف أنّ عاقبه الأمر لم تكن سوى تلك الخساره العظيمه التى سدّدها يزيد الفاسق إلى الإسلام و المسلمين. إذن، فهو يعتقد بأنّ الإمام قد ارتكب عملًا لا ـ عن علم انطوى على تلك النتيجه الخاسره، إلّا أن الخساره يتحمّلها يزيد و هو المسئول عنها! و على هذا فإنّ الأفراد الذين تخلّفوا عن الركب و على ضوء ذلك المصير معذورون فى تركهم الإمام! هل هنالك من مسئوليه تقع على عبيد اللّه بن الحرّ الجعفى! طبعاً ليس أمامنا من سبيل سوى الإذعان باطّلاع الإمام عليه السلام و علمه بكافّه تفاصيل الحوادث.

طريق مغلق؟!

لعلّ هنالك من يسألنا: لم تحشرون أنفسكم فى طريق مسدود، فأنتم تقولون بأنّ الإمام عليه السلام كان عالماً بعاقبه النهضه، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يلقى بنفسه فى تلك التهلكه المميته؟ كيف أقدم الإمام على تلك الحادثه و لم يتريّث رغم إضرارها بالإسلام و المسلمين؟ لِمَ لَمْ يستجب لنصائح ابن عباس و محمّد بن الحنفيه؟ و لِمَ لَمْ يتمكّن من التقى الإمام فى مسيره عن ثنى الإمام عن عزمه؟ فنقول فى الجواب: أوّلًا: أنّ حادثه كربلاء ليس فقط لم تضرّ بالإسلام و المسلمين، بل- سنثبت فى الفصل القادم إن شاء اللّه- أنّ هذه الحادثه كانت الخطوه الاولى لاستعاده الإسلام حيويّته، كما كانت الضربه الموجعه التى وجّهت لحكومه يزيد الغاشمه.

و علیه: فالنهضه الحسینیه کانت اللبنه الأساس لإقامه الحیاه الإنسانیه القائمه علی أساس مفردات العزّه و الکرامه و الشجاعه و رفعه الإسلام و المسلمین. و من هنا فإنّ طاعه الإمام علیه السلام واجبه علی کلّ مسلم و إنسان حرّ غیور، و التخلّف عنه و عدم الالتحاق به یعدّ أسوأ أنواع إلقاء النفس فی التهلکه و القضاء علی کیان الإسلام و المسلمین، و الموت معه هو الموت من أجل العدل و الحریه و الإسلام و القرآن و التوحید. فحرکه الحسین علیه السلام أنصع صفحه ذهبیه فی التأریخ علّمت الناس دروس التضحیه و الکفاح، و فضحت أسالیب الأعداء و ما یضمرون من شرٍّ و عدوان للإسلام، و لذلک فإنّ عزمه الذی یستند فیه إلی المصلحه الإسلامیه التی رسمها له الحقّ و النبیّ و أمیر المؤمنین لم یکن لیضعف لأقوال ابن عباس و أمثاله، فهؤلاء لا یعلمون خطوره وظیفه الحسین علیه السلام؟ أمّا الإمام علیه السلام فقد کان یعلم أین یتّجه و ما ذا سیحدث. ثانیاً: هناک بعض الأسناد و الوثائق التأریخیه التی استدلّ بها المؤلّف، و نذکرها بأجمعها: ۱) لقد نقل الطبری فی تاریخه عن أبی مخنف لقاء الإمام لزهیر بن القین و قال:

«قال زهیر لصحبه حین رجع من عند الإمام: مَن أَحبّ منکم أن یتبعنی، و إلّا فإنّه آخر العهد. إنّی سأُحدّثکم حدیثاً: غزونا بلنجر ففتح اللّه علینا و أصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلی: أ فرحتم بما فتح اللّه علیکم و أصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدرکتم شباب آل محمّد فکونوا أشدّ فرحاً بقتالکم معهم بما أصبتم من الغنائم، فأمّا أنا فإنّی أستودعکم اللّه، قال: ثمّ و اللّه ما زال فی أوّل القوم حتّی قُتل»(۱). إنّ هذا النقل من الطبری جدیر بالتأمّل، فهو موثوق تماماً من حیث السند؛

۱- تاریخ الطبری ۴: ۲۹۹.

لأنّه يروى عن أبى مخنف الـذى يرى البعض أنه يأبى الخـدش و الطعن، و زهير هو ذلك الرجل الـذى كان يتحاشـى لقاء الإمام حين رجع من مكّه بعـد أن أدّى مراسم الحـجّ، إلّا أنّه التقى الإمام صـدفه، كان زهير يأبى لقاء الإمام و الالتحاق بركبه، فما الذى سمعه خلال ذلك اللقاء؟ و ما ذا رأى؟ حتّى يعود إلى خيمته و يودّع صحبه، أو لم يكن يدرك بأنّه سيرد ميداناً يحصل فيه على الشـهاده؟ أ لم يـذكّره الإمام عليه السـلام بتلك القصّه و يبيّن له حقيقه الأمر؟ أ فقال له الإمام عليه السـلام: إذا وقفت إلى جانبى فإنّى لأرجو أن أنتصـر و أسـتولى على الكوفه و ستصـبح من أعيانها و أشـرافها فى الحكومه؟ لو كان هـذا ما قاله الإمام لزهير لما ودّع قومه و قال: إنّه آخر العهـد، فالواقع هو أنّ الإمام عليه السـلام قد أخبره بواقع الأمر. إذن، فالإمام كان عالماً بعواقب الأُمور و قد أخبر بها زهير و وعده بالشـهاده، و هذا هو الأمر الوحيد الذى من شأنه تفسـير حديث زهير، و لم يكتف الرجل بهذا المقدار، بل تطرّق إلى معركه بلنجر و حديث سـلمان، و عليه: فسـلمان كان يعلم بهذه الحادثه أيضاً، سـلمان الفارسى(۱) الذى تربّى على يـد رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله. و لا ـ اريـد أن أقول بـأنّ سـلمان كـان على علم بكلّ تفاصـيل الحادثه، إلّا أنّه كان على يقين بتلك الواقعه المريره على الحسين عليه السلام، و كان يعلم أنّ زهيراً أيضاً سيشارك فيها، و كان زهير أيضاً على يقين بأنّ المراد بالحديث كربلاء و شـهادته هناك. فهل ما زال الإمام يفكّر بتحقيق النصـر و القضاء على الحكومه الظاهريه ليزيد و تسلّم مقاليد الحكم؟ فسـلمان كـان يعلم بتلك الحادثه التى سـيحصل فيها زهير على الشـهاده دفاعاً عن إمام الإسـلام و المسـلمين، بينما ليس للحسـين عليه السـلام مثل هذا العلم و تفاصـيل الحركه مجهوله بالنسبه له، و ليس لديه ما يقوله سوى: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الامور».

۱- ذكر ابن الأثير فى الكامل ۴: ۴۲ أنّه سلمان الفارسى، و كذا المفيد فى الإرشاد ۲: ۷۳ و غيرهما.

۲- نقل ابن الأثیر فی الکامل حادثتین، و سنورد عباراته ثمّ نناقشها، فقد قال: «فلمّا أتی الحسین خبر قتل أخیه من الرضاعه- فی منزل زُباله- و مسلم بن عقیل- فی منزل الثعلبیه- أعلم الناس ذلک و قال: قد خذلنا شیعتنا، فمن أحبّ أن ینصرف فلینصرف لیس علیه منّا ذمام، فتفرّقوا یميناً و شمالًا حتّی بقی فی أصحابه الذین جاءوا معه من مکّه، و إنّما فعل ذلک لأنّه علم أنّ الأعراب ظنّوا أنّه یأتی بلداً قد استقامت له طاعهُ أهله فأراد أن یعلموا علامَ یقدمون. ثمّ سار حتّی نزل بطن العقبه، فلقیه رجل من العرب فقال له: أنشدک اللّه لما انصرفت، فو الله ما تقدم إلّا علی الأسنّه و حدّ السیوف، فإنّ هؤلاء الذین بعثوا إلیک لو کانوا کفوک مئونه القِتال وطّئوا لک الأشیاء فقدمت علیهم لکان ذلک رأیاً، فأمّا علی هذه الحال التی تذکر، فلا أری أن تفعل، فقال: إنّه لا یخفی علیّ ما ذکرت، و لکنّ اللّه- عزّ و جل- لا- یغلب علی أمره، ثمّ ارتحل منها»(۱). فالذی نخلص إلیه هو أنّ الإمام علیه السلام لم یشعر بأیّ تردّد حین أخبر بقتل رسوله مسلم بن عقیل و لم تضعف إرادته، ثمّ یواصل مسیرته رغم تصریحه بعدم وجود جیش لنصرته فی الکوفه و أنّ أشیاعه لم یفوا بعهودهم، فهل یفهم من کلامه علیه السلام:

«خذلنا شیعتنا» أنّ البعض قد تخلّی عن نصرتنا؟ أم قصده زال مرکز ثقلنا و لم نعد نمتلک القوّه الشعبیه الموالیه هناک؟ و ما إن سمع البعض مقاله الإمام حتّی تفرّقوا یميناً و شمالًا، فهل بقی من أمل بالنصر فلم تقطع الصله لحدّ الآن بین القیاده و الجیش؟

أ فلا یعنی رفع البیعه و التخییر بالبقاء و الانسحاب أنّ باب النصر قد أُغلق؟ فلِمَ واصل الإمام حرکته و لم یتردّد حتّی بلغ کربلاء! لِمَ رجع مَن التحق به فی الطریق ممّن یبحثون عن الطعام الدسم، بینما واکبه من انطلق معه من مکّه ممّن سمع خطبته

۱- الکامل لابن الأثیر ۴: ۴۳.

«خُطّ الموت ...»(۱) و قد أُحيطوا علماً بالحوادث و الوقائع التى لم تزيدهم سوى قوّه و صلابه؟ أ وَ لا يعنى انصراف ذلك النفر استحاله النصر و بقاء أولئك الأصحاب لعلمهم منذ البدايه بتلك الحادثه المروّعه؟ ثمّ أخذت الأخبار المحزنه تتقاطر عليهم، حتّى إذا بلغوا العقبه، انبرى لهم ذلك الرجل العربى البليغ الذى صوّر للإمام أوضاع الكوفه «أنشدك اللّه لما انصرفت فو الله ما تقدم إلّا على الأسنّه و حدّ السيوف ...» إلّا أنّ هذا الكلام المنطقى لم يكن له أدنى أثر على إراده الإمام حتى قال: «و لكن اللّه عزّ و جلّ لا ـ يغلب على أمره»، أى هناك وظيفه لا بدّ أن أقوم بها و ليس لى من إراده مقابل إراده اللّه، فهل ما زال الإمام عليه السلام لا يعلم عواقب الامور راجياً النصر و تشكيل الحكومه الإسلاميه فيواصل مسيرته، أم كان هناك شى ء آخر يدفع الحسين عليه السلام؟ لقد ردّ الإمام عليه السلام على ذلك الرجل: أنّه لا يخفى علينا ما ذكرت إلّا أن طريقنا لا يعرف الرجوع، و ليس لى سوى التسليم للحقّ، فاللّه لا ـ يغلب على أمره. فهنالك رساله مُلقاه على عاتقى و لا بدّ لى من النهوض بها، أولم يتحدّث الإمام عن مشيئه اللّه؟ أ فلم يكن عالماً بشهادته؟ الشهاده التى أرادها اللّه لحسين عليه السلام فتقبّلها بقبول حسن. نعم، لم يكن هناك من شى ء خافياً على الحسين عليه السلام، و لم يكن هناك من عامل يمكنه أن يثنى الإمام عن عزمه، حيث نراه يحثّ الخطى بعد ذلك الحوار ليواصل مسيرته و يقوم بوظيفته. ۳- أورد ابن الأثير فى الكامل قصّه الأفراد الأربعه الذين أتوا الإمام عليه السلام من الكوفه و التقوه فى «عذيب الهجانات» فقال بعد أن ذكر التفاصيل: «فقال لهم الحسين: أخبرونى خبر الناس خلفكم، فقال له مجمع بن عبد اللّه العائذى و هو

۱- يأتى فى ص ۲۳۲.

أحـدهم: أمّـا أشـراف النـاس فقـد أعظمت رشوتهم، و ملئت غرائره فهم ألْبٌ واحـد عليـك، و أمّـا سائر الناس فإنّ قلوبهم تهوی إليك و سـيوفهم غداً مشـهوره عليك، و سألهم عن رسوله قيس بن مُسـهر، فأخبروه بقتله و ما كان منه، فترقرقت عيناه بالدموع و لم يملك دمعته، ثمّ قرأ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضـی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(۱)، اللّهمّ اجعل لنا و لهم الجنّه، و اجمع بيننا و بينهم فی مستقرّ رحمتك و غائب مذخور ثوابك»(۲). فالذی نخلص إليه من هذا الحوار و استشهاد الإمام عليه السلام بالآيه، هو أنّ الإمـام أشـار إلی هـدفه فی إحقـاق الحقّ و إجـابه دعوه أهـل الكوفه، فقـد كـان أوّل سؤال سـأله أولئك الأفراد هو خبر أهل الكوفه و حالتهم الروحيه، هل هم متأهّبون لدخولنا؟ إلّا أنّ إجابتهم كانت مثبّطه، فقد وقفت الآلاف التی بعثت لك برسائلها إلی جانب العـدوّ، فالأشـراف قد أعظمت رشوتهم، أمّا الضُّعفاء فهُم متعطّشون لبسط العدل و القسط، و لكن ليس لديهم القدره علی اتّخاذ القرار فی المجتمعات الفاسده، فالضـعف المالیّ و الحرمان و ضعف الإراده تجعلهم خاضعين لإراده الدوله، فهم مع الإمام قلبـاً و ضـدّه سـيفاً، فـإذا قلنـا: ما زال الإمام حتّی فی ظلّ هـذه الظروف يأمل بتحقيق النصـر، لا نری أیّ منطق و عقل يوافقنا علی ذلك، مع ذلك لم تتزلزل إراده الإمام عليه السـلام و لم ينثنِ عن عزمه و مواصـله مسيرته. و من هنا يعلم بأنّ هناك هدفاً أسمی يسعی الإمـام إلی تحقيقه، فالإمـام عليه السـلام لم يقـترح علی الحرّ الريـاحی الرجـوع و الانصـراف، فی حين لم يكن الحرّ يعلم بهدف الإمام، و أولئك القادمون من الكوفه كانوا يظنّون أيضاً بأنّ الحسـين عليه السلام إنّما يروم السيطره علی الكوفه، و لذلك أشاروا عليه بالانصراف، بينما كان الإمام عالماً بما

۱- سوره الأحزاب: الآيه ۲۳.

۲- الكامل لابن الأثير ۴: ۴۹- ۵۰.

أخبره رسول اللّٰه صلى الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام و لذلک حین یخبر بشهاده قیس یتلو فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ. فمنشأ هذه الأسئله و تلاوه الآیه هو ما ذکرناه من غرض الإمام علیه السلام فی إسقاط حکومه الجور و الظلم و إعلام العالم بأنّنا نرید تطبیق القرآن و أحکام الإسلام، و لذلک عزمنا علی الإطاحه بهذه الزعامه الفاسقه، فإن قتلنا فذنبنا هو أنّنا نرید إعلاء کلمه اللّٰه. و إنّا لعالمون بأنّنا لا نتمکّن من تحقیق أهدافنا سوی بالقتال و الشهاده، فقد سأل أربعه أفراد من أهل الخبره- أجوبتهم تدلّ علی أنّهم من أهل الخبره- لیدلوا بشهادتهم علی عدم استعداد أهل الکوفه و جیشها لمواکبه مسیره الإمام فلا من عدد و لا عدّه، و بالنتیجه لتعلم الدنیا بأنّ الحسین علیه السلام لبّی دعوه الامّه، فی حین لم تصمد الامّه و تمارس وظیفتها و هو فقط الذی واصل مسیرته حتّی الشهاده، و ما زال هدفه لم یتحقّق إلّا بالشهاده التی أخبرها به جدّه و أبوه. إذن، فالدافع من السؤال عن أهل الکوفه إقرار خبراء الاجتماع بالأوضاع الاجتماعیّه التی یعیشها أولئک الناس و استماتتهم فی الدفاع عن حکومه یزید حتّی لا تصدر محکمه التأریخ أحکامها جزافاً، و تعلم بأنّ هنالک علّه لم تدع الإمام ینصرف عن مواصله حرکته، العلّه التی لا یعرفها الناس بینما یعلمها الإمام، و التی یکشف السؤال عن قیس و تلاوه الآیه سرّها فی عدم تسلیم الإمام و الانسحاب من المیدان و القتال حتی الشهاده، و ما إن یتلو الإمام الآیه حتّی یبتهل «اللهمّ اجعل لنا و لهم الجنّه». ۴- جاء فی الإرشاد للمفید: «روی سالم بن أبی حفصه قال: قال عمر بن سعد للحسین علیه السلام: یا أبا عبد اللّٰه إنّ قِبلنا ناساً سفهاء یزعمون أنّی أقتلک، فقال له الحسین علیه السلام: إنّهم لیسوا بسفهاء و لکنّهم حلماء، أما إنّه تقرّ عینی ألّا تأکل من برّ

العراق بعـدی إلّا قلیلًا»(۱). فـالقصّه مثیره حقّـاً، کیف أخبر هؤلاـء النـاس بقضـیه عمر بن سـعد؟ لِمَ طُرح ابن سـعد کقاتل للإمام الحسـین؟ کان سـلوک عمر یوحی بصـلاح ظاهره، فلم یکن آنذاک ما یشـیر إلی اقترافه هذه الجریمه البشعه، فکیف اتّفق الناس علی أنّه قاتل الحسین؟ فهل ذلک سوی ما قاله أمیر المؤمنین علیه السلام لأبیه سعد بن أبی وقّاص؟

و کـانت مقـاله علی درجه من الجزم بحیث کـان الجمیع ینـادیه بقاتل الحسـین حین یروه فی الأزِقّه و الأسواق، حقّاً لیس هناک شی ء آخر، فسیأتی الیوم الذی یرتکب فیه هذا الفرد- الذی لا یفارق زیفاً الجماعه- تلک الجریمه و یسوّد وجه التأریخ. أمّا عمر بن سعد فقد کان مطمئناً لنفسه بحیث یهزأ بکلّ مَن یتفوّه بذلک الکلام، و لا یراه إلّا سفیه خفیف العقل، حتّی ظنّ بأنّ اللغط قد کثر و أنّه لم یطق التحمّل فیحدّث الإمام علیه السلام بذلک الحدیث: «إنّ قِبلنا ناساً سُفهاء» کیف لی أن أکون قاتلًا؟ و لم أُقارف أیّ جرم لحدّ الآـن! فهل هـذا إلّا منطق السـفه و السـخف؟ أمّا الإمام علیه السـلام فردّ علیه قائلًا: «هؤلاء لیسوا سُـفهاء بل حلماء»، یعلمون قاتل إمامهم، و یرون تلطّخ یدک بدمی. هذا هو الحوار بین الإمام الحسین علیه السلام و عمر بن سعد منذ زمان بعید عن الطف، فالإمـام یصـدّق مـا قـالوه، و یفهم قـاتله بـأنّه عـالم بما ستئول إلیه الأحـداث، و لو کانت الامّه تعلم هـذه الامور علی نحو الإجمال فإنّ الحسـین علیه السـلام محیط بالتفاصـیل، فیخبره بما ینتظره. فالعراق مـذبحی و میـدان صولتک. و سـتقدم علی قتلی طمعاً بـدنیا الریّ إلّا أنّک لا تبلغ ما ترجو. إنّک لن تعمّر بعدی و سـتدخل النار بقتلی. و لک أن تری- عزیزی القارئ- ما أورده مؤلّف کتاب «شهید جاوید» و له

۱- الإرشاد ۲: ۱۳۲.

نفسه أن يراه، هذا الحوار بين الحسين و عمر بن سعد، فقد كان عليه السلام عالماً بتفاصيل واقعه كربلاء، فالامّه كانت تعلم بأنّ الحسين عليه السلام يقتل فى المعركه و قاتله عمر بن سعد، أمّا الحسين عليه السلام فقد كان يعلم دافع عمر بن سعد من قتله، كما كان يعلم بأنّ ابن سعد سوف لن يظفر ببغيته، فهل يمكن بعد هذا أن تزعم بأنّ الإمام لم يكن يعلم بتلك الحادثه؟ أو أنّه يعلم بشهادته و لكن ليس فى هذه النهضه؟ فكلّ هذه الأسرار عرضها الحسين لعمر بن سعد ثمّ قال بأنّه لم يكن يعلم، حتّى حين اقترب من كربلاء بحيث لو سُئل: أين نذهب، و ما ذا سيحصل، و أين سننزل و ما العاقبه؟

لأجاب: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الامور؟!» أو نقول: احتمل الأصحاب أخيراً حين وردوا كربلاء أنّ المعنىّ بقول أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المقتول من أهل البيت بكربلاء هو الحسين عليه السلام».

۵- خطبه «خُطّ الموت ...»

«خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاه، و ما أولهنى إلى اشتياق أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف، و خُيِّر لى مصرع أنا لاقيه، كأنّى بأوصالى تقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء، فيملأن منّى أكراشاً جوفاً و أجربه سغبا، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا اللَّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، و يوفّينا اجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول اللَّه لحمته، بل هى مجموعه له فى حظيره القدس، تقرّبهم عينه و ينجز بهم وعده، من كان باذلًا فينا مهجته و موطّناً على لقاء اللَّه نفسه، فليرحل معنا، فإنّى راحل مصبحاً إن شاء اللَّه»(۱). أ فلا تفيد هذه العباره «كأنّى بأوصالى ...» التى أوردها الإمام فى

۱- الملهوف لابن طاوس: ۱۲۶، مثير الأحزان: ۴۱، كشف الغمّه ۲: ۲۹، و عنها بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۶- ۳۶۷.

مکّه- حسب ما نقل فی اللهوف- علم الإمام بمصیره؟ و إضافه إلی ذلک، أ لا تکشف عن مکان مصرعه و شهادته؟ قد یُقال بأنّ الإمام إنّما أورد هذه الخطبه فی یوم عاشوراء حین أصبحت شهادته حتمیه، لا أنّه أوردها فی مکّه فنقول: لعلّ الإمام علیه السلام أورد خطبتین: أحدهما حسب نقل اللهوف فی مکه، و الاخری حسب مقتل الخوارزمی(۱) فی کربلاء، و لعلّ الاختلاف فی المضمون یؤیّد ما ذهبنا إلیه، و کما ترد نفس المضامین و الألفاظ مع قلیل من التغییر فی القرآن و نهج البلاغه؛ فإنّ هذا الأمر یفید مقصوداً آخر یختلف عن السابق، و لعلّ خطبه الإمام علیه السلام تکرّرت من أجل إفاده مقصد خاصّ، کما یمکننا القول بأنّ الخطبه واحده و قد أوردت فی مکّه، و هنالک عدّه امور للترجیح منها:- ۱) تصریح صاحب اللهوف بإیراد الخطبه فی مکّه، بینما لا یصرّح الخوارزمی بإیرادها فی عاشوراء، بل أوردها ضمن أحداث عاشوراء. ۲) ما المرجّح لنقل الخوارزمی علی نقل اللهوف، بحیث یمیل المؤلّف إلی صدورها فی عاشوراء؟ بل الترجیح للّهوف حیث نقل المحقّق الجلیل و الفقیه الکبیر و المحدّث الشامخ المرحوم الحاج المیرزا محمّد أرباب الإشراقی فی کتابه القیّم «الأربعین الحسینیه» أنّ هذه الخطبه قد رُویت عن عدد کثیر من عُلماء الإمامیه و منهم السید بن طاوس فی کتاب اللهوف و الشیخ جعفر بن محمّد المعروف بابن نما و الشیخ علی بن عیسی فی کتاب کشف الغمّه، و قد صرّح الجمیع بأنّ الإمام علیه السلام هذه الخطبه حین عزم علی الخروج من مکّه إلی العراق.

۱- « أیُّها الناس خطّ الموت علی بنی آدم کمخطّ القلاده علی جید الفتاه، و ما أولعنی بالشوق إلی أسلافی اشتیاق یعقوب إلی یوسف؛ و إنّ لی مصرعاً أنا لاقیه کأنّی أنظر إلی أوصالی تقطّعها وحوش الفلوات غبراً و عفراً، قد ملأت منّی أکراشها، رضا اللّه رضانا أهل البیت، نصبر علی بلائه لیوفّینا أجور الصابرین، لن تشذّ عن رسول اللّه لحمته و عترته، و لن تفارقه أعضاءه، و هی مجموعه له فی حظیره القدس تقرّ بها عینه، و تنجز له فیه عدته.(مقتل الحسین علیه السلام للخوارزمی ۲: ۸).

۳- یحکم الذوق السلیم و المعرفه بالفصاحه العربیه بأنّ عباره اللهوف أفصح و أقدم من عباره الخوارزمی، فإسنادها إلی الإمام أنسب، کما أنّ ابن طاوس صرّح بأنّ الخطبه قد وردت فی مکّه، و لا یسع المؤلّف إلّا أن یقول بأنّ العباره التی وردت فی اللهوف «فإنّی راحل مصبحاً» دلیل علی أنّ الخطبه أو البعض منها «مَن کان باذلًا مهجته»- التی وردت فی اللهوف و لم ترد فی الخوارزمی- لم ترد فی مکّه، و ذلک لأنّ حرکه الإمام علیه السلام کانت عند زوال یوم الترویه لا صباحاً، إضافه إلی أنّ الحرکه لم تقرّر قبل لیله، بل بحکم الجبر و الاضطرار فإنّ الإمام عزم علی الحرکه فجأه، و لم تکن هناک من وقفه بین العزم و الحرکه. و نقول فی الجواب: لیس هناک من منافاه بین الحرکه عند الزوال و کلمه «مصبحاً»؛ لأنّ هذه الکلمه کثیره الاستعمال بمعنی «غداً» و من أین یعلم أنّ الإمام علیه السلام لم یعزم علی الحرکه عند ما رأی نفسه مضطرّاً؟ بل کان الإمام مستعدّاً للإتیان بمناسک الحجّ و التوجّه إلی عرفه، و لم یکن هنالک أیّ قرار مسبق بالحرکه إلی العراق قبل زوال یوم الترویه، لقد نقلت أنت هذا الموضوع من إرشاد المفید و الطبری، و الحال أنّه: أوّلًا: فی قبال المفید قدس سره و الطبری هناک عدد کبیر من العلماء و الفضلاء- ممّن ذکرناهم سابقاً- صرّحوا بأنّ العزم علی الحرکه کان منذ اللیله التی سبقتها، و لیس هنالک ما یدعونا لاعتماد نقل المفید و إهمال نقل اللهوف و سائر المشاهیر. ثانیاً: ما یفیده الإرشاد و تأریخ الطبری أنّ حرکه الإمام کانت عند زوال یوم الترویه بعد الخروج من الإحرام، و لیس هنالک من تعرّض إلی وقت العزم علی الحرکه و زمان الخروج من مکّه، بل نقل الطبری عن أبی مخنف أنّ حسیناً لمّا أجمع المسیر إلی الکوفه أتاه عبد اللّه بن عباس فقال: یا ابن عمّ، أُشیع بین الناس أنّک ذاهب إلی العراق؟ فأجابه علیه السلام: لقد عزمت علی المسیر منذ الیوم أو یومین إن شاء

اللَّه. فتکلّم ابن عباس عن هذا الأمر و انصرف، ثمّ عاد إلیه عند اللیل أو الغد و أبدی له نصائحه بالانصراف عن هذا السفر(۱). أ وَ لا تصرّح هذه القصّه- التی نقلها الطبری عن أبی مخنف- بأنّ العزم علی الحرکه کان قبل یوم أو یومین؟ فلما ذا نقول: کانت الحرکه مفاجأه و قد دفعه الاضطرار إلی ذلک، حیث کان قصده الأساسی الإتیان بمناسک الحجّ، و علیه: یمکن الجمع بین إیراد الخطبه فی اللیل مع الحرکه صباحاً و العزم علیها، و هذا ما حصل فی الواقع، و ذلک لأنّه عزم علی الحرکه فی اللیل و أورد الخطبه. سؤال: إذا کان الإمام علیه السلام عازماً علی الحرکه قبل یوم أو یومین و کان یعلم أنّه لا یتوقّف فی مکّه حتّی إتمام مناسک الحجّ، فلِمَ أحرم للحجّ و اتّجه إلی عرفه؟ جوابه: أنّ عمل الإمام علیه السلام هذا یستند إلی مصلحه، و رغم أنّه قرّر الحرکه و کان یعلم بعدم أدائه لکافّه أعمال الحجّ، کان من الضروری أن یحرم للحجّ و ینضمّ إلی الجماعه الإسلامیّه فی تلک المراسم، ثمّ یبدّل إحرام الحجّ عمره لیعلم الناس أن لیس هنالک من حصانه له فی ظلّ هذه الحکومه الغاشمه، و لیس له أمن فی الحرم الآمن الذی تؤمن فیه الحیوانات، و هکذا یکشف الإمام علیه السلام عن بعض خطط هذه الحکومه و مؤامراتها و التی تهدف إلی إحیاء العهد الجاهلی، و لتعلم الأجیال الإسلامیه القادمه بسلب أمن الحرم من قبل هذه الحکومه، و أنّها لم تمهله حتّی لأداء مناسک الحجّ. أضف إلی ذلک أنّه لیس من المعلوم أنّ الإمام علیه السلام أحرم للحجّ،

۱- تاریخ الطبری ۴: ۲۸۷.

بل یستفاد من روایاتنا و کذلک تأریخ الطبری(۱) أنّه أحرم للعمره، و لم یکن قد عزم علی الحجّ منذ البدایه. أجل، فإنّ هذا الکلام یفید عدم التردید فی خطبه «خطّ الموت ...» حسب نقل اللهوف.

المؤلّف و الإقرار بالعلم:

نفترض- مماشاه للمؤلّف- أنّ هناک تقطیعاً فی الخطبه و أنّ الإمام علیه السلام لم یورد «من کان باذلًا فینا مهجته» فی مکّه، إلّا أنّه یتّفق معنا فی أنّ هذه العباره «و کأنّی بأوصالی ...» قد أوردها فی مکّه، و هنا نسأل المؤلّف: أو لا تدلّ هذه العباره علی شهاده الإمام فی هذه الحرکه؟ أو لا تکشف أیضاً عن موضع الشهاده؟ هل هناک

---

۱ – ۱- جاء فی کتاب وسائل الشیعه ج ۱۴ ص ۳۱۰ عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن محمّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عیسی، عن إبراهیم بن عمر الیمانی، عن أبی عبد اللّه علیه السلام أنّه سُئل عن رجل خرج فی أشهر الحجّ معتمراً ثمّ خرج إلی بلاده، قال: لا بأس، و إن حجّ من عامه ذلک و أفرد الحجّ فلیس علیه دم، و إنّ الحسین بن علیّ علیهما السلام خرج یوم الترویه إلی العراق و کان معتمراً. ۲- و عنه، عن أبیه، عن إسماعیل بن مرار، عن یونس، عن معاویه بن عمّار، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السلام: من أین افترق المتمتّع و المعتمر؟ فقال: إنّ المتمتّع مرتبط بالحجّ، و المعتمر إذا فرغ منها ذهب حیث شاء و قد اعتمر الحسین علیه السلام فی ذی الحجّه ثمّ راح یوم الترویه إلی العراق و الناس یروحون إلی منی، و لا بأس بالعمره فی ذی الحجّه لمن لا یرید الحجّ. ۳- فی تاریخ الطبری ۴: ۲۸۹ أنّه و روی أبو مخنف أنّ الحسین علیه السلام طاف عند الظهر بالبیت و بین الصفا و المروه و قصّ من شعره و حلّ من عمرته، ثمّ توجّه نحو الکوفه. نعم، یشمّ من عباره المفید فی الإرشاد ۲: ۶۷، أنّ الحسین علیه السلام أحرم للحجّ ثمّ أبدلها للعمره، و لکن لا اعتبار لهذه الروایه أمام الروایات المذکوره، فإحرام الإمام علیه السلام کان للعمره و لم یبدأ بمناسک الحجّ، و قد حصل مراد الإمام علیه السلام، لأنّ عدم الاشتراک فی مراسم الحجّ لمن أقام أشهراً فی مکّه و لا تستغرق المناسک سوی بضعه أیّام یفید إبرازه لموقفه حیال الجهاز الحاکم و فضح سیاسه یزید القائمه علی أساس انتهاک الحرمات و سلب الحرم الإلهی أمنه، فأفهم علیه السلام الامّه أنّ یزید و بدلًا من إحیاء شعائر اللّه و تعظیمها یهدف ترویع ابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی مرکز التوحید لا لذنبٍ سوی اتّباعه للحقّ و القرآن.

من معنی لأن یقول الإمام فی عاشوراء: «کأنّی بأوصالی تقطّعها عسلان الفلوات بین النواویس و کربلاء؟!» أو لیست العباره تکهّن و نبوءه عن أمر خفیّ سیحدث قریباً بین النواویس و کربلاء؟ و هنا نسأل: أو لا تدلّ هذه العباره علی علم الإمام علیه السلام؟ لو کانت هذه الحادثه ستقع بعد عشر سنوات فهل یصحّ من الإمام أن یطلق الآن فی حرکته عباره «کأنّی بأوصالی ...»؟ بل هل یعقل إطلاق مثل هذه العباره فی هذا الوقت؟ إذا کان الأمر کذلک فإنّ لسان حال الإمام هو أنّی سأتّجه إلی الکوفه من أجل الإطاحه بحکومه یزید، و لا أدری هل سأحقّق هذا الهدف أم لا؟، إلّا أنّی أرجو النصر، أیّها الناس- الذین تهبّون لنصرتی- اعلموا بأنّی سأُقتل بعد عشر سنوات فی کربلاء. نحن لا یسعنا أن نتأمّل خطبه الإمام علیه السلام بهذا الشکل، فکیف تقیّم أنت الخطبه؟ علی کلّ حال؛ فإنّ خطبه «خُطّ الموت ...» قد أوردت فی مکّه، و قد صرّحت بذلک روایه اللهوف الموثوقه، و أنّ الإمام قد قال فی مکّه: «و کأنّی بأوصالی ...» التی تفید علم الإمام التامّ بحادثه کربلاء، و السلام علی من اتّبع الهدی. ۶- قال المُفید فی الإرشاد: «روی سفیان بن عیینه، عن علیّ بن یزید، عن علیّ بن الحسین علیهما السلام قال: خرجنا مع الحسین علیه السلام فما نزل منزلًا و لا ارتحل منه إلّا ذکر یحیی بن زکریا و قتله، و قال یوماً: و من هوان الدنیا علی اللّه أنّ رأس یحیی بن زکریا أُهدی إلی بغیّ من بغایا بنی إسرائیل»(۱). فالروایه تکشف عن حراره مستعره داخل الإمام قد ملأت قلبه الشریف حزناً و ألماً حین یصوّر قتل یحیی، کما ألّمت هذه الکلمات قلب ولده علی بن

۱- الإرشاد للمفید ۲: ۱۳۲.

الحسین. کان الإمام عالماً بمصیره ناعیاً نفسه فی هذه الحرکه، و لکن کیف له بالتصریح علناً و علی بن الحسین و زینب الکبری یسمعان ما یقول؟ و ما عساه أن یفعل و الحادثه وشیکه الوقوع. فالإمام علیه السلام یری میدان کربلاء و قد أحاط به جیش عبید اللّه بن زیاد و هم متعطّشون للارتواء من دمه الطاهر، کما یری سهام الغدر التی ستصوّب إلی نحر ولده الرضیع و سائر الفتیه الذین یضرّجون عمّا قریب بدمائهم، بل یری حوافر الخیل التی ترضّ صدره ثمّ یحزّ رأسه و یُهدی من العراق إلی الشام إلی باغٍ من بُغاه بنی امیه. لیت شعری ما ذا عسی الإمام أن یفعل، فإن أماط اللثام و صوّر الأحداث تعالت الأصوات بالنحیب و البُکاء الذی یرقّ له قلبه، و إن فضّل السکوت فلا مناص من حرکه تلک القافله التی ستُواجه تلک الأحداث المروّعه دون أن تکون قد تصوّرتها و تأهّبت لها، و لم یکن من اسلوب یمکن اتّباعه بهذا الشأن سوی ذلک الذی اعتمده الإمام، فلم یکن أن تسیر القافله غافله عمّا سیواجهها، لا بدّ من لفت انتباه القافله لتلک الأحداث لیستعدّ البعض للقتال الذی تطیح دونه الرءوس، کما تتأهّب النساء للسبی و الأسر. فکیف یبدأ و ما ذا یقول؟ لیس هنالک أفضل من التذکیر بحادثه النبیّ یحیی التی من شأنها علاج هذه المشکله. نعم، بإمکان حادثه یحیی علیه السلام أن تکون الفصل الأوّل من قصّه حادثه الطفّ، و هل نذکر تلک الحادثه جمله واحده و نلفت النظر إلی تکرار حوادث التأریخ؟ کلّا.

فالقول مرّه واحده قد لا یؤتی أُکله و لا بدّ أن أثیر تلک الحادثه فی عدّه منازل، لیعلم الرکب و یستعدّ لتلقّی الأخبار المؤلمه التی سمعتها من رسول اللّه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام فقد آن أوانها. و هنا نتساءل لما ذا لا یتحدّث هذا الزعیم الذی ینهض بمسئولیه إمره الجیش

و قیادته من أجل تحقیق النصر، عن معارک الإسلام و الانتصارات الباهره التی حقّقها جدّه و أبوه فی تلک المعارک، لم لا یتحدّث عن معرکه الجمل؟ لو کان یأمل بالنصر لکان من المناسب الحدیث عن تلک المعارک لا عن حادثه یحیی! الإمام علیه السلام یمثّل قمّه الأدب و البلاغه، و علیه أن یتکلّم بما ینسجم و مقتضی الحال، لو کان هناک من أمل بالغلبه و النصر؛ فإنّ مقتضی الحال یتطلّب من الإمام التحدّث عن قضیه أبناء الطلقاء عند فتح مکّه و کسر شوکه أبی سفیان، لیشتدّ عزم الأصحاب فی خوض المعرکه، فیزید ابن ذلک المدحور المهزوم فی معارک الإسلام. إذن، فإثاره الإمام لحادثه یحیی تفید شیئاً آخر یجعل الحسین علیه السلام یحثّ الخُطی لاستقباله. نعم، هذه هی الطریقه التی تجعل سید الشهداء علیه السلام یحطّم حاجز الصمت و یخرج من تلک الحیره العظیمه، و لذلک یتکلّم خلال المسیره عن الموت و الشهاده إلی صحبه، ثمّ أخذ الإمام یخوض فی التفاصیل أکثر فأکثر کلّما اقترب من أرض کربلاء. فقد نقل مثلًا رؤیاه إلی ولده علیّ بن الحسین و هو یسترجع کثیراً، ثمّ أخبره بأنّه سمع منادیاً ینادی «القوم یسیرون و المنایا تسری إلیهم»(۱). و نری أنّ الإمام إنّما یهدف من هذه الکلمات إلی إعداد صحبه و لا سیّما أهل بیته إلی ما سیواجههم من حوادث، و لذلک یردّ علیه «لا نبالی نموت محقّین»(۲).

نعم، کان الإمام علیه السلام یعلن عن هذه الأحداث رغم أنّ المسافه کانت بعیده نسبیاً عن یوم عاشوراء و أرض کربلاء. علی کلّ حال أدرک الجمیع أنّه آن الأوان لتلک الروایات و الأحادیث و الأخبار التی صرّح بها النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام. ثمّ تحدّث الإمام عن الموت أیضاً حین التقی الحرّ بن یزید- طبق نقل الطبری

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۸.

۲- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۸.

فی ذی حُسم و عـذیب الهجانـات بعـد وصـول رسـاله عبیـد اللّه إلی الحر(۱). و تأکیـده علی التضـییق علی الحسـین حسـب نقل اللهوف. فقال: «فإنّی لا أری الموت إلّا سـعاده، و الحیاه مع الظالمین إلّا برما»(۲). نعم کان محور الکلام هو الموت، فقد قال فی مکّه: «کأنّی بأوصالی تقطّعها عسـلان الفلوات» و یتکلّم خلال مسـیرته عن شـهاده یحیی بن زکریا، و یمرّ بقصر بنی مقاتل فیخبر ولده علیّاً برؤیاه و حدیثه عن الشـهاده. و یواصل حدیثه عن الشـهاده فی عذیب الهجانات وذی حُسم. فلمّا دخل کربلاء أخبرهم عن مصارعهم و قال: «هاهنا و اللّه محطّ رحالنا و مسفک دمائنا»(۳). ولیت شعری لما ذا یصرّ البعض علی أنّ ابن الأعثم الکاذب هو الذی نسـبها إلی الحسین علیه السلام. و علی فرض کذب ابن الأعثم، فإن نسب إلی الإمام عباره تؤیّدها جمیع القرائن القطعیه و الشواهـد، فهـل نصّ علی أنّ الإمـام لم یقلهـا حتّی و لو کـانت قریبه من حادثه عاشوراء التی زعمتم بأنّ شـهادته أصـبحت فیها حتمیه!. أیّها المؤلّف العزیز ناشدتک اللّه أن تعید النظر فی ما أوردت و لا تفرّط بالحسین علیه السلام، فلیس لنا من عزّه و عظمه سوی فی الحسـین علیه السـلام، لیس لنـا من سبیـل لإیقـاظ الاـمّه سوی الحسـین علیه السـلام، کما لیست لنا من مجالس یمکنها النهوض بأهداف الإسـلام سوی مجالس الحسـین علیه السـلام. فالعنصر المقتدر الذی من شأنه حشد الطاقات و صهرها فی بوتقه واحـده و هو أبو الأـحرار سـید الشـهداء علیه السـلام. لیس هناک من ملاذ لما نواجه من مخاطر و صـعاب فی حرکتنا الإسـلامیه سوی مصائب الحسین علیهما السلام، بل

۱- تاریخ الطبری: ۴/ ۳۰۵.

۲- الملهوف لابن طاوس: ۱۳۸.

۳- نفس المصدر: ۱۳۹.

لیس لنا من سبیل إلی النصر و دحر العدوّ سوی الحسین علیه السلام، و کلّ من تخلّف عن الحسین علیه السلام فلن یشمّ رائحه النصر «مَن لم یلحق بی لم یدرک الفتح و السلام»(۱) فالشعار الحسینی حیّ فی جمیع الضمائر و لا یقتصر علی بنی هاشم و مَن خوطب فی زمانه، فالحسین علیه السلام مظهر الحرّیه و رفض الظلم و الجور، الحسین علیه السلام ثوره مفعمه بالدم تجری من عیون عشّاقه و موالیه. ثالثاً: الأحادیث التی وصلتنا عن أهل بیت الرساله علیه السلام بشأن نهضه الحسین و علمه بشهادته، نکتفی بذکر طائفه منها:

الحدیث الأوّل:

الحدیث الذی نقله الشیخ محمّد بن یعقوب الکلینی فی کتابه الکافی، المعتبر السند المؤیّد من قِبل العلّامه المرحوم المجلسی فی کتابه «مرآه العقول»(۲) و هذا نصّه: محمّد بن یحیی، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ضریس الکناسی قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول- و عنده اناس من أصحابه-:

«عجبت من قوم یتولّونا، و یجعلونا أئمّه و یصفون أنّ طاعتنا مفترضه علیهم کطاعه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، ثمّ یکسرون حجّتهم و یخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فینقصونا حقّنا و یعیبون ذلک علی من أعطاه اللّه برهان حقّ معرفتنا و التسلیم لأمرنا؛ أ ترون أنّ اللّه تبارک و تعالی افترض طاعه أولیائه علی عباده ثمّ یخفی عنهم أخبار السماوات و الأرض، و یقطع عنهم موادّ العلم فیما یرد علیهم ممّا فیه قوام دینهم؟! فقال له حمران: جعلت فداک أ رأیت ما کان من أمر قیام علی بن أبی طالب

۱- یأتی فی ص ۲۴۷.

۲- مرآه العقول ۳: ۱۳۱ ح ۴.

و الحسن و الحسین علیهم السلام و خروجهم و قیامهم بدین اللَّه عزّ ذکره، و ما اصیبوا من قتل الطواغیت إیّاهم و الظفر بهم حتّی قتلوا و غلبوا؟ فقال أبو جعفر علیه السلام: یا حمران إنّ اللَّه تبارک و تعالی قد کان قدّر ذلک علیهم و قضاه و أمضاه و حتمه علی سبیل الاختیار(۱) ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إلیهم من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قام علی و الحسن و الحسین علیهم السلام و بعلم صمت من صمت منّا، و لو أنّهم یا حمران حیث نزل بهم ما نزل من أمر اللَّه- عزّ و جل- و إظهار الطواغیت علیهم سألوا اللَّه- عزّ و جل- أن یدفع عنهم ذلک، و ألحّوا علیه فی طلب إزاله ملک الطواغیت و ذهاب ملکهم، إذن لأجابهم و دفع ذلک عنهم، ثمّ کان انقضاء مدّه الطواغیت و ذهاب ملکهم أسرع من سلک منظوم انقطع فتبدّد، و ما کان ذلک الذی أصابهم یا حمران لذنب اقترفوه، و لا لعقوبه معصیه خالفوا اللَّه فیها، و لکن لمنازل و کرامه من اللَّه أراد أن یبلغوها، فلا تذهبنّ بک المذاهب فیهم»(۲).

مناقشه الحدیث:

لا یسع المقام الخوض فی تفاصیل هذا الحدیث المعتبر الوارد عن الإمام الباقر علیه السلام، و سنقتصر علی الإشاره إلی بعض النقاط المهمه: ۱- تعتبر ولایه الأئمّه الأطهار علیهم السلام من القضایا المسلّمه لدی شیعه أهل البیت علیهم السلام و أنصارهم. ۲- تجب طاعه الأئمّه علی المسلمین کوجوب طاعتهم لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فطاعتهم و طاعته من سنخ واحد. ۳- لا تجب طاعتهم لکونهم قرابه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، بل کونهم زُعماء یتحلّون

۱- فی نسخه اخری:« الاختبار».

۲- الکافی ۱: ۲۶۱- ۲۶۲ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام یعلمون علم ما کان ... ح ۴.

بكافّه الصفات و الشرائط اللازمه لإمامه الامّه، و فى مقدّمه هذه الشرائط العلم و الإحاطه التامّه بكافّه الموضوعات و الحوادث و الوقائع ذات الصله بحياه الامّه الإسلاميه و سبل سعادتها و فلاحها. و من هنا يتبيّن أنّ هؤلاء الزعماء- المتمثّلين بالأئمّه الأطهار عليهم السلام- لا بدّ أن يكونوا عالمين بجميع خفايا الحوادث و الامور المتعلّقه بمصير الإسلام و المسلمين، و اللَّه سبحانه هو الذى يفيض عليهم- برحمته- هذه العلوم. ۴- لم تكن نهضه أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليهم السلام نهضه قائمه على أساس الجبر و الاضطرار، و لم يخوضوا المعارك مرغمين، بل كلّ ذلك يجرى وفق خطّه مدروسه معلومه سلفاً، و قد قلّدهم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله هذه المسئوليه، إلى جانب اطّلاعهم على التفاصيل. و عليه: فالقيام وظيفه لبعضهم، قد حمّلهم إيّاها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله عن البارئ سبحانه و تعالى، و ذلك لأنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى(۱) فمن قام من الأئمّه عليهم السلام كان عالماً بعواقب الأمر غير متفاجئ بها، و قد كلّف بهذه الوظيفه رغم علمه بما ستجرّه عليه من مصائب و ويلات، و لم يتحمّلوا هذه الحوادث المريره إكراهاً، بل كانوا مُختارين فى أصل نهضتهم و تحمّل تبعاتها، و هم يرون الشهاده كمالًا لهم تجعلهم يقتفون أثر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى السموّ و التكامل و بلوغ ذروه الإنسانيه. و الآن نطرح هذا السؤال: أ و ليس الإمام الحسين عليه السلام هو أحد هؤلاء الزعماء؟

فقد عدّه الحديث السابق فى مصافّ أمير المؤمنين و سائر الأئمّه عليهم السلام، أولم تكن كربلاء من الحوادث المرتبطه بمصير الإسلام و المسلمين؟ إذن، فبنصّ الحديث لا بدّ أن يكون الإمام عالماً بكافّه تفاصيل حادثه كربلاء، و بنصّ الحديث فإنّ قيام الإمام يستند إلى علم سابق، ذكره رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و كلّف به الإمام عليه السلام. و هذا غير ما

۱- سوره النجم: الآيتان ۳- ۴.

ذکرنا من أنّ الإمام یقتصر فی علمه بالشهاده علی ما أخبره به رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله. و بناءً علی هذا فلو ناقشنا الرؤیا التی نقلت عن ابن الأعثم(۱)، فإنّ مضمون هذا الحدیث إزاء وظیفه الإمام هو نفس المضمون «یا حسین اخرج إلی العراق» مع الفارق فی الإجمال و التفصیل، بل یمکن القول بأنّ قیام الإمام علیه السلام کان بوحی من اللّٰه بفعل إخبار النبی صلی الله علیه و آله، کما فهمنا من الحدیث أنّ قیام الحسین علیه السلام لم یکن اضطراراً بل جری وفق خطّه مدروسه و علم سابق، کما فهمنا أنّ سکوت بعض الأئمّه علیهم السلام کان یستند لهذه الرساله و الوظیفه. فمن اعتقد بغیر هذا لا یسعه أن یعقل مضمون الحدیث بلزوم طاعه أئمّه الدین، و هذا ما تطرّقنا إلیه سابقاً، فکیف نعتقد بأنّ الإمام مفترض الطاعه فی حین نعترف بخطئه فی التشخیص أو وقوع الحوادث علی عکس ما کان یتصوّر؟ کیف یجب اتّباع الإمام علی مثل عبید اللّٰه الحر الجعفی بینما کان یعتقد بأنّ مسلم کان ینتظر هزیمه منکره. نعم الإمام علیه السلام لا یخطأ فی تشخیصه أبداً و هو عالم بکلّ خفایا الأحداث.

الحدیث الثانی:

و هو الحدیث الذی نقله الشیخ جعفر بن محمّد بن قولویه المتوفّی عام ۳۶۸ ه. ق- استاذ الشیخ المفید رضی الله عنه- فی کتابه «کامل الزیارات»، و الکتاب المذکور أحد کتب الإمامیّه المهمّه الذی یحظی باعتماد علماء الحدیث و المتخصّصین بعلم

۱- لا یخفی أنّ المحور الأصلی هو بحث أسس و مبانی کتاب« شهید جاوید» و لذلک لم نبحث الامور الجزئیه من قَبیل هل أنّ ابن الأعثم موثوق فی نقله أم لا، و لذلک فإنّ فرض المناقشه فی نقل رؤیاه لا یعنی أنّنا نؤیّد المناقشه، بل أنّ هذا الفرض لیس بدلیل علی الانسجام مع الکتاب؛ لأنّه خارج عن الحدود الأصلیه فی الکتاب المذکور.

الروايه، و هو يصرّح فى مقدّمه الكتاب بأنّه لا يورد إلّا الموثوق من الأفراد، و لذلک استدلّ كبار فقهاؤنا بهذه الروايات. و إليک نصّ الحديث: قال: حدّثنى أبى رحمه الله و محمّد بن الحسين، عن سعد بن عبد اللّه، عن أحمد بن محمّد، عن على بن الحكم، عن أبيه، عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السلام قال: «إنّ الحسين عليه السلام خرج من مكّه قبل الترويه بيوم، فشيّعه عبد اللّه بن الزبير فقال: يا أبا عبد اللّه لقد حضر الحج و تدعه و تأتى العراق، فقال: يا ابن الزبير لأن ادفن بشاطئ الفرات أحبّ إلىّ من أن ادفن بفناء الكعبه»(۱).

وقفه مع الحديث:

لقد شعر عبد اللّه بن الزبير بالذهول و الدهشه من حركه الإمام إبّان الحجّ فسأله: هذه مناسک الحجّ التى حضرها المسلمون من أكناف الدنيا و أطرافها، فما الذى حدث ليترک الإمام- و هو الأعرف أكثر من غيره بمنزله الحجّ و عظمه تلک المواقف- الحجاز و يتحرّک صوب العراق؟! و لا سيّما أنّ الإمام عليه السلام قد توقّف قبل عدّه شهور فى مكّه و لا تستغرق مناسک الحجّ وقتاً طويلًا. طبعاً، عبد اللّه بن الزبير يعلم أفضل من غيره أنّ الإمام لا يتخلّى عبثاً عن ذلک الأمر، و لا بدّ أن يكون هنالک دافع أشدّ قوّه جعله يحثّ الخطى لإدراک ما خفى كنهه، و لعلّه أعتقد بل جزم أن ليس هنالک ما يدعو لحركه الإمام سوى الشعور بالخطر المحدق به، إلّا أنّه كان يرغب بسماع القضيه من الإمام و هل أنّ الخطر واقع عن قريب لا محاله؟ و أنّ الإمام يمكن أن يتعرّض إلى الاغتيال فى جوف الكعبه؟

لقد شعر الإمام بما يجول فى فكر ابن الزبير فأجابه على الفور: أنّ مصرعى فى كربلاء «شاطئ الفرات» لا حرم الكعبه الأمن.

۱- كامل الزيارات: ۱۵۱ ح ۱۸۴، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۶ ح ۱۸.

سؤال: لعلّ هنـاک من يسـأل: من أين فهمتم أنّ الحـديث يتضـمّن الإخبـار بشـهاده الإمـام فى كربلاـء؟ فلم يقل الإمام سوى أنّه سيستشـهد و أنّ الشـهاده فى كربلاء أحبّ إليه من اللجوء إلى الكعبه؟ فهل هناک من منافاه بين هـذا الأمر و عـدم حدوث واقعه كربلاـء أو وقوعهـا بعـد سـنوات؟ الجواب: لقـد لفت الإمام انتباه ابن الزبير فى جوابه إلى وقوع حادثه، و كأنّه أراد أن يقول عليه السـلام: هنـاک حـادثه لاـ مفرّ منهـا، و لاـ أرغب أن تقع هـذه الحـادثه فى بيت اللّه، بل سأتّجه لمواجهتها هناک. سؤال آخر: لم يتّضـح ممّـا قلت سوى أنّ هنـاک حـادثه لاـ مفرّ منهـا، إلّـا أنّ إمكـان وقوعها فى مكّه لم يزل، و هـذا ما يفهم تلويحاً من جواب الإمام، و لنا أن نسأل هنا:

هـل الإمـام عليه السـلام موقن من قتله فى كربلاـء رغم احتمـاليه وقوع الحـادثه فى مكّه؟ الجواب: لاـ يريـد الإمام أن يقول: إنّى أحتمل أن تقع هـذه الحادثه فى مكّه، بل أراد أن يفهم ابن الزبير بأنّ جلاوزه يزيد يترصّدونه و هم عازمون على قتله، و هو ليس بغافل عن دسائسهم، و لذلک فهو يختار كربلاء من أجل الفوز بالشهاده و إحباط مخطّطاتهم، و إلّا لو كان الإمام يحتمل وقوعها فى مكّه أو مئات المناطق الاخرى، لم ينتخب شاطئ الفرات من بين جميع هـذه الاحتمالات، أضف إلى ذلک أنّه قـد أعلن بأنّى أحبّ أن ادفن فى الفرات رغم بعـده مئـات الأميـال، و مـا ذا يعنى بإخباره عن هـذا المكان غير المتوقّع؟ إذن، فـذكر اسم شاطئ الفرات و الرغبه الشديـده للاستشـهاد فيه لاـ يفيـد إلّـا وقوع حادثه مأساويه حتميّه هناک، ثمّ تصـبح تلک المنطقه موضع مرقـده الشريف.

الحديث الثالث:

الحديث الذى نقله الشيخ الثقه جعفر بن محمّد بن قولويه أيضاً فى كتاب

«کامل الزیارات»، و قد ذکرنا سابقاً أنّ أحادیث هذا الکتاب معتبره و موثوقه لا یمکن الطعن فی سندها. قال: حدّثنی أبی رحمه الله و جماعه مشایخی عن سعد بن عبد اللّه، عن علی بن إسماعیل بن عیسی و محمّد بن الحسین بن أبی الخطاب عن محمّد بن عمرو بن سعید الزیّات، عن عبد اللّه بن بکیر، عن زراره، عن أبی جعفر علیه السلام قال: «کتب الحسین بن علی من مکّه إلی محمّد بن علی: بسم اللَّه الرحمن الرحیم من الحسین بن علی إلی محمّد بن علی و مَن قِبله من بنی هاشم، أمّا بعد فإنّ من لحق بی استشهد، و من لم یلحق بی لم یدرک الفتح و السلام»(۱). و قد نقل صاحب کتاب «بصائر الدرجات» عن الإمام الصادق علیه السلام نظیر هذه الروایه، حدّثنا أیّوب بن نوح، عن صفوان بن یحیی، عن مروان بن إسماعیل، عن حمزه بن حمران، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: ذکرنا خروج الحسین و تخلف ابن الحنفیه عنه، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السلام: «یا حمزه إنّی سأُحدّثک فی هذا بحدیث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا: إنّ الحسین لمّا فصل متوجّهاً دعا بقرطاس و کتب: بسم اللَّه الرحمن الرحیم من الحسین بن علی بن أبی طالب إلی بنی هاشم، أمّا بعد فإنّه من لحق بی منکم استشهد معی، و من تخلّف لم یبلغ الفتح و السلام»(۲).

ما ینبغی الالتفات إلیه فی الحدیثین:

۱- ما ذا یفهم من کلمه «استشهد»؟ ۲- الرساله إلی محمّد بن الحنفیه و سائر بنی هاشم هل تتضمّن الإخبار

۱- کامل الزیارات: ۱۵۷ ح ۱۹۵، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۷ ح ۲۳.

۲- بصائر الدرجات: ۵۰۲، و عنه إثبات الهداه ۲: ۵۷۷ ح ۱۸ و عن کامل الزیارات و الملهوف: ۲۸ و مختصر بصائر الدرجات: ۴۲ ح ۲۵، و فی بحار الأنوار ۴۲: ۸۱ ح ۱۲ عنه و عن مناقب آل أبی طالب علیهم السلام لابن شهرآشوب ۴: ۷۶.

باستشـهاد کلّ من یقف فی صفّ المجاهـدین، أم شـهاده من یلتحق فیما بعد بالإمام من بنی هاشم؟ ۳- کیف یمکن الجمع بین هـذه الرساله و عـدم قتل طائفه من بنی هاشم؟ ۱) کلمه «استشـهد»: کلمه «استشـهد» بصیغه المجهول، و إن کانت بصیغه المعلوم فهی تعنی طلب الشـهاده، و قـد وردت بـالمعنی الأـخیر فی آیـتین من القرآن، الاـولی فی سوره البقره وَ اسْتَشْـهِدُوا شَـهِیدَیْنِ مِنْ رِجالِکُمْ(۱). و الاـخری فی سوره النساء فَاسْتَشْـهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَهً مِنْکُمْ(۲). و إن جاءت بصـیغه المجهول بمعنی القتل و الشهاده فی سبیل اللَّه. و فی المنجد استشـهد: «قتل فی سبیل اللَّه»(۳) و لعلّ مناسبه اللفظ لهذا المعنی الوارد فی الآیات القرآنیه «قَتیل فی سبیـل اللَّه» هو الشـهود و درک المحضـر الربوبی للحقّ جـلّ جلاله، و الشـهید لا یموت أبـداً، بل یحیا فی شـهادته یفیض حیاه و حیویه. و لا یبعد القول بأنّ الشهداء لا برزخ لهم، بل تبدأ آخر مراحل حیاتهم الملکوتیّه بمجرّد موت الجسد. و هذه هی الحقیقه التی ظهرت فی میدان کربلاء، فهذا علی الأکبر ینادی أباه الحسـین فی لحظه الوداع قائلًا: «هذا جدّی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله قد سقانی بکأسه الأوفی»(۴). و علی کلّ حال کلمه «استشـهد» فی عباره الإمام علیه السلام ظاهره بمعنی القتل فی سبیل اللَّه، و صـرف المعنی عن هذا الظهور- دون مسوّغ- إنّما یتعارض و العرف السائد فی المکالمات و المحاورات المتداوله فی الأزقّه و الأسواق، و فی حاله الشکّ فی

۱- سوره البقره: الآیه ۲۸۲.

۲- سوره النساء، الآیه: ۱۵.

۳- المنجد فی اللغه: ۴۰۶.

۴- بحار الأنوار ۴۵: ۴۴.

أنّ المراد المعنى الحقيقى للشهاده أم المعنى المجازى بمعنى التعرّض للشهاده؟ فيوجد أصل مسلّم يسمّى أصاله الحقيقه حيث يعيّن و يشخّص المعنى الحقيقى، ناهيك عن عدم صحه صرف الكلمه إلى المعنى المجازى دون وجود علاقه، و العلاقه التى يمكن تصوّرها هنا هى علاقه المشارفه، و علاقه المشارفه تكون فى الموارد التى يكون تحقّقها شيئاً قطعياً تقريباً. و لا تطلق علاقه المشارفه على الأشياء التى يكون وقوعها على نحو الاحتمال. و عليه فليس هنالك من دليل على صحّه استعمال «استشهد» بمعنى التعرّض للشهاده و احتمالها.

دليل آخر:

لو كانت «استشهد» بمعنى احتمال الشهاده لكانت عباره الإمام توضيحاً للواضح؛ لأنّ احتمال الشهاده قائم بالنسبه لكلّ فرد يقوم ضدّ الحكومه الظالمه و الحاكم الغاشم، و يهدف إلى الإطاحه بالحكومه و إنشاء الحكومه الإسلاميه، و لأنّ مثل هذا القيام إنّما يصحبه صِدام عسكرى يؤدّى إلى حاله القتل و الاقتتال. إذن، فلو كانت «استشهد» بمعنى إمكانيه الشهاده، فهذا المعنى ليس بخافٍ على محمّد بن الحنفيه و بنى هاشم و لا يحتاج إلى تذكير الإمام، و عليه: فليس أمامنا من سبيل سوى القول بأنّ «استشهد» إنّما تعنى الشهاده الحتميه، و الإخبار الذى صدر عن الإمام عليه السلام كان إخباراً عن أمر مخفى و مصير مجهول. ۲- ما ذا نفهم من العباره «مَن لحق بى استشهد». هل المراد أن كلّ من يلحق بنا يُقتل؟ أم أنّ العباره إخبار بشهاده قوم على الخصوص؟ لا يمكننا أن نقبل الاحتمال الأوّل، و ذلك للأسباب التاليه: ۱- لو كان الأمر كذلك فلو افترضنا التحاق جميع أهل المدينه و مكّه و الكوفه

و البصره و سائر المدن بقافله الإمام، فإنّهم سيُقتلون، و الحال لا يمكن تصوّر هذا المعنى أبداً. ۲- يلزم من هذا الاحتمال أن يستشهد جميع أفراد ركب الحسين عليه السلام بما فيهم الصبيه و النساء و الكهول، بينما لم يُقتل من النساء و الصبيه سوى ثلاث أو أقلّ، و عليه: نسأل مؤلّف كتاب «شهيد جاويد» لما ذا يستدلّ بتجاوز المعنى الحقيقى لكلمه «استشهد» بسبب بقاء عشره أفراد من الأصحاب و بنى هاشم؟ بل الشاهد الأفضل هو بقاء جميع النسوه و ... و من هنا يتّضح أنّ معنى الحديث ليس إخبار الإمام عليه السلام بمعنى أنّ جميع الركب و من يلحق به سيستشهد حتى يعترض على المعنى الحقيقى، بل المعنى هو أنّ كلّ مَن يلحق بنا من بنى هاشم سكنه المدينه سيُقتل و يستشهد. و الواقع أنّ هذا الإخبار يختصّ فقط بمحمّد بن الحنفيه و بنى هاشم من أهل المدينه ممّن لم يلتحق بالإمام حين حركته، و بالطبع فإنّ الأفراد الذين أرادوا أن يلحقوا منهم إنّما كانوا أفراداً بالغين مكلّفين، و الدليل على ذلك: ۱- ما ورد فى روايه بصائر الدرجات التى أردفت عباره «من لحق بى» بكلمه «منكم» أى كلّ من يلحق بى منكم يا بنى هاشم فإنّه ينال الشهاده، إذن فالخبر فى بنى هاشم و كلمه «منكم» مختصّه بهم. ۲- ما ورد فى كامل الزيارات حول هذه الروايه، أنّ الرساله من الحسين إلى محمّد بن الحنفيه و سائر بنى هاشم، أى هؤلاء هم المرادون بالرساله، فهل يسعنا بعد ذلك أن نقول بأنّ الخبر وارد بشأن جميع الناس؟!

نتيجه البحث:

نخلص ممّا سبق إلى أنّ العباره «من لحق بى استشهد» تدلّ على شهاده كلّ من

بقی من بنی هاشم فی المدینه إن التحق برکب الحسین علیه السلام، و علیه: فعدم قتل أمثال:

غلام عبد الرحمن بن عبد ربّه، و الضحّاک بن عبد اللّه المشرقی، و عقبه بن سمعان، و العشره الذین ذکرهم صاحب کتاب «شهید جاوید» لا- یقدح بأصاله معنی الإخبار الغیبی للإمام، و کان الاحری بالمؤلّف أن یتأمّل أکثر و یری أنّ هذا الإخبار لم یشمل أولئک الأفراد من بنی هاشم الذین لحقوا به منذ البدایه، فالرساله قد کتبت من مکّه کما ورد فی حدیث کامل الزیارات أو أثناء الخروج من المدینه کما صرّحت روایه بصائر الدرجات. و علی کلّ حال الرساله وارده بشأن الأفراد الذین لم یکونوا مع الرکب و یمکنهم اللحاق به فی ما بعد. إذن فالإمام علیه السلام لم یخبر عن شهاده الأفراد من بنی هاشم الذین لم یتخلّفوا عن الرکب و واکبوا الإمام منذ بدایه الأمر.

مفاد الروایتین:

کلّ مَن التحق بی من بنی هاشم- سکنه المدینه- حین الحرکه سیُقتل فی سبیل اللّه و سبیل التوحید، و من تخلّف عنّی لأیّ من الأسباب لم یدرک الفتح، و علیه: یمکن القول بأنّ الهدف الأصلی للإمام علیه السلام لا یقتصر علی الإخبار بعاقبه الملتحقین فحسب، بل فی نفس الوقت الذی ورد الإخبار من أنّ طریقنا هو الشهاده؛ فإنّه کان ینطوی علی تحریض بنی هاشم سکنه المدینه علی اتّباع الإمام من أجل نیل الدرجات الرفیعه: لا یظفر المتخلّفون بشی ء و لمن صحبنی الجنّه و الشهاده، فقوموا و انهضوا یا بنی هاشم لتنالوا الشهاده فی هذه النهضه العظیمه. و هذا ما جعل الإمام الصادق علیه السلام، و فی هذه الروایه یصرّح خاصّ ه بعدم استقامه تخلّف محمّد بن الحنفیه و یصفه بأنّه حرم من درک السعاده؛ لأنّ الذی یفهم

من عباره الإمام الحسین علیه السلام هو أنّ من لحق بی فاز بالشهاده، هذه السعاده الکبری التی تُعتبر فرصه ذهبیه لا تسنح دائماً للإنسان، و قد حرم ابن الحنفیه نفسه من هذه النعمه العظیمه. و علی ضوء ما تقدّم لنا أنّ نطرح هذا السؤال: هل تقدح عدم شهاده اولئک الأفراد العشره- علی فرض الصحّه- بالخبر الغیبی للإمام علیه السلام؟ إذا قال الإمام علیه السلام:

کلّ من لحق بنا من بنی هاشم فی المدینه فإنّه یستشهد، فهل هذا القول لا ینسجم و عدم شهاده اولئک الأفراد العشره؟ لنضطرّ لحمل کلمه «استشهد» علی معناها المجازی فی احتمال الشهاده؟

۳- الجمع بین الرساله و عدم قتل جماعه:

اتّضح ممّا مرّ سابقاً أنّ عدم استشهاد جماعه من أصحاب الإمام- علی فرض الصحّه- لا یضرّ بصحّه إخبار الإمام، و ذلک لأنّ إخبار الإمام مختصّ ببنی هاشم من سکنه المدینه الذین لم یلحقوا برکب الإمام منذ بدایه الأمر، و لم یکن أحد ممّن لم یستشهد من بنی هاشم من المتخلّفین، بل کانوا ممّن لحقوا برکبه منذ البدایه، و لقد کان بإمکان مؤلّف کتاب «شهید جاوید» أن یأتی بشاهد أفضل لحمل الروایه علی معناها المجازی، و هو أنّ الإمام زین العابدین علیه السلام کان فی القافله و لم یستشهد. إذن، لِمَ یذکر بعض الأفراد الذین لم تتّضح أوضاعهم؟ و جوابنا علی السؤال هو أنّ الإخبار الغیبی مختصّ بجماعه معیّنه.

افتراض آخر:

نفرض أنّ رساله الحسین علیه السلام تشمل عامّه بنی هاشم و لا تختصّ بالمتخلّفین، و علی ضوء هذا الفرض یکون الجمع بین الروایه و عدم شهاده البعض من بنی

هاشم- و فی مقدّمتهم علی بن الحسین علیهما السلام- بهذا الشکل: مَن تبقی من ذریّه الإمام الحسن هم: ۱- عمرو بن الحسن. ۲- زید بن الحسن. ۳- الحسن بن الحسن. أمّا عمرو بن الحسن؛ فإنّه و إن قال المفید بعدم قتله فی الإرشاد و أبو الفرج فی مقاتل الطالبیین(۱)، إلّا أنّ الطبری صرّح بأنّه لم یقتل لکونه صبیّاً، و من المعلوم أنّ رساله الإمام کانت موجّهه للمکلّفین دون غیرهم. و علیه: فعدم قتل عمرو لا یطعن بالخبر الغیبی للإمام علیه السلام. و أمّا زید بن الحسن، فبناءً علی المشهور کما ذکر المحدّث القمی رحمه الله أنّه لم یکن ملازماً لعمّه فی حرکته إلی العراق(۲). و أمّا الحسن بن الحسن ففیه خلاف، فلم یعدّه الطبری من القتلی لصغر سنّه(۳)، أمّا المفید فقال فی الإرشاد: «حضر مع عمّه الحسین علیه السلام الطفّ، فلمّا قتل الحسین و أسر الباقون من أهله، جاءه أسماء بن خارجه فانتزعه من بین الأسری و قال: و اللّه لا یوصل إلی ابن خوله أبداً، فقال عمر بن سعد: دعوا لأبی حسّان ابن اخته»(۴). و علی کلّ حال فإنّ الحسن المثنّی رغم بلوغه و تکلیفه لم یستشهد، و هو الفرد الوحید البالغ مع علی بن الحسین الذی لم یقتل من بنی هاشم، فلو کانت الرساله موجّهه لعامّه بنی هاشم، لا بدّ أن نقول بأنّ قصد الإمام علیه السلام: أنّ سبیلنا هو الشهاده،

۱- مقاتل الطالبیّین: ۱۱۹.

۲- منتهی الآمال: ۴۵۹.

۳- تاریخ الطبری ۴: ۳۵۹.

۴- الإرشاد للمفید ۲: ۲۵.

و علیه: فمن نجی فلیس ذلک بمستبعد. بعباره اخری لیس هناک من منافاه بین الخطاب العام فی اللحاظ العام باستثناء فرد أو فردین. إذن، ففحوی رساله الإمام: قافلتنا تتّجه إلی میدان الحرب و القتال الذی سیخوضه الغیاری و الأحرار من أجل الدفاع عن الحقّ، هؤلاء الغیاری شهداء أدرکوا الحقّ، و من لم یقم و یُدافع عن القرآن لا ینبغی أن یرجو أیّ نصرٍ آخر.

الحدیث الرابع:

قال ابن قولویه فی کامل الزیارات أیضاً: حدّثنی أبی رضی الله عنه و علی بن الحسین جمیعاً، عن سعد بن عبد اللّه، عن محمّد بن أبی الصهبان، عن عبد الرحمن بن أبی نجران، عن عاصم بن حمید، عن فضیل الرسان، عن أبی سعید عقیصا قال: سمعت الحسین بن علی علیهما السلام و خلا به عبد اللّه بن الزبیر و ناجاه طویلًا، قال: ثمّ أقبل الحسین بوجهه إلیهم و قال: «إنّ هذا یقول لی: کن حماماً من حمام الحرم، و لأن اقتل و بینی و بین الحرم باع أحبّ إلی من أن اقتل و بینی و بینه شبر، و لأن اقتل بالطفّ أحبّ إلیّ من أن اقتل بالحرم»(۱).

تحقیق مختصر:

یری ابن الزبیر أنّ الخطر محدق بالإمام، و هذا ما طرحه علی الإمام، غیر أنّه یظنّ بأنّ الحرم من شأنه أن یدفع عنه هذا الخطر، و هذا ما عبّر عنه بقوله: کن حماماً من حمام الحرم، حیث یتمتّع الحمام بالأمن فی الحرم، و ابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله أولی بهذا الأمان. إذن فالبقاء فی ذلک الموضع المقدّس هو السبیل الأخیر للأمان من المخاطر.

۱- کامل الزیارات: ۱۵۱ ح ۱۸۲، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۵ ح ۱۶.

أمّا الإمام علیه السلام فیرفض هذه النظریه و یطلع ابن الزبیر علی حتمیه وقوع حادثه دون أن یُعرف للمکان من معنی فی الحرم أم فی موضع آخر. فقد اتّفقت کلمه الظلمه علی قتلی و لیس بإمکان حتی الحرم أن یمنحنی الأمان، و لیس من الصواب أن أستجب لوقوع هذه الحادثه فی الحرم الإلهی و أنتهک حرمته، بل أنا حریص علی عدم انتهاک حرمته و لو علی بعد شبر، و علیه:

فسأغادر الحرم سریعاً لأدفع بهذه الحادثه الحتمیه إلی کربلاء و أضرّج تربتها بدمی، إنّی لأحب أن أستقبل هذه الحادثه التی لا مناص منها فی الطفّ، إنّی لأرغب بالشهاده فی سبیل اعتلاء الحقّ و کلمه الإسلام علی ید الجبابره فَلِمَ لا أستشهد فی کربلاء؟ هذه خلاصه من الحوار الذی دار بین الإمام علیه السلام و ابن الزبیر، و نبذه عن نظریه الإمام بشأن الحرکه و الحادثه الحتمیه، فهل یسعنا القول بأنّ الإمام کان یرجو النصر بفعل وجود الجیش الکوفی المقتدر و القوات الشعبیه؟ لم اختار الإمام کربلاء من بین سائر مئات الأماکن و المواضع المحتمله؟ هناک مسافه شاسعه تمتدّ لمئات الأمیال بین مکّه و کربلاء، إمکان وقوع هذه الحادثه علی بعد شبر من الحرم حتّی کربلاء قائم. إذن، فهناک مئات الأماکن التی یحتمل فیها وقوع مثل هذه الحادثه، لم اختار الإمام علیه السلام من بینها ذلک المکان الذی لا یخالج ذهن أیّ فرد؟ لم تکن کربلاء آنذاک أکثر من أرض عادیه، و کان لا بدّ أن تقع- علی ضوء الأوضاع الطبیعیه- تلک الحادثه فی الکوفه التی تمثّل آنذاک مرکز الخلافه، فلِمَ أحبّ الحسین علیه السلام أن یدفن جسده الطاهر فی کربلاء؟ لقد أشار علیه السلام إلی موضع بعید عن الأذهان، الأمر الذی یکشف أنّ الإمام کان مطّلعاً علی تفاصیل الحادثه و ما سیواجهه فیها من مصیر.

فوا أسفاه، ینبری أحدهم لیصرّح أو یحتمل بأنّ الإمام لم یکن عالماً بتلک الأحداث. اللهمّ اجعل فی قلوبنا نوراً و بصراً و فهماً و علماً.

زبده الکلام:

شاهـدنا أنّ أغلب التواریخ المعتبره و الأحادیث الموثّقه کانت أدلّه قطعیه و شواهد حیّه علی علم الإمام علیه السـلام بشـهادته فی حرکته إلی الکوفه، الکوفه التی لم یکن من المقدّر لها أن تشهد انهیار حکومه یزید و سقوطها بید الإمام، إلّا أنّنا نرید أن نختصر الکلام، و إلّا فهناک التواریخ المعتبره و الأحادیث المسـتفیضه من الفریقین بشأن علم الإمام علیه السـلام بحادثه کربلاء، الحادثه الشدیده الصـله و الحاسـمه فی مصـیر الإسلام و حیاه المسلمین. و الحق أنّنا نشعر بالخجل بالتحدّث عن علم الإمام علیه السلام و الـدفاع عن حریم الإمـامه فی عش آل محمّـد (قم المقـدّسه) المـدینه التی شـیّدت قبـل ألف عام علی دعائم مـدرسه أهل البیت علیهم السـلام حتّی وصفها أئمّه الهدی بالمرکز الذی یفیض بعلومهم علی العالم، بل نعتوها بأنّها حرم أهل البیت. یعترینا الخجل أن نهدر وقتنا فی التحدّث عن أمر بمثابه الشمس فی رابعه النهار.

نعم، نشـعر بالخجـل من أنّ الإمـام علیه السـلام مصـباح الهـدی و سـفینه النجاه و خلیفه رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله ممّن أمر بطـاعته و ولا۔یته، فی حین یطالعنـا من یتفوّه بـأنّ الإمـام زجّ بلا۔ علم فی حادثه مثّلت جوهر الإسـلام و ارتبطت مباشـره باسـتقامه الـدین، الخجل الـذی یـدعونا إلی الصـمت الـذی لا یفرزه سوی الحیره و الـذهول و الـدهشه! إلّا أنّه الصـمت و السـکوت الذی یتضـمّن الإشـاره إلی بعض الأدلّه الوارده بشأن علم الإمام علیه السـلام: ۱) جـاء فی الکامـل لابن الأثیر أنّ عمر بن عبـد الرحمن نصـح الإمام و حـذّره من الحرکه إلی الکوفه، فجزاه الإمام خیراً و قال: «و مهما یُقضَ من أمر یکن أخذتُ برأیک أو ترکته»(۱).
۲) قصّه ورود أبی بکر الحارث بن هشام علی الإمام، فقال له الإمام علیه السلام:

«جزاک اللَّه خیراً یا ابن عمّ فقد أجهدک رأیک، و مهما یقضِ اللَّه یکن» فقال: إنّا للَّه

۱- الکامل لابن الأثیر ۴: ۳۷.

و عنـد اللَّه نحتسب يـا أبـا عبـد اللّه(۱). ۳) على مـا نقـل أربـاب المقاتـل أنّ عبـد اللّه بن عمر جـاء لـوداع الإمـام فى مكّه فقـال «استودعک اللَّه من قتيل»(۲). ۴) قال صاحب مجمع البحرين: «روى أنّه عليه السلام اشترى النواحى التى فيها قبره من أهل نينوى و الغاضـريه بستّين ألف درهم، و تصـدّق بها عليهم، و شـرط عليهم أن يُرشـدوا إلى قبره و يضـيّفوا مَن زاره ثلاثه أيّام»(۳)، فهل اشترى الإمـام تلـک الأرض بعـد القتل؟ و هل كان عالماً بمرقـده أم لا؟ ۵) كتب العلّامه المرحوم السـيد محسن الأمين العاملى صاحب أعيان الشيعه فى مقتله لواعج الأشجان: «و جاءه عبد اللّه بن عباس و عبد اللَّه بن الزبير، فأشارا عليه بالإمساک عن المسير إلى الكـوفه، فقـال لهمـا: إنّ رسـول اللَّه صـلى الله عليـه و آله قـد أمرنى بـأمر و أنـا مـاض فيه، فخرج ابن عبّـاس و هـو يقـول: وا حسيناه»(۴). كـان الإمـام عليه السـلام ينهض بمسـئوليه خطيره كلّفه بها رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، إذن فحقيقه الأمر شـى ء آخر، و لم تكن دعوه أهل الكوفه و آراء خبرائها تشكّل الدوافع الحقيقيه لهذه الحركه، و لذلک فهم ابن عباس أنّ السبيل الذى ينتهجه الإمام لا رجعه فيه! ۶) قال الأمينى- فى نفس الصفحه من الكتاب المذكور-: «ثمّ جاءه عبد اللّه بن عمر فأشار عليه بصلح أهـل الضـلال و حـذّره من القتـل و القتال، فقال له: يا أبا عبـد الرحمن أما علمت أنّ من هوان الـدنيا على اللَّه أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغيّ من بغايا بنى إسـرائيل- إلى أن قال:- و أيم اللَّه لو كنت فى جحر هامه من هذه الهوامّ لاسـتخرجونى حتّى يقتلونى، و اللَّه ليعتدنّ علىّ كما اعتدت اليهود فى

۱- مروج الذهب ۳: ۵۶.

۲- انظر لواعج الأشجان: ۷۴، بحار الأنوار ۴۴: ۳۱۳.

۳- مجمع البحرين ۳: ۱۵۶۰، مادّه« كربل».

۴- لواعج الأشجان: ۷۲.

السبت، و اللّه لا یدعونی حتّی یستخرجوا هذه العلقه من جوفی، فإذا فعلوا ذلک سلّط علیهم من یذلّهم حتی یکونوا أذلّ من فرام(۱) المرأه»(۲). فعبد اللّه یتوقّع حادثه و یقرّ الإمام توقّعه و یفشی له الأسرار. نعم، کلّ من تحدّث عن الشهاده فإنّ الإمام علیه السلام کان یؤیّد حدیثه و یبیّن المأساه التی ستقع من خلال التصریح أو التلویح، فهل نقول هنا أیضاً بأنّ الإمام قد انطلق راجیاً للسفر من مکّه و لم یتبدّل هذا الرجاء یأساً حتّی أواخر حیاته الشریفه، اللهمّ إلّا للحظات قبل شهادته؟ هل هذه هی نتیجه التحقیقات؟ و هل مثل هذا الحکم حصیله للتأمّل و التمعّن فی الأدلّه و الأخبار؟ هل هذه الصوره ولیده التفکیر الصحیح؟ و هل هذه الأفکار نابعه من إدراک للحقائق؟ هل هذه الامور من شأنها رفع مقام الإمام علیه السلام؟ هل مثل هذا الکتاب یعدّ خدمه للعلم و المعرفه؟ و هل هذه الأفکار ستقضی علی الشبهات؟ و هل و هل ...

نترک الإجابه إلی الضمائر الحیّه و العقول البعیده عن التقعقع و التعصّب.

شهاده الإمام فی کربلاء علی لسان أهل البیت علیهم السلام و أتباعهم:

لقد ابتلّت تربه کربلاء بدموع علی بن أبی طالب علیهم السلام لخمس و عشرین سنه قبل وقوع الحادثه، و لم ینس مسجد الکوفه حدیث أمیر المؤمنین علیه السلام لسعد بن أبی وقّاص فی أنّ ولده المشئوم سیقتل ابنه الحسین علیه السلام(۳). أمّا النبی صلی الله علیه و آله فقد صدع قبل ولاده یزید قائلًا: «مالی و لیزید لا بارک اللّه فیه، اللهمّ العن یزید»(۴). و ابن عبّاس هو الذی نقل حدیث النبی صلی الله علیه و آله، فکان یعلم علی سبیل الجزم بحادثه

۱- الفرام- بالفاء المفتوحه- : خرقه الحیض.

۲- لواعج الأشجان: ۷۲- ۷۳.

۳- کامل الزیارات: ۱۵۵ ح ۱۹۱، الأمالی للصدوق: ۱۹۶ مجلس ۲۸ ح ۲۰۷، و عنهما بحار الأنوار ۴۲: ۱۴۶ ح ۶ و ج ۴۴: ۲۵۶ ح ۵.

۴- مثیر الأحزان لابن نما الحلّی: ۲۲، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۲۶۶ ح ۲۴.

کربلاء و غطرسه یزید، و من المُسلّم به أنّه تذکّر قول رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله فحذّر الإمام. نعم، لم تکن حادثه کربلاء خافیه علی من کان یرتاد أهل بیت النبوّه علیهم السلام، بل کانت هناک عدّه روایات أسهمت کلّ واحده منها فی إزاحه الستار عن بعض مجریات تلک الحادثه بحیث یری المتتبع أنّ هذه الحادثه قد بیّنت بجزئیّاتها و تفاصیلها من قِبل رسول اللّٰه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام، و علیه کان أهل البیت علیه السلام و أنصارهم عارفین بتفاصیل هذه الحادثه فنقلوها لنا، إذن فهل یعقل القول بأنّها کانت خافیه علی شخص الإمام علیه السلام؟ یظنّ البعض أنّ الإمام الحسین علیه السلام لم یکن یعلم المراد بالفتیه الذین قال فیهم أمیر المؤمنین علیه السلام حین مرّ بکربلاء فی معرکه صفّین: «هاهنا مناخ رکابهم، و موضع رحالهم، و هاهنا مهراق دمائهم، فتیه من آل محمّد صلی الله علیه و آله یُقتلون بهذه العرصه ...»(۱) و لم یکن یعلم متی یُقتلون؟! و حیث ذکرهم أمیر المؤمنین علیه السلام بضمیر الجمع الغائب «هم»، فقد رأی الحسین علیه السلام فی میدان کربلاء ذلک الیوم أنّه المصداق علی سبیل التردید! فقد ذکر المؤلّف فی ص ۳۰۱ «فهل اولئک الفتیه من آل محمّد التی أخبر عنها أمیر المؤمنین علیه السلام هُم الحسین علیه السلام و أهل بیته؟ أ فلا ینطبق الخبر الذی ذکره علی علیه السلام قبل أربع و عشرین سنه علی الحسین و أهل بیته؟». یا له من ظنّ فاسد! ما هی الصوره التی رسمها هؤلاء للإمام حتّی یتحدّثوا عنه بهذا الشکل! لو لم یکن إماماً بل کان فرداً عادیاً کمحمد بن الحنفیه و سمع هذا الکلام من أبیه و قد واجه عسکر یزید فهل لنا أن ننسب ابن الحنفیه إلی التردید؟! نعم، هنا یکمن الخطأ، حیث ظنّ بأنّ إخبار أمیر المؤمنین علیه السلام عن تلک الحادثه فی معرکه صفّین قد اقتصر علی تلک العباره، رغم أنّه رأی أنّ هذا الکلام

۱- دلائل النبوّه لأبی نعیم ۲: ۵۸۱ ح ۵۳۰، ذخائر العقبی: ۱۷۴، الریاض النضره ۳: ۲۰۱، الفصول المهمّه لابن الصبّاغ ۲: ۷۶۱، الخصائص الکبری للسیوطی ۲: ۲۱۴.

لوحده یکفی فی العلم بجمیع الحادثه بالنسبه لأیّ فرد عادیّ فضلًا عن الإمام علیه السلام. کلّا، لیس الأمر کذلک، فقد تحدّث علی علیه السلام فی معرکه صفّین بهذا الشأن و قد ذکر حسیناً صراحه و العطش الذی یصیبه حین یستشهد فی أرض کربلاء حتّی لا ینبری لاحقاً مَن یقول: فهل ینطبق حدیث الوالد علی الولد أم لا؟ و قد مرّت(۱) علینا روایه العلّامه المجلسی فی البحار التی أشارت إلی بُکاء علی علیه السلام علی ولده الحسین علیه السلام، الذی سیموت فی کربلاء عطشاناً. فهل قول علی علیه السلام فی میدان المعرکه فی تلک اللحظه الحسّاسه کان همساً فی اذن الراوی و لم یسمعه إلّا عبد اللّه بن قیس، أم أنّها أخبار قالها علی علیه السلام وسط المیدان عن تلک الحادثه؟ أو لا نفهم من هذه الروایه و أمثالها أنّ حادثه کربلاء کانت حدیث الساعه و لم یکن من یتردّد علی أهل البیت بعیداً عن تلک الأخبار فضلًا عن أهل الدار. فهل من المعقول أن نعترف أوّلًا- علی ضوء الروایات القطعیّه- أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد أخبر بشهاده الحسین علیه السلام، و کان الحسین قد سمع الخبر منذ طفولیّته. ثمّ نثبت بعد ذلک من خلال مباحث الکتاب أنّه علیه السلام لم یکن عالماً باستشهاده؟ أمّا الروایات الموثوقه التی وردت فی کتاب بحار الأنوار فقد صرّحت بأنّ أمیر المؤمنین علیه السلام قد صرّح باسم الحسین علیه السلام فی معرکه صفّین، حتّی روی ابن عباس أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام حین مرّ بکربلاء بکی بکاءً شدیداً و قال: «ما لی و لآل أبی سفیان! مالی و لآل حرب حزب الشیطان و أولیاء الکفر!- ثمّ التفت إلی ولده الحسین علیه السلام و قال:- صبراً یا أبا عبد اللّه، فقد لقی أبوک منهم مثل الذی تلقی منهم»(۲) فهل لأحد أن یقول بعد ذلک: إنّ الحسین علیه السلام احتمل حین وصل کربلاء أنّه المقصود بقول أبیه علیه السلام؟ و لا یسعنا هنا إلّا أن نخوض فی بعض التواریخ:

۱- فی ص ۲۱۹.

۲- بحار الأنوار ۴۴: ۲۵۲ ح ۲ عن أمالی الصدوق: ۶۹۴، مجلس ۸۷ ح ۹۵۱، و کمال الدین: ۵۳۲ ب ۴۸ ح ۱.

فقد نقل مؤلّف كتاب القاموس- من الكتب الرجاليه الموثّقه الذى طبع أخيراً قصّه عند ذكر اسم حبيب، و قد ذكرت هذه القصّه فى سائر كتب التأريخ و الرجال- أنّه «روى الكشّى عن جبرئيل بن أحمد، عن محمّد بن عبد اللّه بن مهران، عن أحمد بن النصر عن عبد اللّه بن يزيد الأسدى، عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمار و حبيب بن مظاهر بمجلس بنى أسد و هما فارسان، فجعلا يتحدّثان حتّى قال حبيب:

لكأنّى بشيخ أصلع قد صلب فى حبّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام ... فقال ميثم: و إنّى لأعرف رجلًا أحمر له ظفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيّه صلى الله عليه و آله، فيقتل و يجال برأسه بالكوفه»(۱). لقد أصيب مجلس بنى أسد بالذهول لما سمعوا من حوار هذين الوليّين حتّى أجمعت كلمتهم على أنّهم لم يروا أكذب منهما! و هنا وصل رشيد الهجرى فسأل عن ميثم و حبيب، فقال له بنو أسد: كانا هنا، ثمّ أخبروه بما سمعوه منهما، فقال رشيد:

لقد قالا- حقّاً، إلّا أنّ ميثم نسى أن يقول و يزيد: من يأتى برأس حبيب مائه درهم! فما كان من أهل المجلس إلّا أن قالوا: إنّ رشيد أكذبهما!(۲)

بُكاء محمّد بن الحنفيه:

نقل الطبرى عن أبى مخنف: أنّ الحسين بن على أقبل بأهله و محمد بن الحنفيه بالمدينه، قال: فبلغه خبر و هو يتوضّأ فى طست قال: فبكى حتى سمعت وَكَفَ دموعه فى الطست(۳). و لنا أن نسأل: مِمَّ بُكاء ابن الحنفيه؟ لو كان يأمل النصر كالإمام! لم يكن لذلك الخبر أن يبكيه، فالقضيه قضيه فتح و نصر و التحاق بالقوى الشعبيه المواليه فى الكوفه، و ليس فى الأمر ما يدعو إلى البُكاء!

۱- اختيار معرفه الرجال، المعروف ب« رجال الكشى»: ۷۸ رقم ۱۳۳.

۲- قاموس الرجال ۳: ۹۶ رقم ۱۷۶۸، و ما ذكر نقل بالمضمون.

۳- تاريخ الطبرى ۴: ۲۹۷.

نعم، بكاء ابن الحنفيّه إعلام للمؤلّف الذى اعتقد أنّ الإمام عليه السـلام سوف لن يسـقط حكومه يزيد، بل سيتعرّض لظلم جيش الكوفه، و هـذه هى كربلاء التى ستستضـيف الإمام! بُكاء محمّـد بن الحنفيه تـذكير بحادثه يعرفها كافّه قرابه أهل البيت، أ فيكون الإمام غافلًا عنها لا عِلمَ له بها؟! لقـد كانت قصّه كربلاء و فصولها الـدمويه أشـهر لا تحتاج إلى بيان، و قد ذكرنا سابقاً أنّ التحاق زهير بن القين كان بسـبب حديث سلمان الفارسى أو الباهلى، حيث أورد الطبرى و ابن أثير أنّ سلمان بشّر زهيراً بإدراكه لشباب آل محمّد، و ذلك اليوم هو يوم فرح بالنسبه لزهير.

حديث رائع:

قال مؤلّف كتاب الأربعين الحسـينيّه: «ما رواه فى الكامل بسنده عن الباقر عليه السلام قال: لمّا همّ الحسين عليه السلام بالشخوص من المدينه أقبلت نساء بنى عبد المطلب فاجتمعن للنياحه حتّى مشى فيهنّ الحسين عليه السلام، فقال: أنشدكنّ اللَّه أن تبدين هذا الأـمر معصـيه للَّه و لرسوله، فقـالت له نساء بنى عبـد المطلب: فلمن نسـتبقى النياحه و البُكاء فهو عنـدنا كيوم مات فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و على و فـاطمه و رقيّه و زينب و امّ كلثوم، فننشـدك اللَّه جعلنا اللَّه فـداك من الموت»(۱). إنّ الحسين عليه السـلام قرّر الخروج إلى مكّه فمـا معنى اجتمـاع الهاشـميات من نسـاء بنى عبـد المطلب للنيـاحه و البُكاء! يخرج إلى مكّه لتنظيم الجيش و القياده بغيه الحركه إلى الكوفه و بالتالى السـيطره على الحكومه، و مثل هـذه الحركه ينبغى أن تـدخل الفرح و السـرور على الهاشميات و أهل بيت الرساله، فقد تمهّدت الأرضيه المناسبه لقيام الحكومه، فما هذا البُكاء!

۱- الأربعين الحسينيّه: ۵۷ ح ۶ عن كامل الزيارات: ۱۹۵ ح ۲۷۵.

نعم، إنهنّ يعلمن أنّ الإمام عليه السلام إنّما يتّجه نحو مصرعه الذى ليس فيه أىّ أمل بالنصر- النصر الذى يقول به مؤلّف «شهيد جاويد»: لقد سمعن من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سرّاً أنّ ولده الحسين عليه السلام سيُقتل فى كربلاء. نعم، لم يطقن سماع حركه الإمام و لم يتمالكن أنفسهنّ، أمّا الإمام فقد خاطبهنّ: أنشدكنّ اللَّه أن تبدين هذا الأمر فهو معصيه للَّه و لرسوله، و هل لمثل هذه النصيحه أن تسكّن من روع تلك القلوب الوالهه المضطربه و العيون العبرى لنساء الرساله! فهنّ نساء و قلوبهنّ تنبض بحبّ الحسين عليه السلام، و يعلمن أنّ هذه الحركه ستعيد مراره رحيل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و شهاده أمير المؤمنين عليه السلام و غربه الزهراء عليها السلام، فأجبنه و الدموع جاريه على خدودهنّ: إنّنا نعلم أن لا رجعه من هذه الحركه. نعم، يمكن أن يهدأ روعنا و تسكن فورتنا إن جعلنا اللَّه فداك لتنجو من الموت. فهل يسعنا بعد هذا أن نقول بأنّ الإمام لبّى دعوه الناس أملًا فى النصر، أم لا بدّ من القول أنّه انطلق أملًا فى انتصار الإسلام من خلال الشهاده.

السرّ الأكبر:

لقد وردت حادثه كربلاء فى سائر الأديان، و لا أُريد أن أخوض فى هذا المجال، إلّا أنّى أكتفى بما أورده الطبرى بهذا المجال، قال: «حدّثنى العلاء بن أبى عائشه قال:

حدّثنى رأس الجالوت، عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلّا و أنا أركض دابّتى حتّى أخلف المكان، قال: قلت: لِمَ؟ قال: كنّا نتحدّث أنّ ولد نبىّ مقتول فى ذلك المكان.

قال: و كنت أخاف أن أكون أنا، فلمّا قُتل الحسين قلنا: هذا الذى نتحدّث»(۱). فهل يسعنا- أيّها القُرّاء الأعزاء- أن نقول بأنّ الإمام لم يكن عالماً بحادثه كربلاء و حين بلغ كربلاء احتمل ... بينما يتحدّث الآخرون عن هذه النهضه و أنّ كربلاء ستضمّخ بدم الحسين عليه السلام؟!

۱- تاريخ الطبرى ۴: ۲۹۶.

الکتاب و الخطأ الرئیسی الثانی:

اشاره

الخطأ الرئیسی الثانی الذی ارتکبه مؤلّف کتاب «شهید جاوید» هو الضرر الذی ألحقته حادثه کربلاء بالإسلام، و نورد هنا بعض نماذج الکتاب التی تفید هذا المعنی: ۱- قال فی جوابه لما قاله محبّ الدین الخطیب من أنّ حرکه الحسین بن علی علیهما السلام قد حاقت خساره بالحسین و الإسلام و المسلمین إلی یوم القیامه:

«حکومه یزید لا الحسین بن علی علیهما السلام هی التی وجّهت تلک الضربه للإسلام».

و علیه: فهو یقرّ بموضوع الخساره، إلّا أنّه ینسبها فقط إلی یزید. ۲- لوّح فی النقاط ۱، ۲، ۳- فی عنوان «هل کان قتل الإمام علیه السلام بنفع الإسلام أم لا- إلی أنّ قتل الحسین علیه السلام لم یکن له أثر مطلوب علی الإسلام، و قال: لقد قویت شوکه بنی أُمیّه و ظنّوا أنّ النفع الوحید الذی جناه الإسلام هو أنّ حکومه یزید أصبحت ضعیفه لبضعه أیّام إثر قتل الإمام الحسین علیه السلام. ۳- قال فی ص ۳۷۸ «و إذا کان المراد هو أنّ الشیعه قد انتظمت بقتل الإمام فلا- بدّ من القول بأنّ الشیعه قد قویت شوکتهم من جانب بعد شهاده الإمام الحسین علیه السلام، و ضعفت من جانب آخر ... إلی آخره، ثمّ تابع هذا الموضوع فی ص ۳۷۹. ۴- ثمّ قال فی ص ۳۸۲- فی بحث بعنوان زبده الکلام-: «لا یمکن قبول الفکره القائله بأنّ الإسلام قد انتعش بقتل الحسین علیه السلام» و لا- یمکنه أن یقول: مرادی أنّ قتل الحسین علیه السلام أدّی إلی الإضرار بالإسلام، من حیث إنّ الجریمه قد ارتکبت من قِبل قاتلی الحسین علیه السلام؛ لأنّنا لا نری عاقلًا ینکر أنّ قتل الحسین علیه السلام ضرر جسیم و جریمه لا تُغتفر، بل مرادک أنّ حادثه کربلاء و قتل الحسین علیه السلام کانت ضرراً علی الإسلام، و هذا ما أوردته فی ردّک علی محبّ الدین فی الدفاع عن هذا الضرر بأنّ

یزید قد وجّه هذه الضربه للإسلام، فهل یمکن نسبه قتل الإمام لنفسه؟ حتّی نتّهم یزید فی مقام تبرئتنا للإمام، و علیه: فقصدک من قتل الإمام شهادته و أنّ تلک الشهاده کانت بضرر الإسلام، حیث قلت: یزید هو الذی أضرّ بالإسلام. و الشاهد الآخر ما ذکرته فی قولک: «لا نفهم ما یُقال من أنّ الإسلام قد استعاد حیاته بقتل الحسین علیه السلام»؛ لأنّک لم تفترض الضرر من أجل نفس القتل، بل من أجل القتل و حادثه کربلاء، و هذا ما صرّحت به فی ص ۳۸۳ حین قلت: «لا یسعنا أن ندرک هذا الأمر، فکیف للإسلام بالاستقرار و التماسک فی فقدانه لزعیمه و ناصره». فالتعبیر کان بالفقدان، و الفقدان غیر القتل، و علی هذا الضوء فقد ألغیت فریضه الجهاد بالکامل؛ لأنّ المعرکه لا تستتبع دسومه، و غالباً ما یؤدّی الجهاد إلی إزهاق أرواح القاده الصلحاء، أو لیس فقدان مثل هؤلاء القاده یضرّ بالإسلام؟ فَلِمَ الجهاد؟ و لعلّ هناک من یقول فی الجواب: إنّ فقدان مثل هؤلاء القاده هو دفاع عن الإسلام و هذا الدفاع مفید. نعم، قد نقول فی الجواب: إنّ الهدف هو الدفاع، و لکنّه یتطلّب التضحیه فلا یتحقّق إلّا فی فقدان الزعماء الصلحاء، الدفاع هو الذی یروی شجره الإسلام و یبقی علی حیاتها، و علیه: فالإسلام یمکن أن یستعید حیاته بقتل الإمام الحسین علیه السلام، و هذا لیس بممتنع، لنتساءل لاحقاً هل تحقّق هذا الإمکان؟ نعم لقد تحقّق هذا الأمر، شریطه أن لا یقتصر بالنظر علی عصر حکومه بنی أُمیّه و بنی العباس، فالحادثه- و کما سنتطرّق إلیها لاحقاً- قد انطوت منذ یومها الأوّل علی آثار قیّمه و فوائد جمّه. ۵- قال فی ص ۳۹۳- ۳۹۴ تحت عنوان ذلّه الامّه: «و هنا لا بدّ من القول بأنّ الامّه الإسلامیه بعد قتل الحسین علیه السلام أصبحت أکثر ذلّه و خضوعاً تجاه

حکومه یزید». و واضح أنّ هذه العباره تُفید أنّ نهضه الحسین و شهادته قد أذلّت الإسلام، غیر أنّ الإمام علیه السلام لا ذنب له. نعم، الواقع أنّه لا یمکن إنکار تجبّر یزید و تنامی شوکته عدّه أیّام بُعید الحادثه، إلّا أنّها لم تجلب الذلّ و الهوان علی الناس، بل کانت الامّه تعیش حاله من الذلّ و الهوان التی تبددت بفضل تضحیه الحسین علیه السلام و دمه الشریف. هذه بعض النماذج من عبارات الکتاب الذی یعتقد مؤلّفه کالآخرین بأنّ حادثه کربلاء کانت خساره.

حادثه کربلاء نفخت الروح فی جسد الإسلام:

من المُسلّم به أنّ الإسلام أو أیّ قانون یهدف إلی إشاعه الحرّیات و المساواه و إیصال الإنسان إلی الکمال إنّما یرتطم ببعض العوائق و العراقیل المؤلمه، التی لا یمکن تفادیها البتّه فی هذه المسیره الشاقّه. فالقوانین الإلهیه القائمه علی أساس العدل و العلم و مساواه الضعیف بالقوی و کون الجمیع سواسیه فی الحقوق و الواجبات، لا- مناص لها من الاصطدام بمصالح الطغاه من أصحاب الطمع و الشهوه و العناد و الجهل. فهذه القوانین السماویه لا تنسجم و الشهوات الطائشه و القدره الزائفه و العاتیه التی تسحق الضعفاء و التی تستند إلی هضم حقوق الامّه و التلاعب بمقدّراتها، و علیه: فالمعرکه بین الطرفین قائمه علی قدم و ساق.

الجهاد فی الإسلام:

یسعی الإسلام بادئ الأمر- و علی هامش الحریه الفکریه و الإراده فی العمل- فی التزام منهج الوعظ و النصح للأعداء أملًا فی إعادتهم إلی جادّه الصواب،

إلّا أنّ البعض لا يستجيب لمثل هـذا الاسـلوب و يوغل فى الغىّ و العدوان، و هذا ما تلمسه بوضوح فى القرآن الكريم فى سـرده لقصـص الأنبيـاء مع اممهم، ثمّ ينـدفع هؤلاء الأفراد أبعـد من ذلك ليخطّطوا لتفنيـد تعاليم الأنبياء و نظمهم الاجتماعيّه، و بالتالى إرعـاب الامّه و زعزعه دعـائم الأديـان و الشـرائع. فـإذا ما أغلقت جميع الأبواب بوجه الـدين و غاب الأمل فى هـدايتهم، كان لا منـاص له من اللجوء إلى القوّه و بروز فلسـفه الجهـاد بالأمـوال و الأنفس. نعم، لقـد بنى الـدين على العفو و الرحمه و التساهل و المرونه، إلّا أنّ هذه المفرده مؤطّره بأطر لا ينبغى أن تتجاوز حدودها، و هذا ما عبّرت عنه الآيه الشريفه:

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ(۱). إذن، فالجهاد فى الإسـلام وسيله من أجل الدفاع عن حياض الدين و تحرير الامّه من براثن القوى السـلطويه الغاشـمه، بل الجهاد من الفرائض الواجبه التى يتوقّف عليها وجود الإسـلام و المسلمين. أمّا الأمر الـذى ينبغى الالتفـات إليه هو أنّ الـدفاع يشـمل كافّه الوسائل و لا يقتصـر على القتل، لا بـدّ من القيام مهما كانت النتائـج، و من الخطأ الاعتقاد بأنّ الإسـلام أكّـد على قتل الكفّار، ففى قتلهم نفع الإسـلام و أنّ فقدان الأولياء ضـرر و القتل فيهم ليس بمطلوب. فهذا القرآن يتبنّى مواقف الشـهداء و يشـيد بهم و يصـرّح بدرجاتهم، فالشهيد قيمه حيّه، و الشهيد من يقتل دفاعاً عن الدين. إذن فالقتل من أجل الدفاع

۱- سوره البقره: الآيه ۱۰۹.

مطلوب، وَ لاـ تَحْسَـبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً(۱) فهـل الآـیه الکریمه تأمر بالقتل أم تحضّ علی الشـهاده فی سبیل اللّه و إشاعه التوحیـد و العبودیه؟ نعم، الشـهاده محبوبه لـدی اللّه و القرآن، لیس هنالک من سبیل للظفر بشـی ء دون ضـریبه، فالبـذره تدفن نفسـها فی التراب لتصبح شجره، و ذلک یقتل لتحیا امّه و تنعم بالحرّیه و السعاده، و لذلک تری أولیاء اللّه توّاقون للشهاده، فعدمهم یمنحهم و یمنح الآخرین الوجود، فأملهم الدائم «و قتلًا فی سبیلک»(۲)، کما تراهم یتسابقون إلی الموت فی المعارک و قد مشـی إلیه بعضـهم عن علم بالشهاده. أجل، أولیاء اللّه یعشقون الشهاده، فشجره الإسلام قد تتطلّب أحیاناً سقیها بالدماء، و هذا أمیر المؤمنین علیه السـلام یُصـرّح فی عهده الذی عهده إلی مالک الأشتر: «و أن یختم لی و لک بالسعاده و الشهاده»(۳). لا یسع البعض أن یسـتوعبوا حیاه الإسـلام و تنامی شوکته بسـبب فقـدان زعمائه و حماته، فهذا القول لا ینطوی سوی علی إنکار فلسـفه الحروب و المعارک، و هل الحرب لعبه أو نزهه فلمَ الأمر بالجهاد؟ لِمَ کان الرسول یشترک بنفسه فی المعارک؟ لِمَ برز علی بن أبی طالب علیه السلام لعمرو بن عبد ودّ؟ و لِمَ ضُرّج أولیاء اللّه کعمّار بن یاسر بدمائهم فی معرکه صفّین؟ و لِمَ کان الشهداء فی مصـاف الأنبیـاء؟ لِمَ کان الحسـین علیه السـلام یأذن لفتیته فی القتال؟ لِمَ کلّف أخیراً ذلک الصبی الـذی لم یکن له سوی ثلاث عشـره سـنه بالقتال؟ یُقال: دفاعاً عن الإسلام، فنقول: إذا کانت هذه عاقبه الدفاع عن الإسلام بحیث یؤدّی إلی فقدان الإمام فهذه هی وظیفته، و الإسلام عزیز منیع بهذه الوظیفه. أو لم یُقتل أنبیاء بنی إسرائیل

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۹.

۲- إقبال الأعمال ۱: ۱۴۳، قطعه من دعاء لیالی شهر رمضان.

۳- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۶۲۵.

وَ قَتْلِهِـمُ الْأَنْبِيـاءَ بِغَيْرِ حَقٍ(۱)، أولم يفكّر الأنبيـاء بـأنّ فى قتلهم ضـرراً على المسـيره، كـان عليهم أن يسـلكوا سبيلًا لاـ يؤدّى إلى فقـدانهم، فيبقى الـدين عزيزاً بحيـاتهم و وجودهم، لكنّا نعلم بـأنّهم خـاطروا بأنفسـهم و وقفوا بوجه المشـركين و الكافرين حتّى ضحّوا بأنفسـهم. لا يمكن افتراض الحسـين عليه السلام إماماً ظاهرياً للمسلمين، و أنّه مبسوط اليد ليخلص إلى نتيجه مفادها: عدم إدراك و قبول إحياء الإسـلام بفقدان الزعيم، فالحسـين عليه السـلام لو هادن يزيد لما عاد إماماً، و لو أكبّ مسيره يزيد و أضفى الشـرعيه عليها، فهل فى مثل هـذا الإمام نفع للإسـلام؟ و هل من سبيل أمام الإمام لو لم يهادن و يداهن سوى الشـهاده؟ لقد كان عزم يزيـد أن يبايعه الحسـين عليه السـلام لتكون النتيجه اضـمحلال الـدين، و إلّا حمل إليه رأسه الشـريف، الأمر الـذى لا يجعل لحياه الإمام من نفع للإسـلام. من هنا كانت وظيفه الإمام التى تكمن فى إحياء الإسـلام و الـدفاع عن الحقّ تعنى التضـحيه و عدم مسايره حكومه بنى اميّه، و سقى شجره الإسلام بالدماء الطاهره الزكيه.

بنفسه اشترى حياه الدين فيا لَها من ثمنٍ ثمين(۲)

لقد ظنّ بأنّ حركه الحسين عليه السـلام كانت تتجه صوب الكوفه و الأخذ بزمام الامور و السـيطره على الحكومه، و هذا الهدف لاـ ينسـجم و العلم بالشـهاده، بـل لم يكن الإمـام يظنّ بـأنّه يرد كربلاـ و يقتـل فيهـا، و ذلك لأنّ هـذه الشـهاده لم تكن لصالح الإسـلام، بينمـا ليس هنـاك من منافـاه عقلاـئيه بين الحركه إلى الكوفه و العلم بالشـهاده، كان عنوان الحركه هو الكوفه و الأخذ بزمام الامور، كى لا ينبرى

۱- سوره النساء: الآيه ۱۵۵.

۲- من مراثى آيه اللّه الكمپانى.

أحـدهم و يتخرّص بـأنّ الامّه تأهّبت لامامه الحسين عليه السلام فرفضها، و لا يتسرّب الشكّ إلى النفوس بأنّ الزعامه لو كانت حقّاً ثابتاً له لما رفضها، فقرّر الإمام أن يخرج إلى الكوفه من أجل إحياء الإسلام، فقد ماتت السُنّه و أُحييت البدعه، و لما كان يعلم بشهادته و عدم درك هدفه، استعدّ للتضحيه و الفِداء، أمّا الكوفه و مقاومه حكومه يزيد ليكتب فى التأريخ بأنّ الحسين عليه السلام ثار من أجل إحياء الإسلام و إمامه الامّه و إنقاذها من بؤسها و شقائها، و هذا ما سيؤدّى إلى قتله و فوزه بلقب سيّد الشهداء عليه السلام، و لو صرّح الإمام بأنّى أذهب لُاقتل فى كربلاء، لما استطاع التأريخ أن يصيب فى تقييم الحادثه و أنّ الهدف هو إحياء الإسلام، فى حين يعلم الإمام أنّ هذا الهدف لا يتحقّق إلّا فى ظلّ التضحيه و الشهاده.

المعطيات الخالده للحادثه:

لقد فتحت حادثه كربلاء منذ انبثاقها الباب على مصراعيه أمام انبعاث الإسلام من جديد، أمّا وقوع الحادثه فقد أفرز حقّانيه الحسين و كونه الإمام الحقّ، و بطلان حكومه يزيد و كونه إمام الضلاله الذى يهدف إلى القضاء على الإسلام، لقد جهدت الأجهزه الإعلاميه لحكومه معاويه و ابنه يزيد على تقديم الإمام كفرد خارجى لا يمت بصله إلى الدين، و قد تفاجأ أهل الشام لخبر قتل أمير المؤمنين عليه السلام فى محراب العباده، ليتساءلوا مع أنفسهم: أ فيصلّى على حتّى يُقتل فى المحراب! كان معاويه ينفق الأموال الطائله دون حساب من أجل وضع الأحاديث ضدّ أهل البيت عليهم السلام، فى حين أثبت الحسين عليه السلام فى كربلاء أنّ أهل البيت أصحاب حقّ، و قد بلغوا كربلاء مظلومين للدفاع عن الدين، يزيد شارب الخمور و هو الفاسق عبد الدنيا و الشهوه، الذى لا يتحرّج عن سفك دم الرضيع، و يعمد بعد

القتل و الفتک إلی إحراق خیام النساء و سلبهنّ ما علیهنّ، لقد أحبطت حادثه کربلاء فی أوائل أیّامها کافّه دعایات معاویه، کما أفهمت عسکر یزید أنّ الحسین علیه السلام ضحیّه شهوات یزید و الحقد الدفین لعلی علیه السلام. لقد کشفت خطبه ذلک الیوم عن کمالات الإمام علیه السلام، عن ولایته و إمامته و صلاحیته و زعامته و علمه و درایته و شجاعته و فصاحته و تضحیته و حقّه، بما لا یدع مجالًا لرواسب دعایات الجهاز الأموی. و هذا یزید الذی جیّش الجیوش و شقّ وحده الامّه الإسلامیه فی قتاله للحسین علیه السلام! بحیث اندفع البعض لقتاله و هو «یتقرّب إلی اللّه بدمه»! إلّا أنّ نفس الحادثه و الخطابات الحماسیه للإمام أزالت الإبهام و الغموض و أوضحت الأمر، بما جعل بعض عسکر یزید یلتحق برکب الإمام، و یرتفع صوت البعض الآخر بالاعتراض و الاستنکار. لقد أثبت الحسین علیه السلام فی ذلک الیوم أنّ الباغی هو یزید، کان لا ینفکّ عن إیراد خطبه و کلماته التی عرّت التیار الأموی و کشفت زیفه للناس، الذین لیس لهم سبیل سوی تصدیق ما کان یقوله الإمام. لقد اذعن العدوّ لصحّه ما أورده الإمام علیه السلام: «إنّ علیّاً کان أوّلهم إسلاماً، و أعلمهم علماً، و أعظمهم حلماً، و أنّه ولیّ کلّ مؤمن و مؤمنه»(۱). و هو الذی هتف عالیاً أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه»(۲). و أخیراً هو الذی جعل العدوّ یشهد بأنّ حسیناً إنّما یقتل ثأراً من علی علیه السلام و هو الذی جعل الحرّ بن یزید الریاحی یعیش الخیار بین الجنّه و النار فیلتحق برکب الحسین علیه السلام.

۱- الأمالی للصدوق: ۲۲۳ مجلس ۳۰ قطعه من ح ۲۳۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۱۸ قطعه من ح ۱.

۲- مسند أحمد بن حنبل ۴: ۸ ح ۱۰۹۹۹ و ص ۱۲۵ ح ۱۱۹۵۴ و ص ۱۲۹ ح ۱۱۶۱۸.

إذن، فقد ذهبت أدراج الرياح جميع تلك المدّه المديده من الدعايات المسمومه خلال المرحله الاولى من حادثه كربلاء، ثمّ اتّضح ظلم يزيد و جوره، و ما زالت الحادثه الحسينيّه إلى يومنا هذا تدمع العيون و تجدّد الأحزان كلّ عام كما تجنّد الطاقات و تعبّئها باتجاه العدل و الحرّيه.

النظره السطحيه:

قد يظنّ البعض بأنّ حادثه كربلاء قد ضاعفت قدره بنى اميّه، و أنّ فقدان القائد قد أدخل اليأس على قلوب الناس، كما أدّت بعيالات الحسين عليه السلام إلى الأسر و السبى، دون الالتفات إلى أنّ هذه الحادثه قد هزّت عرش يزيد و قلبت خططه و أفكاره رأساً على عقب، فكلّنا نعلم أنّ يزيد قد هَمّ بتقويض صرح الإسلام و هدم معالم الدين، و كان يتحيّن الفرص للثأر من بدر و حنين، فى حين دفعت كربلاء بيزيد لأن يتظاهر بالدين و يلقى باللائمه على ابن مرجانه فى تعجيله بقتل الحسين عليه السلام.

يأس الامّه:

أمّا الامّه فلم تشعر باليأس بقدر ما عاشت حاله من الثوره و الغليان و الغضب و النقمه، الأمر الذى تمخّض عن قيام المختار، و لم تستطع الزعامه الغاشمه مواصله حكومتها إلّا بقوّه الحديد و النار. نعم، لقد آتت تلك الحادثه أُكُلها منذ لحظاتها الاولى، ثمّ أعقبتها تلك الحمله الإعلاميه التى قادها أهل البيت بعد الحادثه بيومين، لتشهد الكوفه من جديد الهدير العلوى المدوّى على لسان كريمته زينب الكبرى، ففضحت يزيد و أسقطت الأقنعه عن وجهه الكريه، كيف يزعم أنّ سبى زينب لم يكن من ضمن أهداف

الإمام علیه السلام؟ یا له من زعم أجوف؛ ما الذی حدا بالإمام لاصطحاب النسوه و هو یعلم بقتله فی کربلاء؟ لیس هنالک ما یدعو إلی القلق فیما لو بقین فی الحرم المکّی الآمن؟ ألا یشعر الإمام بالقلق علی عیالاته بالإتیان بهنّ إلی کربلاء و هو یعلم بقتله، فهل هنالک مثل هذا القلق لو بقین فی مکّه؟ لو بقین فی مکّه لما کان لهنّ من ملاذ بینما یتمتعن بالحصانه السیاسیه لو رافقن الحسین علیه السلام!! أو لم یبق ابن عباس و محمّد بن الحنفیه فی مکّه أو المدینه؟ لو لم یکن الأسر و السبی من ضمن الأهداف، أ فلا یعتبر الحسین علیه السلام مُقصّراً؟ فالحسین علیه السلام کان یعلم بأنّه مقتول، أ فلم یحتمل أنّ ذلک القتل سیؤدّی إلی سبی عیالاته؟ و علی فرض هذا الاحتمال فهل هو احتمال منجّز؟ اللهمّ إلّا أن یُقال: إنّ الإمام لم یکن قد تکهّن بعاقبه الأمر! طبعاً إن کنت ممّن یؤمن بأنّ الإمام معصوم بعید عن الزلل و الخطأ فکیف تحلّ هذا الإشکال؟ و کیف توفّق بین هذه التناقضات؟ نفترض أنّک تعتقد بأنّ الإمام لم یکن عالماً بعاقبه الأمر منذ البدایه، و لکن حین اعترضه الحرّ و قد اتّضحت عواقب الامور کما ذکرت فلِمَ لَمْ یقترح رجوع نسائه؟ هل کان الحرّ مأموراً بتسلیم عیالات الحسین علیه السلام إلی عبید اللّه أیضاً؟ لو کان الحسین علیه السلام اقترح علی الحرّ رجوع عیالاته أ لم یکن ذلک کافیاً فی قبول عذر الحرّ عند عبید اللّه؟ لقد أقررت بعذره حیث قلت: لو ترک الحرّ الإمامَ یرجع لما آخذه عبید اللّه، فلم لم یقترح الإمام رجوع عیالاته؟ و لما شعر بأنّ الخطر قد أحدق به- کما زعمت- فهل الإصرار علی اصطحاب أولئک الأعزّه یُفید عدم التنبؤ بوقوع الأحداث؟ إذن لا یمکن القول بأنّ الأسر لم یکن من الأهداف المرسومه، بل من المتیقّن کان جزءاً مکمِّلا للشهاده، فکان لا بدّ لتلک القافله من القیام بمهمّتها الإعلامیّه. فوظیفه الحسین علیه السلام التضحیه من أجل الإسلام، بینما کانت مهمّه زینب تکمن

فی تغطیه وقائع کربلاء و التعریف بشخص الإمام و فضح یزید و الحیلوله دون ضیاع دم الإمام و سائر الشهداء.

خطبه زینب الکبری:

لقد فهمت الامّه من خطبه زینب فی الکوفه أنّ حکومه یزید إنّما استهدفت القضاء علی الإسلام و محو آثار الرساله، و قد حال الحسین علیه السلام بدمه الشریف دون هذا الهدف، فالحسین علیه السلام لم یمت، فهو قتیل فی سبیل اللّه وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ(۱) بل یزید هو الذی قتل و قذف بنفسه فی الهاویه، فالإسلام باق و یزید زائل. و هذا هو المنطق الذی نهجه علی بن الحسین علیه السلام فی مسجد الشام، لمّا سمع الأذان و أقرّ الشهاده الثانیه بلحمه و دمه و جسمه و کلّ شی ء فی جسده، لیثبت حیاته من خلال حیاه الرساله و الشهاده بالنبوّه لجدّه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و لم یفلح یزید فی محوه للرساله، و علیه: فقد کانت حادثه کربلاء- منذ انعقاد نطفتها و مروراً بأحداثها و ما أعقبها من سبی و أسر- عنصر فاعل یفیض حیویّه علی الإسلام.

المنطق الغاشم:

طبعاً، یمکن لمنطق القوّه- الذی یستند إلی القمع و کَمّ الأفواه و التلویح بالحدید و النار- أن یشیع الخوف و الهلع و الرعب و الاضطراب کسحابه فی سماء الامّه، إلّا أنّ فجر الحریه و العداله إنّما یشقّ لا محاله عباب هذه السحب الزائفه، فینهض حماه الدین لیحطّموا تلک القوی الفارغه. و عوداً علی بدء فإنّ المؤلّف قد ساء فهم وجود الإمام و عدمه، فقد افترض

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۹.

أنّ الإمام لو كان حيّاً و أصبح زعيماً للمسلمين و دارت القياده الإسلاميّه حول محوره، لساد العدل و القسط ربوع العالم الإسلامی، و بالتالی لتحقّقت حکومه العدل التی نتطلّع إلی تشکیلها من قِبل إمام العصر و الزمان عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف، فتزول الفرقیه الطارئه علی الدین و لا تبقی إلّا الطائفه الإمامیه الحقّه التی تمثّل الدین، و حین افترض فقدان الإمام و عدمه ظنّ بأنّ هذا العدم یتضمّن زوال کلّ شی ء بما فیه الإسلام و استفحال الظلم و الجور و الطغیان الیزیدی! و علیه: فیخلص من خلال الفرضین إلی أنّ شهاده الإمام قد أدّت إلی ضرر عظیم لحق بالإسلام العزیز. و هنا یکمن الخطأ الذی ارتکبه المؤلّف فی إطلاق العنان لخیاله فی أن یسرح و یمرح کما یشاء. لنفترض أنّ الحسین علیه السلام قد انتصر- عسکریاً- علی یزید و تولّی الحکم، فهل ستسود الأحکام الإسلامیه و التعالیم القرآنیه حقّاً علی جمیع أنحاء المعموره، بحیث یشهد العالم الإسلامی المترامی الأطراف اندحار الجهل و الاضطراب و الظلم و الفوضی و سیاده العدل و المواساه و المساواه و الأمن و الاستقرار و ...؟ لا نعتقد بأنّ الأمر کذلک. و بالطبع فإنّ هذا لیس بمتعذّر علی الإمام الحسین علیه السلام فی أن یملأ العالم بهذه المفاهیم السامیه، إلّا أنّ هذا الأمل مشروط باندحار الأشقیاء و الجهّال و الطغاه و إزاله کافّه العراقیل التی تعترض سبیل الإمام، و لا نری لحدّ الآن مَن تمکّن من مثل هؤلاء الزعماء من اجتثاث جذور الظلم و الجور و إباده صروح الجهل و الحمق و تطهیر المجتمع من دنس الأرذال و الأوباش و الأشقیاء و إخضاعهم لمنطقهم و سلطنتهم. فأیّ من أنبیاء اللّه طبّق مثل هذه المفاهیم و الأهداف؟ هل استطاع موسی علیه السلام بیده البیضاء و عصاه أن یخلق من بنی إسرائیل مجتمعاً دینیاً متطوّراً و یجتثّ جذور الوثنیه و السامریه؟ فلم تجفّ أرجلهم من الماء حتّی طلبوا من موسی علیه السلام أن یجعل

لهم إلهاً كما كان للآخرين، و فى نهايه الأمر يخبر القرآن عنهم بقوله: وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّهُ وَ الْمَسْكَنَهُ(۱). و هذا نبىّ الإسلام أعظم زعيم عرفه العالم الإنسانى، فرغم جهوده الجبّاره و نجاحه فى نشر رساله السماء فى أنحاء العالم، إلّا أنّه لم يستطع أن يجعل الإسلام بكماله و تمامه هو الحاكم المطلق للعالم. هل استطاع نبىّ الإسلام إبّان حياته أن يضع الأئمّه الأطهار عليهم السلام صراحه فى مواقعهم؟ نعم، بعد كلّ تلك المدّه من الزعامه و الجهود المضنيه فى رفع مستوى الامّه و تعويدها على ممارسات الدين و مفاهيمه و ربطها بعجله الحضاره و الرقىّ و التمدّن و إنقاذها من الجهل و الوثنيه و التعنّت و التعصّب و المنطق الغاشم لأمثال أبى سفيان و صنميه أمثال أبى جهل، طرح أواخر حياته الشريفه قضيه الغدير التى صرّحت بخلافه على عليه السلام، فأطلق ذلك الرجل الذى كان قربه- و قد تغذّى على مفاهيم الإسلام- عبارته المعروفه «إنّ الرجل ليهجر»(۲)! هل استطاع الإسلام آنذاك اجتثاث جذور اليهود؟ هل استقطب إليه النصارى؟ هل استطاع إفهام تلك البشاره الصريحه و الميثاق الغليظ الذى اشتملت عليه التوراه و الإنجيل بشأن نبوّه محمّد صلى الله عليه و آله و يجعلهم يذعنون لصحّه ما يقول؟ و هل استطاع النبى صلى الله عليه و آله أن يخضع كافّه تلك الحكومات الجبّاره لحكومته و يجعلها تنضوى تحت لواء الإسلام؟ و هذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، أ لم يتزعّم الامّه و يأخذ بزمام الامور؟ أ لم تندفع إليه الجماهير و تضطرّه لقبول الخلافه؟ و عليه: فقد امتلك الجيش الجرّار و الإمكانات و ما من شأنه أن يجعل الحكومه تطبّق الأهداف القرآنيه

۱- سوره البقره: الآيه ۶۱.

۲- مسند أحمد ۱: ۷۶۰ ح ۳۳۳۶.

المقدّسه، أمّا زعامته و علمه بأوضاع العالم الإسلامی و شجاعته و اقتداره و ارتشافه من ثدی الوحی و تتلمّذه علی ید الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله فحدّث و لا حرج، و لکن أ لم تشهد هذه الزعامه منذ انبثاقها ذلک التمرّد و العصیان، و لا سیّما من أولئک الذین لم یروق لهم عدل علی علیه السلام، فرفعوا لواء المعارضه حتّی زجّوا بالإمام إلی میادین القتال، فکانت أوّلها معرکه الجمل، أ لم یقل القرآن: وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ(۱) فهل قرّت عائشه فی بیتها أم تزعّمت العسکر لقتال علی علیه السلام، فخاطبها بکلّ حزن و أسی «أ هکذا أمرک رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟»(۲). و أخیراً رأینا کیف امتدت زعامه معاویه و اتّسعت رقعتها و مدی الدماء الزکیه التی أُریقت من أجل تلک الزعامه. و الذی نرید أن نخلص إلیه هو بطلان تصوّر الموفّقیه و النجاح التامّ لأئمّه الدین فی الزعامه، و لو تزعّم الحسین علیه السلام الأمر لعانی ما عانی منه من قبله من الزعماء الربّانیین.

سر عدم النجاح:

لا شکّ أنّ السرّ فی عدم موفقیّه هؤلاء القاده هو أنّ الامّه لیست توّاقه جمیعها للعداله، کما أنّ الأفکار هی الاخری لیست مطهّره من الشوائب، فسنّه اللّه لم تجر بأن تبقی البشریه علی فطرتها و لا تتأثّر بعوامل الانحراف، بل غالباً ما تسیطر الشهوات و الأطماع و الخرافات و الجهل علی العقول، و هذه هی العناصر التی تهدّد الحکومات، و لذلک لیس لقوانین السماء حکومه عادله موفّقه تماماً من أجل بسط العدل و القسط، فهی لا تستطیع أن تقطع دابر المخلّین بالأمن و الاستقرار و تحول

۱- سوره الأحزاب: الآیه ۳۳.

۲- المناقب للخوارزمی: ۱۸۹، مناقب آل أبی طالب لابن شهرآشوب ۳: ۱۶۱، و عنه بحار الأنوار ۳۲: ۱۸۲.

دون جهلهم و أنانيّتهم، بل هذا هو حال الأكثريه دائماً، القوانين السماويه تتضمّن كافّه مفاهيم العدل و الكمال و الجلال، إلّا أنّها لاـ تفرض مفاهيمهـا على النـاس قسـراً، فهى تطرح مشاريعها على الناس «وَ مَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ»(۱)، و لاـ يلومنّ إلّا نفسه. إنّ هـدف الأنبيـاء هو جمع النـاس على الـدين و العبـاده التى تكفل الفلاح و السـعاده، إلّا أنّ هـذا الهـدف لم يـدخل حيّز التطبيق أبداً: يا حَسْـرَهً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْـتَهْزِؤُنَ(۲). فالدين الإسـلامى الذى جاء لتكامل الإنسان إنّما يمتلـك الجهاز القيادى الكامل الـذى لا يألو جهـداً فى إشاعه مفاهيم القرآن، إلّا أنّهم و بـدءاً برسول اللّه صـلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السـلام إنّما اصـطدموا بجمّ من الحوادث التى تعرقل مشاريعهم و أهـدافهم، و قد بلغت هذه الحوادث ذروتها حتّى صوّرها أمير المؤمنين عليه السلام:

«فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجا»(۳). و حين تدافعت الامّه لإمارته، و لم يكن له بدّاً من قبولها رغم نفرته منها قال:

«لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ...»(۴) أ لم ينتصـر المسـلمون فى ظلّ قائـدته، و يتّسع نور الإسـلام فى أطراف الدنيا؟ أو يمكن تصوّر تقاعس الإمام عن القيام بوظيفته فى الزعامه؟ الواقع هو أنّ الـدافع الـذى كان يقف وراء رفض الإمام عليه السـلام للزعامه هو علمه بهـذه الصدور التى ملأت حقداً و غيضاً و طمعاً، فما أكثر أمثال طلحه و الزبير و معاويه، و لم تكن سيره على عليه السلام

۱- اقتباس من سوره الكهف: الآيه ۲۹.

۲- سوره يس: الآيه ۳۰.

۳- نهج البلاغه: ۸۳.

۴- نهج البلاغه: ۹۰.

تنسجم و تأمين الطلبات اللامشروعه، و لذلك كان يعلم بأنّ هذه الخلافه التى تطالبه بالتزام جانب الحقّ و العدل و تطبيق الأحكام الإسلاميه و المفاهيم القرآنيه ستؤلّب عليه أعداء الدين، و بغضّ النظر عن كلّ ذلك فقد قبل الخلافه و سار بالعدل و ربط الامّه بدينها و قرآنها إلّا أنّ ثمن ذلك كان باهضاً. و خلاصه القول هو أنّه لا ينبغى أن يظنّ المؤلف بأنّ الحسين عليه السلام لو أطاح بحكومه يزيد و أخذ بزمام الامور فإنّه سيتمكّن تماماً من إشاعه الحريه و الفضيله و مفاهيم القرآن و بسط العدل و القسط و المساواه و الإنصاف، فلو انتصر الحسين عليه السلام و اندحر يزيد، فهناك مئات الأفراد من أمثال يزيد الذين تلبّسوا بلباس الإسلام، و هذا ليس ذنب الأئمّه صلى الله عليه و آله، بل ذنب هؤلاء المهووسين الذين يمثّلون عقبه كئوده فى طريق أئمّه الدين و زعماء المسلمين. و ما عليك إلّا أن تتأمّل صرخات الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، كان نداء مظلوميّه الإمام: علامَ تقاتلوننى، ما ذنبى؟ أو يكون ذنبى فى دعوتكم لى و رسائلكم التى وردتنى أن أقدم علينا فليس لنا من إمام، فقدمت إليكم؟ لقد صوّرتم برسائلكم مدى الظلم و الجور بما يجعلنى لا أتريّث فى القدوم إليكم، أولم ير المؤلّف أنّ جواب هذه الصرخات المظلومه كان قد تمثّل بالتهليل و التصفير و السخريه و السبّ و الشتم.

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه سوى الأسنّه و الرماح جواباً(۱)

فليوقن المؤلّف العزيز بأنّ الإمام عليه السلام حتّى لو فتح الكوفه، لما واجه من أولئك الأقزام سوى ذلك الجواب، طبعاً ستقف الطائفه المؤمنه الغيوره إلى جانب الحسين عليه السلام و تهبّ للدفاع عنه، غير أنّ ناهبى بيت المال و قطّاع الطرق و اللصوص

۱- أعيان الشيعه ۷: ۲۶، و القصيده بكاملها للسيّد رضا بن هاشم الرضوى الموسوى اللكهنوى.

سوف لن يقفوا مكتوفى الأيدى. إذن، فالصوره الاولى التى رسمها المؤلّف- و التى تمثّل حلماً لذيذاً- لا يمكن قبولها بأىّ شكل من الأشكال.

الصوره الثانيه:

نريد أن نرى هل أنّ حادثه كربلاء و فقدان القائد و وقوع الامّه فى قبضه يزيد كانت ضرراً على الإسلام أم نفعاً؟ و لو كانت نفعاً فهل نبارك للأفراد الذين صنعوا هذه الحادثه المؤلمه، أم لا بدّ أن ندينهم و نلعنهم إلى يوم القيامه؟ لقد أشرنا باختصار إلى أنّ حادثه كربلاء قد انطلقت لصالح الإسلام منذ ولادتها، و قد فشلت كافّه مخططات معاويه و مؤامراته و أمواله الطائله التى أنفقها فى إطار معاداه علىّ و أهل بيت النبوّه و الرساله عليهم السلام، و كان الفضل فى ذلك لركب الأسرى و السبايا الذى خاطب الرأى العام فى كلّ مكان و فضح يزيد و كشف مظلوميه الحسين عليه السلام، و الأهمّ من ذلك ما لعبته هذه الحادثه آنذاك من دور فى التسلّل إلى أفكار يزيد، فيزيد كان عازماً- منذ اليوم الأوّل لتربّعه على عرش السلطه- على القضاء على الإسلام و إباده القرآن، و التذكير و الاعتزاز بعصر الآباء و الأجداد، و التغنّى بالأصنام و الأوثان، فكان شعاره المشئوم.

لَعبت هاشمُ بالملك فلاخَبَرٌ جاءَ و لا وَحىٌ نَزَل(۱)

إلّا أنّ يزيد نفسه قد استوقف تنفيذ هذه الخطّه بصوره موقّته، و قد علم بأنّ عليه أن يتحمّل الضربات تلو الضربات و ينتظر زعزعه حكمه إذا أراد أن يقضى على الإسلام و يقتل الحسين عليه السلام، و لا شكّ أنّ ذلك التوقّف كان معلولًا لحادثه

۱- تقدم فى ص ۲۰۷.

کربلاء و قافله الأسری. و إذا أردت أن تقف علی هذا المعنی فتأمّل ما قاله یزید بعد شهاده الحسین علیه السلام و هو یقارن بینه و بین الإمام: «فلعمری ما أحد یؤمن باللَّه و الیوم الآخر یری لرسول اللَّه فینا عدلًا و لا ندّاً»(۱). لا شکّ أنّ یزید ینطق بذلک خداعاً، فهو لا یؤمن برسول اللَّه صلی الله علیه و آله إلّا أنّ الحادثه اضطرّته إلی ذلک لیثنی علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، و إلّا فقد أنشد:

لعبت هاشمٌ بالملک فلاخَبَرٌ جاءَ و لا وحیٌ نَزَلْ

لَستُ من خَندف إن لم أنتقم من بنی أحمد ما کان فَعَل(۲)

نعم، کلّما قام زُعماء الدین و إن قتلوا و من معهم من أتباعهم فإنّ أهدافهم و مشاریعهم دخلت حیّز العمل و التطبیق، غایه ما فی الأمر أنّ ذلک یستتبع التضحیه و الفداء و فقد الأحبّه، و إلّا فالشهاده هی تحقیق الهدف، لقد استشهد الحسین علیه السلام إحیاءً للسنّه، و حقّاً کان إحیاؤها بشهادته، لو لم ینهض الإمام و یتحمّل بصبر تلک المصائب و قتل الأحبّه و سبی النساء، لما بقی من الإسلام إلّا اسمه، و من القرآن إلّا رسمه و لعلا صرح یزید و عبید اللَّه و تحطّم صرح الدین، نهضه الحسین علیه السلام و تضحیاته العظیمه هی التی حالت دون بلوره خطط یزید، بل نهضه الحسین علیه السلام فضحت حکومه بنی امیّه و عرفت الامّه بشخصیه یزید، و نهضه الإمام الحسین علیه السلام أثبتت أصاله الإسلام و حفظت القرآن. و هذا غیض من فیض آثار تلک الشهاده فی أوائل واقعه کربلاء الألیمه.

معطیات الحادثه بعد وقوعها:

ربّما لا ینضب الحدیث فی هذا المجال، فالمدرسه الحسینیه مدرسه الحریه

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۵۵.

۲- تقدم فی ص ۲۰۷.

و التحرّر، و كلّ ثائر فى الإسلام إنّما يستصغر شأنه و دمه مقارنه بالحسين عليه السلام و استمداداً للعزم منه. المدرسه الحسينيه مدرسه الشرف و الشجاعه و المساواه و التضحيه من أجل إنماء شجره الإسلام، لقد تعلّم شهداء المدرسه الإسلاميه دروس الفداء و التضحيه من هذا الرجل الربّانى أبى الأحرار و الثوره، و التأمّل فى الحديث القائل بأنّ كلّ مسجد إنّما بنى بفضل دم شهيد سفك لا يفيد سوى الإقرار و الشهاده على صحّه هذا الحديث، فما المساجد و المعابد التى تشكّل مراكز العبوديه إلّا قبسات من شعاع الحسين عليه السلام و تضحياته الحسام، لقد استشهد الحسين عليه السلام، أمّا الإسلام فقد التقط أنفاسه و تجدّدت حياته. نعم، إنّما أحرقت خيام الحسين عليه السلام لتُقام خيام الإسلام التى تنشر معارف الدين و أحكام القرآن إلى يوم القيامه، لقد أصبح الحسين عليه السلام و الإسلام اليوم بمثابه «الصوره و المادّه» و صار الحسين عليه السلام هو الفصل المميّز للإسلام.

الحسين عليه السلام و الإسلام:

لا- يسع الأحرار من محقّقى الأديان و مفكّريها فى بحثهم لحقيقه الدين إلّا من خلال الإمام الباذل لمهجته، و قد تعرّفت الدنيا اليوم و من خلال دراستها لحادثه كربلاء على منهج الإسلام و مفاهيم هذا الدين الحنيف، فكانت بركه بطلها هذا التشيّع الذى ساد و ما زال يسود كافّه بقاع الأرض، فقد عاش المذهب الاثنا عشرى ردحاً من الزمن حياته خلف الحُجب و لم يستطع الأئمّه الأطهار عليهم السلام من التعرّض علناً لمسأله من مسائله على أساس فقههم دون اللجوء إلى التقيّه و الحذر من العدوّ، بينما غدا ببركه الحسين عليه السلام مذهباً رسمياً يظهر ملايين البشر من خلاله تشيّعهم ليمارسوا حياتهم و تعاليمهم بالانضواء تحت لواء الإمام الصادق عليه السلام زعيم المذهب.

و بالطبع، لا يمكن أن تورق ثمار هذه الشجره التى نبتت عروقها من دم الحسين عليه السلام على مدى الزمن القريب، و لا ينبغى الظنّ بأنّ صرخه الإمام كانت من أجل إنقاذ تلك الثلّه فى ذلك الزمان المحدود، أ فلا تعلمون أنّ الإمام عليه السلام عظيم و عملاق و على سعه من الفكر بحيث يستوعب مليارات الأفراد على مدى تقادم الزمان، و هذا سرّ تسطيره لتلك الحادثه. وليت شعرى أىّ منطق هذا الذى دعا المؤلّف للخوض فى فوائد حادثه كربلاء فى ذلك الزمان؟ ليخلص إلى أنّها أدّت إلى زياده شوكه يزيد و حبس الأنفاس فى الصدور و ذلّه الامّه و هوانها تجاه السلطه الأمويّه الغاشمه! فإذا كان الأمر كذلك، فقل قتال أمير المؤمنين عليه السلام لمعاويه فى صفّين قد أذلّ المسلمين و سبّب هوانهم، و على ضوء استنتاجك فإنّ صفّين وجّهت صفعه أقوى للإسلام، و جرّت عليه الضرر الأكبر إذا ما نظرت إلى عدد القتلى و فقدان الأولياء و ظهور فتنه الخوارج، و أخيراً تفاقم قدره معاويه و استحكام خلافته دون منازع!! و هنا يمكنك القول بأنّ علياً عليه السلام قد خاض قتال معاويه قسراً، و لم يكن جهاده ابتدائياً بل كان دفاعاً عن النفس! و لنا أن نسأل: أ ليس علىّ إماماً مفترض الطاعه و مصوناً عن الخطأ و عالماً بالأحداث؟ أ فَلَم يتّجه لقتال معاويه عالماً عامداً؟ بلى، يبدو أنّ الأمر لم يتمّ لصالح الإمام و قد تمكّن معاويه من اعتماد البدعه و الخداع، و لكن ما نتيجه الأمر؟ أ لم يكن قتال معاويه ضرورياً؟ كيف نقيم الأحكام التى يصدرها التأريخ اليوم بشأن معاويه؟ ما عاقبه معاويه؟ كيف ينظر العالم لعلى عليه السلام؟ كيف ترى قبر معاويه و المرقد المطهّر لعلى عليه السلام، ما ذا يقول القرآن بشأن علىّ عليه السلام؟ هل حفظ علىّ الإسلام أم قضى عليه؟ لو هادن الإمام حكومه

معاویه أ کانت تنشب معرکه صفّین؟ و لو صغی الإمام لنصیحه المغیره بن شعبه أ کان یسع معاویه فی تلک الفرصه المقتضبه أن یطالب بدم عثمان؟ ما ذا دهی علی علیه السلام لیجیب المغیره بهذه القوّه «لا أستعمل معاویه یومین»(۱)، کما ردّ علی اقتراح ابن عباس بالإبقاء مؤقّتاً علی معاویه فی الشام: «و اللّه لا أعطیه إلّا السیف»(۲).

و أخیراً ما ذا قال لشبث بن ربعی حین بعثه مع سعد بن قیس الهمدانی و جماعه إلی معاویه و إقراره بطاعه الإمام علیه السلام، فسأله ابن ربعی: و إن لم ینزل علی طاعتک فهل أنت مولیه؟ فقال علیه السلام: «إِنَّکَ لَا تُسِمعُ الْمَوْتَی وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ» الخ(۳)(۴). إذن، فلم تکن معرکه صفّین خارجه عن علم الإمام، فالإمام یعلم أنّه لو أطلق العنان لمعاویه فی الشام لما فکّر قط بالمطالبه بدم عثمان، الذی کان معاویه حریصاً تماماً علی سفکه، و رغم هذا العلم و الاطّلاع لم یکن علی علیه السلام مستعدّاً للإبقاء و لو لیومین علی مهادنه ذلک الجبّار الغاشم المعادی للإسلام و المسلمین، الذی شیّد قصره علی جماجم الضُّعفاء و المحرومین و هضمهم حقوقهم و نهب أموالهم و استباح بیت مالهم. نعم، الذنب ذنب معاویه الذی لم یذعن للحقّ و ینقاد له. فلو قلنا بعدم علم الحسین علیه السلام بحادثه کربلاء و أنّها أضرّت بالإسلام و قد اضطرّ الإمام فیها للدفاع عن نفسه، وجب علینا أن نرسم مثل هذه الصوره الزائفه لکافّه معارک أمیر المؤمنین علیه السلام و بعض حروب و غزوات النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله!! و لا یسعنا هنا أن نقول إلّا ما قاله الحسین علیه السلام: «فعلی الإسلام السلام»(۵).

۱- الکامل لابن الأثیر ۳: ۱۹۷.

۲- الکامل لابن الأثیر ۳: ۱۹۷.

۳- سوره النمل: الآیه: ۸۰- ۸۱.

۴- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۴: ۱۴- ۲۲.

۵- الملهوف: ۹۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۲۶.

إلّا أنّ الضمائر الحيّه و الأفكار الحرّه لا تتعاطف قطّ و هذه الصوره الفارغه، فالدنيا برمّتها ترى اليوم أنّ حياه الإسلام و عزّه المسلمين مرهونه بتلك النهضه الكبرى و تضحيه اولئك الفتيه و سبى تلك الصفوه. نعم، كان الأسر من الأهداف المرسومه للنهضه، و التضحيه و الفِداء منتهى طموحها، و فى قتل أبى الفضل العباس دروس و عِبَر فى تعليم الإخاء و الفضل و الإباء، و ما زالت و ستبقى هذه الحادثه تدمع العيون و تبكى القلوب، و إلى جانب هذه الدموع بحار من المحبّه و الرحمه التى يسبح فيها المجتمع الشيعى، و الحسين عليه السلام بطل الحريه و العداله هو الذى شقّ عباب هذا البحر و جعل أمواجه تفيض غيره و حرصاً على بناء الدين و تماسك قواعده. نعم، هذا غيض من فيض من معطيات نهضه الحسين عليه السلام و حادثه كربلاء الملحميه، التى تتضاءل لديها الأفكار و تجفّ الأقلام. سؤال: لو كانت لحادثه كربلاء مثل هذه المعطيات، و قد أدّت إلى قوّه شوكه الإسلام و انهيار دعائم الظلم و الجور، لم اصطلح الأئمّه عليهم السلام عليها بالمصيبه؟ فقد ورد فى زياره عاشوراء «يا لها من مصيبه ما أعظمها و أعظم رزيّتها فى الإسلام»(۱). جواب: طبعاً مصيبتها فى أنّها لِمَ حدثت و أَوْدت بحياه هؤلاء الفتيه و بتلك الطريقه البشعه التى تدمى القلوب، أمّا ثمرتها فلولا وقوعها لما بقى للإسلام اليوم من أثر، و بتعبير أوضح: مرض عضال مميت، و قد شخّص الطبيب علاجه بقطع الساق

۱- كامل الزيارات: ۳۳۰ ح ۵۵۶.

اليسرى للمريض و بخلافه يموت، فما عسى أن يشعر به والد المريض و والدته؟

ليس سوى الحزن و السرور، فالحزن لقطع ساق ولدهم و السرور لعدم موته، فشجره الإسلام كانت تشهد الذبول و التآكل بسبب حكومات الجور و الفساد، و قد اجتهد يزيد و عبيد اللّه على اقتلاع شجره الإسلام المباركه، و ليس هناك من وسيله لحفظها سوى دم الحسين عليه السلام، كانت هذه الأفكار لا تفارق ذهن الإمام التى جعلته يتّجه لعدّه ليال إلى قبر رسول اللّه صلى الله عليه و آله، ليس هنالك من سبيل سوى «لا أرى الموت إلّا سعاده»(۱) و إلّا مات الإسلام، آنذاك ستقطع تلك الأيادى الأثيمه التى تنوى العبث بعروق شجره الإسلام، و هنا تبلورت حادثه كربلاء، و على الإمام أن يُمارس دوره فى هذه التربه. و لم تكن هذه الفكره مقتصره على الإمام عليه السلام، فقد تكهّن بها مسبقاً، لا بدّ أن تشهد هذه التربه سفك الدماء المقدّسه لُاولئك الفتيه، ليستعيد الإسلام حيويّته، فلتسفك الدماء، و ليقف يزيد عند حدّه. و يشاهد امناء الإسلام و حماه العقيده- الأئمّه الأطهار عليهم السلام- هذه الصوره، فهم مسرورون لبقاء القرآن و ديمومه الإسلام، و فى ذات الوقت محزونون لهذه الحادثه و المصاب الجلل. لِمَ بلغت الامور بالإسلام فى ظلّ هذه الحكومات الفاسده هذا المأزق، و لم تعد هنالك من وسيله لعلاجه و بعث الحياه فيه سوى سفك دم الحسين عليه السلام؟ لم كان الثمن دم هؤلاء الصبيه و بتلك الطريقه المروّعه؟ لِمَ كربلاء؟ فالحادثه مصيبه و أعظم مصيبه، و هل من مصيبه أعظم من تلقّى الإسلام للضربات تلو الضربات أو الحيلوله دونها بإراقه دماء الطهر و العفّه و الفضيله بأيدى السفّاحين المتعطّشين للدماء؟ إذن، فكربلاء إذا نظر إليها من تلك الزاويه فهى مصيبه جلل، إلّا أنّها بالنظر إلى هذه الزاويه فتح و انتصار، يوم سرور الإسلام الذى التقط أنفاسه إثر هذه

۱- حليه الأولياء ۲: ۳۹، و عنه مناقب آل أبى طالب لابن شهرآشوب ۴: ۶۸.

الحادثه. إذن، یمکن النظر إلی هذه الحادثه من زاویتین: ۱- النظر إلیها من ذلک الجانب الفاسد الذی یسدّد الضربات الموجعه و المؤلمه، و التی لا یمکن تفادیها إلّا من خلال تضحیه الإمام! ۲- النظر إلی المعطیات الدائمه التی أفرزتها النهضه و تمخّضت عنها تلک الحادثه. فالحادثه علی ضوء النظره الاولی مصیبه و رزیّه، بینما علی أساس النظره الثانیه نعمه و سلامه، و علیه: فالأئمّه علیهم السلام إنّما یستندون إلی النظره الاولی- لا الثانیه- فی وصفهم لتلک الحادثه بالمصیبه. و علیه: فلا منافاه بین نعتها بالمصیبه من قبل الإمام مع تلک المعطیات التی لم تفرزها سوی طبیعه تلک الحادثه، و أمّا علی ضوء النظره الثانیه فکربلاء لوحه عشق تفیض عذوبه و رقّه و نوراً، ستسطع أشعّته إلی الأبد، و قد أشرقت فی أُفقها شمس الإمام لتُنیر کلّ دیاجیر الظلام، الأمر الذی یجعل الأئمّه علیهم السلام ینظرون إلیها بعین الفرح و السرور. و لا بأس هنا بسماع الکلمات الناطقه باسم أهل البیت، مخدّره حیدر و بطله کربلاء و زعیمه رکب الاساری، و هی تذکّر الامّه بصولات علی علیه السلام و خطبه فی الکوفه، و لا عجب فقد رضعت هی الاخری من ثدی الوحی، الأمر الذی جعل لها مکانه خاصّه عند الحسین علیه السلام، لقد تمثّل الملعون یزید بأشعار ابن الزبعری مسروراً بدرک ثأره من تلک المعارک و لا سیّما موقعه بدر، علی أنّه قتل القوم من ساداته و عدله ببدر فاعتدل، فلمّا سمعت زینب مقالته ردّت علیه قائله بعد أن حمدت اللَّه و أثنت علیه: «أ ظننتَ یا یزید حیث أَخَذْتَ علینا أقطار الأرض و آفاق السماء فأصبحنا، نُساق کما تُساق الأُساری، أنّ بنا علی اللَّه هواناً، و بک علیه کرامه؟ و أنّ ذلک لعظم

خطرك عنده، ... فشمخت بأنفك، و نظرت فی عطفك جذلًا مسروراً، حین رأیت الدنیا لك مستوسقه و الامور لك متّسقه، و حین صفا لك ملكنا و سلطاننا، مهلًا مهلًا! أ نسیتَ قوله تعالی: وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ(۱) ... و سع سَعْیَكَ و ناصِبْ جَهدك، فو الله لا تمحونّ ذكرنا، و لا تمیت وحینا، و لا تدرك أمدنا، و لا ترضی عنك عارها، و هل رأیك إلّا فندا، و أیّامك إلّا عددا، و جمعك إلّا بددا، یوم ینادی المنادی: ألا لعنه اللّه علی الظالمین»(۲). و نلاحظ كیف نظرت ربیبه علی علیه السلام من خلال اعتماد الزاویه الثانیه للحادثه، لتمیط اللثام عن وجه یزید و نیّاته المبیَّنه للإسلام و القرآن، فهی تبطل تصوّره الفاسد بالقضاء علی الإسلام، و تقول له: هل یمكن إماته الوحی، فلیس للقرآن من زوال ما دام فی أهل البیت عرق ینبض، إنّ الحسین علیه السلام هو الذی قضی علیك و أفشل مخطّطاتك. و علیه: فمراد الأئمّه علیهم السلام بكون الحادثه مصیبه هو ما مرّ سابقاً، و إلّا فحادثه كربلاء كانت بمثابه الدم الذی یجری فی العروق بالنسبه للإسلام و القرآن.

الكتاب و الخطأ الرئیسی الثالث

اشاره

الكتاب و الخطأ الرئیسی الثالث(۳)

الدفاع الشخصی! السلام المشرِّف! الاقتراحات الثلاث! لا یمكن أن تكون ثمره الدفاع عن النفس هی الشهاده من أجل إحیاء الإسلام و القرآن، و لیس

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۷۸.

۲- الملهوف: ۲۱۵- ۲۱۸، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۱۳۳- ۱۳۵.

۳- ألمحنا سابقاً إلی عدم ضروره إفراد بحث لمناقشه هذا الخطأ، علی أنّ الردّ علیه إنّما یتّضح من الإجابه علی الخطأین الماضیین، و لكن لا بأس بإلقاء المزید من الضوء علی هذا الموضوع لأهمّیته.

هنالک من مصدر صریح صحیح بشأن السلام المشرّف! کما أنّ ذلک الصلح لیس بمشرّف! و لا یعقل اقتراح مثل هذا السلام من قِبل الإمام! کتب المؤلّف فی ص ۲۰۴- ۲۰۵: «حین حُوصر الإمام من قِبل قوّات عبید اللّٰه بن زیاد، بعث بکتاب إلی عمر بن سعد یخبره فیه بالرغبه بالاجتماع به لیلًا ... عقدت الجلسه السّرِیّه بین الإمام و ابن سعد ... و قد استغرقت الجلسه وقتاً طویلًا ... و لم یعلم من تلک المفاوضات سوی ثلاثه اقتراحات تقدّم بها الإمام، و من شأن قبول أیّ واحد منها إقرار الصلح و السلام! ابن سعد من جانبه أعرب عن ارتیاحه لاقتراحات الإمام، فبعث بکتابه إلی عبید اللّٰه بن زیاد ... و قد کانت اقتراحات الإمام تحمل کلّ معانی الخیر و السلام، بحیث کان لها أثر بالغ علی ابن زیاد ... و کتب فی ص ۲۰۶ تحت عنوان «تقریر غلام جاهل»: «روی عن عقبه بن سمعان- أحد غلمان قافله الإمام الحسین علیه السلام- أنّه قال: لم یقترح الإمام الحسین علی ابن سعد سوی الرجوع إلی الحجاز.

ملاحظه:

کانت هذه هی العبارات التی سطّرها مؤلّف کتاب «شهید جاوید» بشأن السلام المشرِّف. و هنا نسأل المؤلّف: ما مرادک باقتراحات الإمام الثلاثه و التی أسمیتها فی الصفحات اللاحقه بالصلح المشرِّف؟ و هل یمکن صدور مثل هذه الاقتراحات من الإمام؟ و هل یُسمّی ذلک الصلح بالمشرّف(۱)؟

ما هی الاقتراحات الثلاث؟

ما ذا یقصد المؤلّف بالاقتراحات الثلاث؟ لِمَ لَمْ یذکرها؟!

۱- شهید جاوید: ۲۵۱.

الاقتراحات الثلاث على ضوء نقل الطبرى (ج ۴ ص ۳۱۳) و الكامل لابن الأثير (ج ۴ ص ۵۴) هى عباره عن: ۱- الرجوع إلى مكّه أو المدينه. ۲- أن يضع الإمام يده بيد يزيد ليرى فيه ما يشاء. ۳- يسيروا به إلى أىّ ثغر. هذه هى اقتراحات الإمام عليه السلام- من وجهه نظر أعداء الإمام- هل يرى المؤلّف أنّ هذه هى الاقتراحات الثلاث، أم هناك غيرها؟ طبعاً لا يقصد سواها، و الدليل ما أورده من قرائن فى كلامه من قَبيل: أنّ الإمام فاوض عمر بن سعد، و تقييم ابن سعد للمفاوضات و أنّها إيجابيه، و قد وافقه عليها عبيد اللّه. نعم، هذه هى القرائن؛ لأنّ عمر بن سعد المراوغ و عبيد اللّه بن زياد- ابن الزنا- يريان أنّ ذلّه الإمام مفيده، و أوضح جميع تلك القرائن هى الهوامش التى ذكرها المؤلّف عن كتاب الطبرى و الكامل لابن الأثير المختصّه بالصلح و الاقتراحات الثلاث. و بناءً على ما تقدّم فهذا هو مراد المؤلّف بالاقتراحات الثلاث- التى ذكرت بصوره مبهمه و غامضه فى الكتاب-، إلّا أنّ الأهمّ هو أنّ المؤلّف كان فى مقام إثبات صحّه إسناد تلك الاقتراحات إلى الإمام، فأراد أن يقول بأنّ الإمام عليه السلام قد طرح مثل هذه الاقتراحات من أجل الصلح، و لا يقتصر هذا الكلام على الطبرى و ابن الأثير، بل إنّ المؤلّف يقول بأنّ هذا النقل صحيح، و أنّ الإمام قد أجرى المفاوضات مع عمر بن سعد بتلك المقترحات من أجل إحلال السلام، و ذلك لأنّ المؤلّف شدّد على متابعه عقبه بن سمعان على أنّه غلام جاهل، لا اطّلاع له، و هو غلام مُطيع، و قلّما يقوم الغلمان الذين تقتصر وظائفهم على الطاعه و الخدمه بنقل

وقائع المفاوضات السرّيه، و ليس لعقبه من ذنب فی هذه الحمله الشعواء و الاستخفاف سوی أنّه قال: «صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينه إلی مكّه، و من مكّه إلی العراق و لم أفارقه حتّی قتل، و ليس من مخاطبته الناس كلمه بالمدينه و لا بمكّه و لا فی الطريق و لا فی العراق و لا فی عسكر إلی يوم مقتله إلّا و قد سمعتها، ألا و اللّه ما أعطاهم ما يتذاكر الناس و ما يزعمون من أن يضع يده فی يد يزيد بن معاويه، و لا أن يسيّروه إلی ثغر من ثغور المسلمين، و لكنّه قال: دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العريضه حتّی ننظر ما يصير أمر الناس»(۱). أضف إلی ذلک فإنّ المؤلّف يستدلّ بعباره للحرّ يوم عاشوراء من أجل البرهنه علی استدلاله و عدم اطّلاع عقبه. إذن، لا بدّ من الجزم بأنّ قصد المؤلّف من الاقتراحات المبهمه هو تلك الاقتراحات، و قد أيقن بصدورها من الإمام عليه السلام، و أنّ هذا ما قاله الإمام لابن سعد و صدق الطبری و ابن الأثير فی نقلهما. جدير بالذكر أنّ المفاوضات مع ابن سعد كانت فی اليوم السابع لثلاث قبل عاشوراء حسب قول الطبری و ابن الأثير، بحيث سدّت شريعه الماء علی الحسين عليه السلام، و لم يعد هنالک من أمل بالنصر، و لا يستبعد أن يكون الإمام قد عقد جلسه سرّيه مع عمر بن سعد ليله عاشوراء.

ملاحظه:

تضمّنت الصفحات (۲۱۳، ۲۱۴، ۲۱۵) ثلاثه امور مطلوبه من قِبل الإمام: ۱- الطلب الأوّل للإمام: إنشاء الحكومه الإسلاميه و ... ۲- الطلب الثانی- بعد اليأس من إنشاء الحكومه و الشعور بالفشل-: الصلح

۱- تاريخ الطبری ۴: ۳۱۳، الكامل لابن الأثير ۴: ۵۴ باختلاف.

المشرِّف، و هذا طلب اضطراری قطعاً. ٣- الطلب الثالث: الدفاع عن النفس بحكم الضروره و الاضطرار. ما ذا يقصد المؤلّف بالصلح المشرّف؟ هل هی الاقتراحات الثلاث من قِبل الإمام الحسين عليه السلام على عمر بن سعد؟ نقول بقوّه: ليس سوى ذلك، لأنّ الطلب الثانی بعد اليأس من النصر، و اليأس من النصر- حسب زعم المؤلّف- حصل عند مفاوضه عمر بن سعد بشأن الصلح؛ لأنّه يقول: «يبدو أنّ هذا الأمر طبيعی جدّاً، حيث سعی الإمام فی مفاوضاته السرّيّه الاولى أن يقنع عمر بن سعد بالالتحاق بمعسكره و الانطلاق معاً إلى الكوفه». و عليه: فاليأس المطلق من النصر كان حين حُوصر الإمام عليه السلام من قِبل جيش عبيد اللّه بقياده عمر بن سعد و لم يعد هنالك من أمل. و هنا تتّضح حقيقه الطلب الثانی للإمام الذی يسمّى بالصلح المشرِّف، و يمكن تسميته بالطلب الاضطراری، و هذا الصلح هو فی الواقع المقترحات الثلاث التی نقلها ابن الأثير و الطبری. و لمّا كان المؤلّف يعتقد بأنّ هذه المقترحات صدرت من الإمام حين اليأس من النصر، فلا بدّ أن يعتبر الصلح المشرف هو هذه المقترحات الثلاث التی تمثّل الطلب الثانی للإمام!! أمّا الشهاده فهی الطلب الثالث للإمام عليه السلام، و يوضّح المؤلّف هذه العباره قائلًا:

«أی بعد أن رفض أعوان يزيد اقتراح الصلح و أيقن الإمام بأنّه إذا استسلم سيُقتل ذليلًا كما فُعل بمسلم بن عقيل، لم يكن من الإمام لمّا تعرّض لهجوم الأعداء سوى الدفاع عن نفسه حتّى استشهد». «رفض أعوان يزيد الصلح» يعنی لو وضع الإمام يده بيد يزيد فإنّ ذلك لا يروق لأعوان يزيد، و لمّا رفضوا استسلم الإمام دون قيد أو شرط- العياذ باللّه-،

لقد رأى أنّ قتله حتمىّ؛ لأنّه إن استسلم فهو مقتول أيضاً، آنذاک دفعه الاضطرار لقتالهم حتّى نال الشهاده. هذه خلاصه أفكار المؤلّف حول الشهاده، و أسمينا هذه المعركه دفاعاً عن النفس، و بناءً على زعمه هذا، لم يكن قتل الإمام فى كربلاء أكثر من دفاع عن النفس، و أىّ دفاع؟ دفاع بعد الاستسلام و الذلّه- نعوذ باللّه- التى لم تَرق لأعوان يزيد.

تكرار:

لقد اتّضحت أفكار المؤلّف بشأن صلح الإمام و الاضطرار إلى الدفاع فى يوم عاشوراء، مع ذلک نعرض بصوره سريعه إلى آراء المؤلّف. كانت نهضه الحسين عليه السلام تهدف إلى الإطاحه بحكومه يزيد و الأخذ بزمام الامور، و قد فشلت هذه النهضه رغم استنادها إلى بعض العناصر المعتمده، و ذلک لأنّ الآمال تبدّدت و تحوّلت إلى يأس، و لا سيّما بعد مفاوضه عمر بن سعد و اقتراح الإمام عليه سرّاً الالتحاق بصفّه و الانطلاق نحو السيطره على الكوفه. إذ ذاک تغيّرت خطّه الإمام، فاقترح الصلح سرّاً على عمر بن سعد. كانت بنود الصلح تتضمّن ثلاث مقترحات و للحكومه العمل بأىّ منها: أمّا أن يسمح للإمام بالعوده إلى المدينه! أو أن يضع يده الشريفه بيد يزيد! هذه هى المقترحات المشرّفه التى لا تتنافى و شأن الإمام! إلّا أنّ عمر بن سعد رغم اعتباره مفاوضه الحسين عليه السلام مفيده و رغم موافقه ابن زياد بعد اطّلاعه على الأمر من قِبل ابن سعد، إلّا أنّ القوّه الحاكمه رفضت اقتراحات الإمام، و لم يتمكّن الإمام بحسن نيّته من حسم المشكله. لقد فشلت خطّه السلام المقترحه من قِبل الإمام، و عليه: فلا بدّ من اختيار الطريق الثالث. و هل هنالک سوى إظهار العجز و الاستسلام؟ هذه هى الفكره التى

خطرت علی ذهن الإمام، إلّا أنّ هذه الفکره لیست صحیحه، فأبن بنت رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد رأی بعینه بأنّ مسلم بن عقیل قد قُتل رغم استسلامه، و علیه:

فإذا استسلم هو قتل! فهل من سبیل سوی الدفاع عن النفس إلی آخر قطره دم؟ أم یستسلم للقتل بهذه السهوله دون الدفاع عن نفسه! إذن لو کان الإمام علیه السلام یری خلاصه فی الاستسلام لما قاتل! قاتل حیث لم یکن من سبیل سوی القتال! قاتل دفاعاً عن نفسه! و مرادنا من «الدفاع عن النفس» الذی یقول به مؤلّف «شهید جاوید» هو هذا المعنی کما تثبته دراساته و تأمّلاته لحادثه کربلاء و قتال الإمام الحسین علیه السلام!! و لا ندری أ نردّ علی هذه الترّهات أم نترک ذلک للإخوه القرّاء الأعزاء. و نری أن نردّ عسی المؤلّف المحترم یتدارک ما فرط من أمره و یطهّر کتابه من تلک الشوائب. إلّا أنّنا سنردّ بصوره مختصره.

هل للإمام أکثر من هدف؟

لیس للإمام علیه السلام فی نهضته أکثر من هدف، واحد، و هو إحیاء الحقّ و إزهاق الباطل. بعباره أُخری: إحیاء سیره النبی و سنّته و إماته البدع و الشهوات التی تلاعبت بمصیر المسلمین باسم الدین، و هذا ما جری کِراراً و مِراراً علی لسان الإمام فی خطبه التی أوردها خلال حرکته، کانت نهضه الإمام علیه السلام تهدف إلی إیقاف الظالمین عند حدودهم و إزاله آثار الفساد و الانحراف، و إشاعه مفاهیم القرآن فی الحلال و الحرام، و الوقوف بوجه الحکومات الجائره من عبده الأهواء و الشهوات، و إنقاذ المسلمین من براثن حکومه یزید الفاجر، هذا هو هدف الإمام. و لتسلیط المزید من الضوء علی هدف الإمام، نری من الضروری التعرّف علی بعض خطب الإمام علیه السلام خلال المسیره.

قال الإمام علیه السلام مخاطباً أصحابه و عسکر الحرّ فی «البیضه»: «ألا و إنّ هؤلاء قد لزموا طاعه الشیطان، و ترکوا طاعه الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالفی ء؛ و أحلّوا حرام اللَّه و حرّموا حلاله، و أنا أحقّ من غیّر ....»(۱). و خطب فی «ذی حُسم» فقال: «أ لا ترون أنّ الحقّ لا یُعمل به، و أنّ الباطل لا یُتناهی عنه، لیرغب المؤمن فی لقاء اللَّه محقّاً، فإنّی لا أری الموت إلّا شهاده و لا الحیاه مع الظالمین إلّا برماً»(۲). فقد اتّضحت بجلاء خلال هاتین الخطبتین دوافع النهضه، و هدف الإمام منها، فلیس للإمام علیه السلام سوی هدف واحد، و لم یخطّط سوی من أجل تحقیق هذا الهدف، و خطّته قتال السلطه الیزیدیه الحاکمه حتّی الموت و نیل الشهاده و اختیار مجاوره الرحمن. إذن، فالهدف واحد، و الخطّه اللازمه لتحقیق هذا الهدف لا بدّ أن تکون واحده أیضاً، و هی «القتال حتّی الشهاده» فالخطبتان کانتا إجابه لذلک السؤال. و هنا یبرز هذا السؤال: لم تُسفر هذه الدراسه إلّا عن نتیجه واحده، و هی أنّ هدف الإمام من هذه النهضه هو الوقوف بوجه الفساد و الانحراف و إحیاء سنّه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، إلّا أنّ الإمام اعتمد ثلاثه مشاریع من أجل تحقیق هذا الهدف: ۱) السیطره علی الحکومه، ۲) الصلح المشرِّف!، ۳) الدفاع! فلو سیطر الإمام علی الحکومه لظفر ببغیته، و إلّا فالصلح المشرِّف، ثمّ إعاده تنظیم القوّه و الاستعداد من جدید للقتال، فإن لم یکن ذلک فالدفاع عن النفس حتّی نیل الشهاده. إذن فقد کان للإمام علیه السلام ثلاث خطط من أجل تحقیق هدف واحد، ألا و هو إحیاء السُنّه و إماته البدعه.

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۴.

۲- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۵.

جـواب: هـل من عبـاره بشـأن الصـلح فی خطب الإمـام علیه السـلام؟ و هـل یفکّر فی الصـلح- و لو بصوره موقّته- من یقول: إنّ حکـومه یزیـد لزمـت طـاعه الشـیطان و ترکـت طـاعه الرحمن، و أظهرت الفسـاد و عطّلت الحـدود، و أحلّت حرام اللّه و حرّمت حلاله؟

و أیّ صـلح هذا؟ الصـلح المشـین! و لو قال هذا الإمام الهمام: أنا مسـتعدّ لأن أضع یدی بید یزید و أسـلّم لکلّ ما یرید! فهل هذا صلح أم ذلّه؟ و هل یفکّر فی الصـلح کوسیله لتحقیق الهدف من تصدح حنجرته «هیهات منّا الذلّه»؟ و بناءً علی ما تقدّم من مفاد الخطبتین فـإنّ الإمـام کـان قـد عقـد العزم علی القتال حتّی الشـهاده التی لا یراها إلّا سـعاده، و علیه: فلم یعـد هنالک من معنی و مفهوم للصلح فی قاموس النهضه الحسینیه.

الصلح المشرِّف!

إنّ الخطبتین المـذکورتین و إن کانتا کافیتین لأن نقول- بصـفتنا غلمان الحسـین و جریاً علی ما قاله غلامه عقبه بن سـمعان- بأنّ نسبه مثل هذا الصـلح إلی الإمام کذب محض، مع ذلک نقف أکثر عند هذا الصـلح لنؤدّی وظیفتنا کغلمان للإمام الحسـین علیه السـلام. لا ندری لِمَ اصـطلح المؤلّف علی الاستسلام دون قید أو شرط بالصلح المشرِّف، فهل الاقتراحات الثلاث- التی استندتَ فیها إلی الطبری و لم یسمح لک کذبها و زیفها بذکرها تعنی استسلام الإمام علیه السلام لیزید لیفعل ما یحلو له؟ فهل للإمام أن یُصالـح من ینعته بشارب الخمور و المتجاهر بالفسق و ناهب بیت المال و عبد الشـیطان و المشـرِّع لما یخالف القرآن؟ و هل هذا صلح مشرِّف! و هل یتقدّم الإمام علیه السلام إلی مثل هذا الصلح و هو القائل: أُرید أن آمر بالمعروف

و أنهى عن المنكر و أسير بسيره جدّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و أبى علىّ بن أبى طالب عليه السلام(۱)؟ و هل يعقل أن يُصالح الإمام عليه السلام من يتفوّه.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحى نزل(۲)

و هو يهدّد بالقضاء على الدين و القرآن و المسلمين و محمّد صلى الله عليه و آله؟ نحن لا نرى معقوليه صدور مثل هذا الصلح عن الإمام، و نسأل من يقول: إنّ الإمام أراد أن يدّخر القوى ليوظّفها فى المستقبل بما ينفع الإسلام. أىّ قوى هذه؟

هل المراد بها القوى التى و اكبت الإمام فى مسيرته إلى كربلاء بما فيها النساء و الصبيه و الكهول كمسلم بن عوسجه و حبيب بن مظاهر؟ أم قوّات الكوفه الشعبيه! الكوفه التى يشهد المؤلّف بأنّها واقعه فى قبضه عبيد اللَّه، أم القوّات التى ستتشكّل لاحقاً؟ و هل هنالك من أمل فى تشكيل قوّات من شأنها القتال فى سبيل اللَّه إلى جانب الإمام بعد انسحابه إلى أحد الثغور- طبق البند الثالث المقترح- و ذلك الضغط الشديد و الهوّه بين الإمام و الامّه و اليأس و السيطره التامّه لعبيد اللَّه بن زياد على العراق، الذى يمثِّل مركز ثقل أنصار أهل البيت عليهم السلام؟ و الإمام يستريح قليلًا و يلتقط أنفاسه و يضع يده بيد يزيد و يتنزّه فى قصوره الفخمه ريثما تنتظم القوّات الشعبيه فيشنّ حملته ضدّ حكومه يزيد! هل هذه التصوّرات معقوله؟ و هل يفكّر مصباح الهدى- الإمام- بهذه الطريقه و ليتوصّل بالتالى إلى «الصلح الاضطرارى»؟ نعم، هذا ليس بصلح معقول و لا يمكن نسبته إلى ابن بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و الاصطلاح عليه بالصلح المشرِّف. و بغضّ النظر عمّا مضى فهل من سند لهذا

۱- بحار الأنوار ۴۴: ۳۲۹- ۳۳۰.

۲- تقدّم فى ص ۲۰۷

الصلح المقترح؟ نعم، سنده الكامل لابن الأثير و تأريخ الطبرى، أمّا عباره الكامل فهى: «ثمّ بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظه أن القنى الليله بين عسكرى و عسكرك، فخرج إليه عمر فاجتمعا و تحادثا طويلًا و قد استغرقت المفاوضات السرّيّه للطرفين وقتاً طويلًا، و كثر حديث الناس، فكان الظنّ الغالب هو أنّ الإمام طلب من عمر بن سعد نصرته ... نعم، لقد ظنّت الأكثريه ذلك، و هنا قال فرد مجهول: لا، فقد اقترح الإمام على عمر ثلاث مقترحات على أن يقبل أحدها» فهل لنقل ابن الأثير هذا سند؟ و هل يعتمد نفس ابن الأثير على نقل فرد مجهول غير معروف ظنّ أنّ اقتراح الإمام عليه السلام على عمر كان ذلك الصلح المشرّف، و لمزيد من الاطمئنان نورد عباره الكامل حيث قال: «و قيل: بل قال له: اختاروا منّى واحده من ثلاث: إمّا أن أرجع ... و إمّا أن أضع يدى فى يد يزيد ... و إمّا أن تسيروا بى إلى أىّ ثغر ...»(۱). و يلتفت أهل العلم إلى أنّ نقل حديث الشخصيات العلميه أو التأريخيه أو السياسيه لا يقال فيه أبداً «قيل» بل يقال: «قال»، و إذا ذكر فى موضع كلمه «قيل» فإنّ ذلك دليل على عدم الاعتناء بحديثه و أنّه مجهول بحيث لا يذكر اسمه، و لمّا عبّر ابن الأثير ب «قيل» فإنّ الشخص الذى ظنّ أنّ حديث الإمام عليه السلام مع عمر بن سعد كان يتمثّل بالاقتراحات الثلاث ممّن لا يمكن الاعتماد على ظنّه و الاعتناء بحديثه، و لا يمكن أن يحظى باهتمام حتّى مؤلّف كتاب الكامل فضلًا عن الباحثين و المحقّقين. و بغضّ النظر عن هذا، أ لم يكذّب عقبه بن سمعان- الغلام الخاصّ للإمام عليه السلام- هذا الاقتراح، و قد نقل عنه الطبرى و الكامل أنّه قال: فو الله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنّه يضع يده فى يد يزيد و لا أن يسيّره إلى ثغر من ثغور المسلمين ...

۱- الكامل لابن الأثير ۴: ۵۴.

و لا یمکن القول أنّ عقبه- الـذی کان غلاماً للإمام علیه السـلام- لم یکن مطّلعاً علی الأوضاع؛ لأنّ هذا الغلام حامل الأسـرار، و یفهم من کلامه أنّه کان معتمـداً من قِبل الإمام، و أنّه لم یفارق مولاه خلال مسیره من المدینه حتّی یوم شـهادته. و إذا قیل: لقد أشـار الحرّ بن یزیـد الریاحی ضـمن اعتراضه علی ابن سـعد إلی هـذا الاقتراح، و یتبیّن أنّ الحرّ کان مطّلعاً أیضاً، و اطّلاعه مقـدّم علی الاطّلاـع الهشّ للغلام عقبه بن سـمعان. فنقول: أوّلًا: أنّ الحرّ لا یقول بأنّ الإمام طرح مثل هـذا الاقتراح علی عمر بن سـعد و أعوان یزید، بل خاطب الناس قائلًا: «أ لا تقبلون من الحسـین خصـله من هذه الخِصال التی عرضـها علیکم ...»(۱). و ثانیاً: لم یرد ذکر للمقترحـات. ثالثـاً: لاـ یعلم هـل کانت ثلاث مقترحات أم أکثر. و رابعاً: أشار الحرّ فی حـدیثه إلی خطبه الإمام علیه السـلام بالناس، فسمعه الحرّ یقول:

«لا و اللّه لا أعطیهم بیدی اعطاء الذلیل ...»(۲). و علیه: فلا یمکن القول بأنّ الخِصال التی ذکرها الحرّ هی تلک الاقتراحات علی عمر بن سـعد، و أنّه کان مطّلعاً علی الصـلح المشـرِّف، و لا یمکننا رفض قول عقبه بن سـمعان بتکـذیب هـذا الصـلح المشـرّف، بحجّه کونه غلامـاً، فهل کونه غلاماً ذنب یـدعو إلی عـدم الوثوق بإخباره و نقله؟ و خامساً: یقوی الظن بأنّ الخصال التی أوردها الحرّ فی حدیثه هی تلک الاستفهامات التی طرحها الإمام من قَبیل: أ لم تکتبوا إلیّ رسائلکم؟ أ لستُ ابن

۱- الکامل لابن الأثیر ۴: ۵۴، تاریخ الطبری ۴: ۳۱۳.

۲- الکامل لابن الأثیر ۴: ۶۴.

بنت نبیّکم؟ أ لستُ سید شباب أهل الجنّه؟ أ لم یقل جدّی: «الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه»؟ أ تطلبونی بمال أخذته؟ أم دم سفکته؟(۱) هذه الخِصال التی لو صدّقوا واحدهً منها و کانت لهم ذرّه من ضمیر، لما صوّب أهل الکوفه سهامهم و حِرابهم إلی الإمام، و لما تمکّن بعد ذلک عبید اللّه و عمر بن سعد من مواجهه أبی الفضل العباس و لیوث کربلاء. و لذلک نری الحرّ یلتفت إلی نفس هذا الأمر فیقول فی آخر حدیثه: «أ لا تقبلون من حسین خصله من هذه الخصال التی عرض علیکم فیعافیکم اللّه من حربه و قتاله؟ ... إذ دعوتموه حتّی إذا أتاکم أسلمتموه، و زعمتم أنّکم قاتلو أنفسکم دونه ثمّ عدوتم علیه لتقتلوه»(۲). و علیه: فهو یلقی بالتبعه علی جیش الکوفه الذی أراده الإمام عوناً فتحوّل إلی فرعون لموسی کربلاء: الحسین علیه السلام. سؤال: لعلّ هناک من یقول بأنّه لیس من الصواب الاستناد إلی ابن الأثیر فی تلک المقترحات، و حتی ابن الأثیر لا یعتقد بأنّ الإمام طرح تلک الاقتراحات، غیر أنّ سندنا تأریخ الطبری، فقد نقل الطبری عن أبی مخنف، عن عدد من المحدّثین أنّ الإمام طرح المقترح الفلانی علی عمر بن سعد. جواب: أوّلًا: کانت مفاوضات الإمام علیه السلام- حتّی بقول الطبری(۳)- مع عمر بن سعد

۱- انظر مقتل الحسین علیه السلام لأبی مخنف(وقعه الطف): ۲۰۶- ۲۰۷.

۲- مقتل الحسین لأبی مخنف(وقعه الطف): ۲۱۵.

۳- تاریخ الطبری ۴: ۳۱۲- ۳۱۳.

سرّیّه، و لا یمکن التنبّؤ بکنهها إلّا من خلال الحدس و الظنّ، و لو استند الدلیل إلی الحدس فقد اعتباره، علاوه علی ذلک فقد قال الطبری: ظن أغلب الناس أنّ الإمام لم یطرح أکثر من اقتراح علی عمر بن سعد. و ثانیاً: رغم أنّ الطبری ینقل عن أبی مخنف، و هذا عن عدد من المحدّثین فی أنّ مقترحات الإمام علیه السلام ثلاث، إلّا أنّ نفس أبی مخنف- علی قول الطبری- روی عن عقبه بن سمعان: «ألا و اللّه ما أعطاهم ما یتذاکر الناس، و ما یزعمون من أن یضع یده فی ید یزید بن معاویه، و لا أن یسیّروه إلی ثغر من ثغور المسلمین، و لکنّه قال: دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العریضه حتّی ننظر ما یصیر أمر الناس»(۱)، أمّا ما شاع بین الناس من الاقتراحات الثلاث فهی ظنون لا أساس لها. و ثالثاً: الطبری هو الآخر نقل حدسیات الناس و کذلک قول المحدّثین و کلام عقبه بن سمعان، أ فلا یدلّ هذا النقل علی عدم اعتناء الطبری بقول المحدّثین؟ بل دلیل علی عدم إصداره حکماً یعتقد به. و إذا غضضنا الطرف عن هذا، فما الذی یفیده نقل الطبری؟ هل یفید أکثر من کون المفاوضات کانت سرّیّه و أنّ الناس أبدت ظنونها و حدسها بهذا المجال؟ فقد قال البعض: إنّ الإمام لم یتقدّم بأکثر من اقتراح واحد، و قال البعض الآخر: بل کانت ثلاث اقتراحات، و لعلّ هذا رأی الأکثریه، کما أشار إلی ذلک عقبه بن سمعان، فقد صرّح بأنّها لم تکن سوی شائعات جوفاء لا أساس لها، و لم یقل الإمام علیه السلام سوی: «دعونی فلأذهب ...». و علی هذا الضوء أ لا یمکن الظنّ بأنّه لیس هنالک من سند لقول المحدّثین عن العامّه التی نقل عنها أبو مخنف سوی ظنّ الناس و حدسهم البعید عن مفاوضات الإمام علیه السلام و عمر بن سعد؟ و علیه: فهل یمکن الاستدلال بقول المحدّثین؟ و هل لهذا

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۱۳.

القول من اعتبار حتّى من وجهه نظر أبى مخنف؟ إذن، فتاريخ الطبرى ليس من شأنه أن يفيدكم و لا يمكنكم جعله دليلًا للاستنباط، و بغضّ النظر عن هذا، و لنفرض أنّ الطبرى يعتقد بأنّ الإمام قد اقترح البنود الثلاث، فهل يمكن الاستناد إلى قول الطبرى فى أن نقول: «يوجد هنا بعض المطالب المسلّمه ... الرابع: أنّ الإمام تقدّم بثلاثه اقتراحات لو طبّق أىّ واحد منها لتمّ عقد الصلح دون ترديد؟ ...». أ و ليس قول الطبرى يتعارض و قول ابن الأثير؟ الذى قال: و قيل: بل قال له:

اختاروا منّى ... أى أنّ المحدّثين لم يقولوا، و لم يكن ذلك شائعاً بين الناس فى أنّ الإمام قاله، بل هذا قول مجهول. إذن لا يمكن الاستدلال بقول الطبرى طالما كان متعارضاً مع كلام ابن الأثير.

الأهمّ من كلّ هذه الأقوال:

الأهمّ من كلّ ما ذكر روحيه الإمام عليه السلام و هدفه المقدّس و عزمه الفولاذى و رسالته التأريخيه و علمه الثاقب بمصير الامور و شوقه للقاء اللّه و وظيفته الربّانيه، كزعيم للُامّه و خطبه الملحميه: «لا و اللّه لا أعطيهم بيدى اعطاء الذليل ...»(۱). «هيهات منّا الذلّه»(۲). «إنّ اللّه لا يغلب على أمره ...»(۳). «و كأنّى و أوصالى يتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا»(۴).

۱- مقتل الحسين عليه السلام لأبى مخنف(وقعه الطف): ۲۰۹.

۲- تحف العقول: ۲۴۱، الاحتجاج ۲: ۹۹، مثير الأحزان: ۵۵.

۳- الإرشاد للمفيد: ۲/ ۷۶، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۷۵.

۴- مثير الأحزان: ۴۱.

«من لحقَ بی استشهد»(۱). «هاهنا و اللَّه محطّ رکابنا و سفک دمائنا ...»(۲). کلّ هذه الشواهد و مئات القرائن الاخری تدعو إلی الجزم بأنّ الإمام علیه السلام لم یتقدّم قطّ بتلک المقترحات الثلاث إلی حکومه یزید الخزی و العار، و لا سیّما أنّ الإمام علیه السلام أعرف من الجمیع بمدی إصرار یزید علی حزّ رأسه و ابن مرجانه الذی غالباً ما کان ینادیه الإمام بابن الزانیه! و رغم کلّ ذلک، فإذا کان هناک من یشعر بالتردید فإنّا نقول له- و فرض المحال لیس بمحال-: لو کان هناک من اقتراح فإنّما طرح علی الناس بهدف إتمام الحجّه و کشف النقاب عن روحیه أهل الکوفه المتعطّشه لإراقه الدماء و إفهام الدنیا بأنّ الإمام لا یحمل سوی رساله الصلح و السلام التی اندفع إلیها بکلّ ما أُوتی من قوّه، إلی الحدّ الذی جعله یقدّم مثل هذه التنازلات حرصاً علی سلامه الامّه و عدم سفک دمائها، فی حین لم تجبه حکومه الجبابره و کانت مصرّه علی قتله، و إلّا فکیان الإمام علیه السلام کان مفعماً بصرخات «هیهات منّا الذلّه». سؤال: ربما کان هناک من یقول: المراد بالصلح المشرِّف هو ذلک الاقتراح ذکره عقبه بن سمعان، فی أنّ الإمام قال لهم: «دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العریضه».

و قد أورد الإمام مثل هذا الاقتراح یوم عاشوراء، و إذا تجاهل المؤلّف قول عقبه، فلیس له أن ینکر مثل هذا المضمون الذی صرّح به الإمام علیه السلام یوم عاشوراء.

۱- کامل الزیارات: ۱۵۷ ح ۱۹۵.

۲- الملهوف: ۱۳۹.

إذن، فالصلح المشرِّف هو هذا الاقتراح. و لا بدّ من القول بأنّه مشرّف لكون الإمام لا يرضى بالقِتال و إراقه الدماء. جواب: كان الاقتراح على الناس لا أعوان الحكومه، بينما حديث المؤلّف عن الصلح كان على أساس مفاوضه أعوان الحكومه، فقد كتب المؤلّف فى ص ۲۱۵: «و بعد أن رفض أعوان الحكومه عقد الصلح ...» أ و ليس الصلح الذى رفضه أعوان الحكومه هو تلك المقترحات الثلاث؟ إذن، فهذا الصلح لم يكن ذلك المقترح الذى نقله عقبه بن سمعان. نعم، لو تحدّث الإمام عليه السلام إلى الناس، كان لا بدّ من القول حقّاً أنّ هذا حديث الإمام و اقتراحه على الناس، و هو جدير بأن يُسمّى بالصلح المشرّف، و ذلك لأنّه مشروع يحول دون إراقه الدماء و يكشف عن حرص الإمام عليه السلام على سلامه الامّه، رغم علمنا أنّ تلك الامّه ليس لها و لا لدمائها من قيمه و اعتبار من وجهه نظر الإسلام، غير أنّ رأفه الإمام عليه السلام و رحمته و حلمه لم تدعه يسمح بإراقه دماء حتّى تلك العصبه المراوغه الكاذبه الغادره، و الحقّ أنّ هذا الصلح لما كان يهدف إلى سلامه الامّه فهو صلح مشرّف لا ذلّه فيه، كما يمكن القول فى نفس الوقت أنّه اقتراح لترك المخاصمه و كاشف عن عظمه الإمام، و لكن و على أساس ما ذكر سابقاً، لا يمكنه أن يكون كاشفاً عن الإراده الجديّه للإمام بمصالحه الامّه، و ذلك لأنّ الإمام يعلم أنّ هذه الامّه مغلوبه على أمرها و ليس لها من إراده، فهى حفنه جنود تزجّ بنفسها جهلًا بالمعركه أملًا فى الحصول على حطام الدنيا و ما يمنّيهم به أسيادهم، و ليس للجندى من حقّ فى اتّخاذ القرار أو المشاركه فى مفاوضات الصلح و ما شاكل ذلك- طبعاً هذا فى الأنظمه غير الإسلاميه، و إلّا فهو صاحب قرار فى الإسلام على ضوء

المقرّرات و الضوابط الإسلاميه- كما كان الإمام عالماً بشهادته، و هذا العلم يمنعنا من القول بأنّ إراده الإمام عليه السلام الحقيقيه كانت الدعوه إلى المصالحه. و بناءً على هذا فإنّ طرح الاقتراح بهذه الجديّه لم يكن وارداً، فلا يمكن للإمام عليه السلام أن يُطالب جدّياً بإخلاء سبيله، و لعلّ مراده هدف أسمى من ذلك، كأن يُفهم العالم أنّنا لسنا طلّاب حرب، و أنّنا حريصون على الصلح و السلام إلى أبعد الحدود و هذا ما أبلغنا به الامّه، إلّا أنّ دعوتنا لم تلق آذاناً صاغيه، و حتّى لا ينبرى أحد ليقول: لِمَ ألقى الإمام بنفسه فى التهلكه؟ ليس للإمام من عداء لأحد من أبناء الامّه و قد حلّ عليها ضيفاً بعد أن دعته، رغم علمه بعاقبه هذه الضيافه التى ستكون مائدتها رءوس يطاح بها و دم عزيز يُسفك، فهذا ما أوصاه به جدّه و أبوه من إجابه دعوه الناس. إذن، فالهدف الرئيسى للإمام عليه السلام هو إعلان الصلح و السلام و إماطه اللثام عن نيّات السوء التى يبيّتها يزيد و مرده الكوفه، و إلّا فالحسين عليه السلام كان يعلم بأنّ جيش عبيد اللَّه بن زياد كان مسلوب الإراده، و حتّى لو افترض لهم ثمّه إراده، مع ذلك كانوا من المرده و الغدره الفجره الذين هبّوا لضيافه ابن بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بتلك الطريقه اللئيمه، كان الإمام عليه السلام عالماً بأنّ تربه كربلاء ستشهد ذلك النزيف الدموى الطاهر، و عليه: فاقتراح الإمام لم يكن سوى تعبيراً عن حبّه و حرصه على الإنسانيّه، و بيان ذلّه و دناءه جيش ابن زياد، و إتمام الحجّه على مَن شهد فصول ذلك المشهد الدامى فى صحراء كربلاء.

ثوره الإمام عليه السلام ليست دفاعاً عن النفس

قيل: إنّ الهدف الذى يحظى باهتمام الإمام بالدرجه الثانيه هو الصلح، و حيث فشل الصلح فيأتى دور الاستسلام و وضع اليد بيد يزيد و ... و رفض من قبل

أعوان یزید، فقد انبثق الهدف الثالث: «الدفاع» و قال المؤلّف فی وصفه للدفاع:

«أیقن الإمام بأنّه إذا استسلم فسیُقتل بنفس الطریقه الذلیله التی قُتل بها مسلم بن عقیل، و علیه: فلیس له من سبیل أمام هجوم الأعداء سوی الدفاع ...». إنّا و إن أوردنا هذه العباره سابقاً إلّا أنّنا نروم من تکرارها، لتسهیل الوقوف علی بعض الامور، فالعباره تُفید أنّ عملیه الدفاع قد ظهرت بعد فشل مشروع الاستسلام و هجوم العدو. و علیه: فالدفاع جاء بعد سلسله من الفشل و الهزیمه، الفشل فی تزعّم الامور و السیطره علی الکوفه و الفشل فی تحقیق الصلح المشرّف، و الفشل فی التسلیم إلی العدوّ، و بالتالی عزم العدو علی قتل الإمام علیه السلام!! فهل مثل هذا الدفاع مشرّف؟ و هل هذا الدفاع المشرّف شهاده؟ أم دفاع عن النفس؟ بعباره اخری: هل أنّ شهاده الإمام کانت بهدف إحیاء الإسلام و إماته البدع و تحریر الامّه من براثن الطغاه؟ أم أفرزته الضروره و الاضطرار بعد فشل مشروع الاستسلام؟ و لو لم یدافع فما ذا عساه أن یفعل؟ لا یسعنا أن نسمّی مثل هذه الشهاده سوی الدفاع عن النفس، و نعتقد أنّ الإمام بری ء من مثل هذه النهضه و الثوره، و نری أنّ هناک خطّه عظیمه وراء قتل الحسین علیه السلام فی کربلا، خطّه مدروسه سلفاً جری بها القلم، و علی الإمام علیه السلام تنفیذها شاء أم أبی فی کربلاء، و علیه أن یتضرّج بدمه فداءً للقرآن و الإسلام. فقد قال الباقر علیه السلام: «یا حمران إنّ اللّه- تبارک و تعالی- قد کان قدّر ذلک علیهم و قضاه»(۱). أمّا الدفاع عن النفس فلا یعنی سوی الاضطرار للقتل؛ لأنّه من المفروض أنّ الإمام حتّی إذا استسلم فإنّه سوف یُقتل، و لم یکن قد تکهّن بعاقبه الحرکه حتّی زُجّ به فی کربلاء زجّاً!! إذ ذاک لا بدّ من إبطال کافّه کلمات الإمام- و العیاذ باللّه- التی

۱- الکافی ۱: ۲۶۲ باب أنّ الأئمّه یعلمون علم ما کان ... ح ۴.

قالها علیه السلام من قبیل: «لا أری الموت إلّا سعاده و الحیاه مع الظالمین إلّا برماً»(۱). و قوله فی ذی حسم حین اقترب من کربلاء: «أ لا ترون أنّ الحقّ لا یعمل به و أنّ الباطل لا یُتناهی عنه، لیرغب المؤمن فی لقاء اللّه محقّاً، فإنّی لا أری الموت إلّا سعاده ...»(۲). هذا هو الهدف الذی جعل الإمام علیه السلام یُقاتل حتّی الموت و یضحّی بالغالی و النفیس من أجل الشهاده. الشهاده من أجل أهدافه السامیه، لا من أجل الدفاع عن النفس، الإمام یرید نفسه لهدفه، للإبقاء علی اسم رسول اللّه صلی الله علیه و آله و حفظ القرآن و الدفاع عن المظلومین و الوقوف بوجه الظالمین، هذه الأهداف أعزّ علی الإمام من نفسه، فهو القائل: «أ لا ترون أنّ الحقّ لا یُعمل به و أنّ الباطل لا یتناهی عنه، فلیرغب المؤمن فی لقاء ربّه» لیس هنالک من معنی للحیاه فی قاموس الإمام علیه السلام إذا ساد الباطل وضاع الحقّ. إذن، فهدف الإمام علیه السلام منذ البدایه هو الشهاده من أجل الحقّ، و مَن شکّ فلیراجع تاریخ الطبری(۳) لیری کیف أعلن الإمام عزمه فی ذی الحسم علی الشهاده، و لا نری أیّ عقل سلیم یقول بأنّ الإمام إنّما قرّر هذه الشهاده یوم عاشوراء بعد أن فشلت جمیع مشاریعه الاستسلامیه و ذلک الذلّ و الهوان فی مهادنه یزید، أملًا فی الحصول علی بضعه أیّام، فالإمام علیه السلام صمّم علی الشهاده مسبقاً؛ و هو الذی قال فی مکّه: «و کأنّی و أوصالی یتقطّعها عسلان الفلوات بین النواویس و کربلا»(۴). و قد بلغ به العزم و الإراده درجه جعلته لم یکترث لنصح ابن عباس و ابن

۱- الملهوف: ۱۳۸، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۸۱.

۲- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۵، و فیه: شهاده بدل« سعاده».

۳- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۵.

۴- تقدم فی ص ۳۰۲.

الحنفیه و سائر بنی هاشم، کما لم یزحزحه عن موقفه ما أشار به علیه عبد اللّه بن الزبیر و عبد اللّه بن عمر، إلی جانب تحذیر عبد اللّه بن جعفر و منع عبد اللّه بن المطیع الإمامَ من الحرکه، إضافه إلی آراء العارفین بأوضاع الکوفه الذین أوجزوا له حاله أهل الکوفه بأنّ «سیوفهم علیه»(۱). فلم تتمکّن کلّ هذه المحاولات الواقعیه من ثنی الإمام عن عزمه، فواصل مسیرته و هو یقول: «إنّ اللّه لا یغلب علی أمره»(۲) و لمّا بلغ موضع «البیضه» خطب الناس و عسکر الحرّ بن یزید و کشف النقاب عن أهدافه، فأیقن الحرّ بعد ما رأی من عزم الإمام علیه السلام و شدّه حملته علی یزید و أذنابه أنّه مقتول لا محاله، فحذّره الحرّ بعد أن لمس استعداد الإمام علیه السلام للتضحیه و القِتال، أراد الحرّ أن یخوّف الإمام بالموت، و هل یهاب الموت مثل الإمام؟ ثمّ أنشده الإمام ذلک الشعر الذی ارتجز به الأوسی لابن عمّه حین همّ بنصره رسول اللّه صلی الله علیه و آله:

سأمضی و ما بالموت عار علی الفتی إذا ما نوی خیراً و جاهد مُسلما(۳)

نعم، فقد جرت عاده أئمتنا علیهم السلام علی تذکیر الناس بالموت، و لیس لنصح المشفقین و لا خوف المرعوبین و لا تهدید الجبّارین أن یثنیهم عن عادتهم، فهم ممّن یستبشرون بالموت و الشهاده، الموت من أجل حیاه القرآن و الإسلام، الموت من أجل بقاء اسم صاحب الرساله محمّد صلی الله علیه و آله، و إذا کان حالهم هکذا فکیف یزعم المؤلّف أنّ شهادته لم تکن سوی الدفاع عن النفس، و خاصّه حین یئس تماماً من الحیاه و أغلقت علیه جمیع منافذها! إنّنا نلهج بخطاب الإمام علیه السلام: یا أبا الأحرار، یا قبله الثوّار، یا مصباح الهدی

۱- بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۴.

۲- تقدّم فی ص ۳۰۲.

۳- الکامل لابن الأثیر ۴: ۴۹.

و سفینه النجاه، یا محیی القرآن و السنّه، مدرستک مدرسه الجهاد و التضحیه و الشجاعه و القیم الإنسانیه، مدرسه التوحید و الإخلاص و العبودیه، مدرسه العلم و الحلم و السماحه و الزهد و العزّه و الکرامه و نصره المظلوم و دحر الظالم. و أنت تخاطب الإمام؛ یا عصاره الکمال، أیّها الربّانی، یا أبا الأحرار، و یا أیّها المجاهد ... و علیه: فنحن متّفقون و إیّاک فی أنّه أبو الأحرار و الجهاد و الثوره. و لکن الاتّفاق هذا هل من شأنه أن یستمرّ؟ طبعاً لا، إنّ هذا الاتّفاق یجعلنا و إیّاک نقف علی مفترق طرق، فأنت تضیف مخاطباً الإمام بأنّک لم تکن علی علم بحادثه کربلاء و هذا ما أوقع عیالاتک فی الأسر دون علم، أنت الإمام الرءوف العطوف إلّا أنّ کربلاءک أضرّت بالإسلام و أذاقت صحبک الذلّ و الهوان! و هذا لیس ذنبک بل ذنب یزید، یا أبا الأحرار لقد استسلمت لعساکر یزید بعد أن یئست من النصر، و رأیت کثره عدّه و عدد عدوّک و خانتک القوّات الموالیه، فاقترحت وضع یدک بید یزید، و رغم هذه الذلّه و الهوان لم یوافقک یزید، بل کنت مستعدّاً لرکوب العار لو أیقنت بعدم القتل و لم یکن أمامک أیّها الثائر سوی الدفاع عن نفسک العزیزه لا من أجل وظیفه سماویه أو مهمّه إنسانیه علّک تنجو من الموت. أمّا نحن فنقول: یا حسین، یا أبا الأحرار، یا قبله الثوّار، یا مدافِعاً عن القرآن، یا محرّر المظلومین، یا باب نجاه الامّه، و یا مصباح الهدی أنت الحرّ الذی نهضت عن علم و درایه من أجل کسر القیود و الأغلال التی کُبّل بها الناس، و إیصالهم إلی السموّ و الکمال، و إنقاذ المظلومین من نیر المستکبرین یزید و أعوانه الملعونین، و قد اجتهدتَ فی تحقیق أهدافک حتّی آثرت التضحیه و الشهاده و سبی أهل بیتک علی الحیاه التی اعتبرتها بَرَماً. لقد نهضت بالأمر من أجل إحیاء السنّه و إماته البدعه و لم یکن همّک سوی الحقّ، فلم تنفک

عن تردیـد «أ لا ترون أنّ الحقّ لا یُعمل به» فکأنّی بک تقول: ما أصـنع بالحیاه هی خالیه من مفردات الحقّ و القرآن و الإسـلام؟ لقد سطّرت بدمک الزکی ملحمه لم و لن یشـهد التأریخ مثیلًا لها، لتبقی صـرخاتک تدوّی فی نفوس الثوّار، و لیردّد من خلفک المؤمنون «لاـ نری الموت إلّـا سـعاده» و لینهضوا بالأـمر أینمـا طـالعهم عـدم العمل بالحقّ و التناهی عن الباطل. فالموت من أجل الإسلام لیس بموت، و کیف تموت امّه تحیا فی أعماقها روح محمّد و علیّ و الحسین علیهم السلام، ستبقی کعبه تزورک الثوّار و هی تلهـج بقلوبهـا و مشاعرهـا قبل لسانها: نشـهد أنّک جاهـدتَ فی اللَّه حقّ جهاده و صبرت علی الأذی فی جنبه و اسـتنقذت العِبـاد من الجهاله و حَیره الضـلاله. و نشـهد أنّک نور اللَّه الـذی لم یطفأ و لن یطفأ أبـداً، و أنّک وجه اللَّه الـذی لم یهلک و لن یهلـک أبـداً. و هـذا لیس صوتنـا بـل صوت القرآن الحکیم: وَ لاـ تَحْسَـبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیـلِ اللَّهِ أَمْواتـاً بَـلْ أَحْیاءٌ عِنْـدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ(۱). و أخیراً نرجو من جمیع الإخوه القرّاء أن ینظروا بعین العفو و الصفح لما کان قد بدر منّا من زلل و خطأ و أن یتحفونا بما لدیهم من آراء و مقترحات من شأنها خدمه الإسـلام و المسـلمین، کما نودّ أن نلفت انتباه الإخوه إلی أنّنا کنّا ننوی أن نجعل بحث «آیه التطهیر» من ضـمن مباحث هـذا الکتاب إلّا أنّنا تحاشـینا زیاده حجم الکتاب عن الحـدّ المتعارف، و قـد قمنا بطبع هذا البحث بصوره مستقلّه لیطّلع علیها القرّاء الأعزّاء. و ما توفیقی إلّا باللَّه العزیز، علیه توکّلتُ و إلیه أُنیب.

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۹۶.

ص: ۳۱۱

الإشراقی- اللنكرانی

مصادر التحقيق

۱- اثبات الهداه، لمحمد بن الحسن بن على بن محمد بن الحسين، المعروف بالحرّ العاملى (۱۰۳۳- ۱۱۰۴) المطبعه العلميّه، قم، ۱۴۰۴ ه. ۲- الأحاديث الغيبيّه، تأليف و نشر مؤسّسه المعارف الإسلاميّه، قم، الطبعه الاولى، ۱۴۱۵. ۳- الاحتجاج، لأبى منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى (من أعلام القرن السادس) دار الاسوه، قم، الطبعه الثالثه، ۱۴۲۲ ه. ۴- الاختصاص، لأبى عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان العُكبرى البغدادى، المعروف بالشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۲) دار المفيد، بيروت، الطبعه الثانيه، ۱۴۱۴ ه. ۵- اختيار معرفه الرجال، المعروف برجال الكشى، لشيخ الطائفه أبى جعفر محمد بن الحسن بن علىّ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰) جامعه مشهد، ۱۳۴۸ ش. ۶- الإرشاد فى معرفه حجج اللَّه على العباد، لأبى عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان العُكبرى البغدادى، المعروف بالشيخ المفيد (۳۳۶- ۴۱۲) مؤسّسه آل البيت عليهم السلام، بيروت، الطبعه الثانيه، ۱۴۱۴ ه. ۷- إعلام الورى بأعلام الهدى، لأمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى (م ۵۴۸) مؤسّسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعه الاولى، ۱۴۱۷ ه.

۸- أعیان الشیعه، للسیّد محسن بن عبد الکریم بن علیّ بن محمد الأمین الحسینی العاملی (۱۲۸۱- ۱۳۷۱) دار التعاریف، بیروت، الطبعه الخامسه، ۱۴۲۰ ه. ۹- إقبال الأعمال، للسیّد رضیّ الدین علیّ بن موسی بن جعفر بن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴) نشر مکتبه الإعلام الإسلامی، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۹ ه. ۱۰- الأمالی، للشیخ الصدوق أبی جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی (م ۳۸۱) مؤسّسه البعثه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۷ ه. ۱۱- الأمالی، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علیّ بن الحسن الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰) مؤسّسه البعثه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۴ ه. ۱۲- بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمّه الأطهار علیهم السلام، للعلّامه المولی محمد باقر بن محمد تقی المجلسی (۱۰۳۷- ۱۱۱۰، ۱۱۱۱) دار الکتب الإسلامیه، طهران. ۱۳- بصائر الدرجات فی فضائل آل محمد علیهم السلام، لأبی جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار (م ۲۹۰) مکتبه آیه اللّه المرعشی النجفی، قم المقدّسه، ۱۴۰۴ ه. ۱۴- تاج العروس، لأبی الفیض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبیدی الحسینی، الملقّب بمرتضی (۱۱۴۵- ۱۲۰۵) دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۴ ه. ۱۵- تاریخ الأمم و الملوک (تاریخ الطبری)، لأبی جعفر محمد بن جریر الطبری (۲۲۴- ۳۱۰) مطبعه الاستقامه، القاهره، ۱۳۵۷ ه. ۱۶- تأویل الآیات الظاهره فی فضائل العتره الطاهره، للسید شرف الدین علیّ الحسینی الأسترابادی النجفی، (من مفاخر أعلام القرن العاشر) مؤسّسه الإمام المهدی علیه السلام، قم المقدّسه، الطبعه الاولی، ۱۴۰۷ ه. ۱۷- التبیان فی تفسیر القرآن، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علی بن الحسن الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰) مؤسّسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت بالافست عن مکتبه الأمین فی النجف الأشرف. ۱۸- تحف العقول عن آل الرسول صلی الله علیه و آله، لأبی محمد الحسن بن علیّ بن الحسین بن شعبه الحرّانی الحلبی (من أعلام القرن الرابع) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الخامسه، ۱۴۱۷ ه. ۱۹- تفسیر العیّاشی، لأبی النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عیّاش السلمی السمرقندی، المعروف

بالعیّاشی (من أعلام القرن الثالث الهجری) المکتبه العلمیّه الإسلامیّه، طهران، الطبعه الاولی، ۱۳۸۱ ه. ۲۰- تفسیر القرآن العظیم، لأبی الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر الدمشقی الشافعی، المعروف بابن کثیر (۷۰۰- ۷۷۴) دار المعرفه، بیروت، الطبعه الاولی، ۱۴۰۶ ه. ۲۱- تفسیر القمی، لأبی الحسن علیّ بن إبراهیم بن هاشم القمّی (من أعلام قرنی ۳ و ۴) مطبعه النجف، النجف، ۱۳۸۶ ه. الطبعه الثانیه، بیروت، ۱۳۸۷ ه. ۲۲- تفسیر فرات، لأبی القاسم فرات بن إبراهیم الکوفی (من أعلام الغیبه الصغری) مؤسّسه الطباعه و النشر لوزاره الثقافه و الإرشاد الإسلامی، طهران، الطبعه الاولی، ۱۴۱۰ ه. ۲۳- تفسیر کنز الدقائق، لمیرزا محمد المشهدی ابن محمد رضا بن إسماعیل بن جمال الدین القمّی (م حدود ۱۱۲۵) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۰۷- ۱۴۱۳ ه. ۲۴- تفسیر المنار، لمحمد رشید بن رضا بن محمد بن محمد بن علیّ القلمونی (۱۲۸۲- ۱۳۵۴) تقریراً لأبحاث استاذه محمد عبده بن حسن خیر اللّه (۱۲۶۶- ۱۳۲۳) دار المعرفه، بیروت، الطبعه الثانیه بالافست عن الطبعه الاولی بمطبعه المنار، ۱۳۴۲ ه. ۲۵- تفسیر نور الثقلین، لعبد علی بن جمعه العروسی العویزی (م ۱۱۱۲) تحقیق هاشم الرسولی المحلاتی. المطبعه العلمیّه، قم، ۱۳۸۳ ه. ۲۶- حلیه الأولیاء، لأحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسی بن مهران المهرانی، المعروف ب «أبو نعیم الأصبهانی» (۳۳۶- ۴۳۰) دار الکتب العلمیّه، بیروت. ۲۷- الخرائج و الجرائح، لأبی الحسین سعید بن عبد اللّه بن الحسین بن هبه اللّه بن الحسن، الشهیر ب «قطب الدین الراوندی» (م ۵۷۳) مؤسّسه الإمام المهدی علیه السلام، قم المقدّسه، الطبعه الاولی، ۱۴۰۹ ه. ۲۸- الخصائص الکبری، لجلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی المصری الشافعی (۸۴۹- ۹۱۱) دار الکتب العلمیّه، بیروت، الطبعه الاولی، ۱۴۰۵ ه. ۲۹- دلائل الإمامه، لأبی جعفر محمد بن جریر بن رستم الطبری (من أعلام القرن الخامس الهجری) مؤسّسه البعثه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۳ ه. ۳۰- دلائل النبوّه، لأحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسی بن مهران المهرانی، المعروف ب «أبو نعیم الأصبهانی (۳۳۶- ۴۳۰) دار النفائس، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۶ ه.

۳۱- ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی، لمحبّ الدین أبی العبّاس أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبی بکر بن محمد بن إبراهیم الطبری (۶۱۵- ۶۹۴) مکتبه الصحابه، جدّه، مکتبه التابعین، القاهره، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵ ه. ۳۲- رجال الطوسی، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علیّ الطوسی (۳۸۵- ۴۶۳) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵ ه. ۳۳- روضه الواعظین، لأبی جعفر الشهید محمد بن الحسن بن علیّ بن أحمد بن علی بن یوسف الفتّال النیسابوری، المشتهر بابن الفتّال (م ۵۰۸) مطبعه الحکمه، قم. ۳۴- الریاض النضره، لمحبّ الدین أبی العبّاس أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبی بکر بن محمد بن إبراهیم الطبری (۶۱۵- ۶۹۴) دار الکتب العلمیّه، بیروت. ۳۵- شرح نهج البلاغه، لعبد الحمید بن هبه اللّه بن محمد بن محمد بن الحسین المدائنی، المعروف بابن أبی الحدید (۵۸۶- ۶۵۵) مؤسّسه إسماعیلیان، قم. ۳۶- الطرائف فی معرفه مذاهب الطوائف، لرضیّ الدین أبی القاسم علی بن موسی بن جعفر بن محمد بن أحمد، المعروف بابن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴) مطبعه الخیّام، قم، ۱۴۰۰ ه. ۳۷- علل الشرائع، لأبی جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱) المکتبه الحیدریّه و مطبعتها، النجف، ۱۳۸۵ ه. ۳۸- عیون أخبار الرضا علیه السلام، لأبی جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی (م ۳۸۱) دار العلم، قم، ۱۳۷۷ ه. ۳۹- فرائد الاصول، المعروف ب الرسائل، للشیخ مرتضی بن محمد أمین الأنصاری (۱۲۱۴- ۱۲۸۱) تراث الشیخ الأعظم، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۹ ه. ۴۰- الفصول المهمّه فی معرفه الأئمه علیهم السلام، لعلیّ بن محمد بن أحمد بن عبد اللّه المالکی المکّی، الشهیر بابن الصبّاغ (۷۸۴- ۸۵۵) دار الحدیث، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۲۲ ه. ۴۱- الفقیه (من لا یحضره الفقیه) و مشیخته، للشیخ الصدوق أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی، (م ۳۸۱) دار الکتب الإسلامیّه، طهران، الطبعه الخامسه، ۱۳۹۰ ه. ۴۲- قاموس الرجال، للشیخ محمد تقی بن کاظم بن محمد علی بن جعفر التستری، مؤسّسه النشر

الإسـلامی، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۰ ه. ۴۳- الکـافی، لثقه الإسـلام أبی جعفر محمـد بن یعقوب بن إسـحاق الکلینی الرازی، دار الکتب الإسـلامیّه، طهران، الطبعه الثالثه، ۱۳۸۸- ۱۳۸۹ ه. ۴۴- کامل الزیارات، لأبی القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسی بن قولـویه القمّی (م ۳۶۸) نشـر الفقـاهه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۷ ه. ۴۵- الکامـل فی التاریـخ، لعزّ الـدین أبی الحسن علی بن محمـد بن محمـد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشـیبانی، المعروف بابن الأثیر (۵۵۵- ۶۳۰) دار صـادر، بیروت، ۱۳۸۵ ه. ۴۶- کشـف الغمّه فی معرفه الأـئمّه علیهم السـلام، لبهـاء الـدین علیّ بن عیسـی بن أبی الفتـح الإـربلی (م ۶۹۳) المطبعـه العلمیّه، قم، بالافست عن مکتبه بنی هاشم، تبریز، ۱۳۸۱ ه. ۴۷- کفایه الأثر فی النصّ علی الأئمّه الاثنی عشر، لأبی القاسم علیّ بن محمد بن علیّ الخزّاز القمّی الرازی (من أعلاـم القرن الرابع) انتشارات بیـدار، مطبعه الخیّام، قم، ۱۴۰۱ ه. ۴۸- کمال الدین و تمام النعمه، لأبی جعفر محمد بن علی بن الحسـین بن موسـی بن بابویه القمّی، المعروف بالشـیخ الصدوق (م ۳۸۱) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الثالثه، ۱۴۱۶ ه. ۴۹- لواعج الأشـجان فی مقتل الحسـین علیه السـلام، للسید محسن بن عبد الکریم بن علی بن محمد الأمین الحسینی العاملی (۱۲۸۱- ۱۳۷۱) نشـر مکتبه بصیرتی، قم. ۵۰- مثیر الأحزان، لنجم الـدین محمـد بن جعفر بن أبی البقاء هبه اللّه بن نما بن علی بن حمـدون الحلّی (۵۶۷- ۶۴۵) مؤسّـسه الإمام المهدی علیه السلام، قم المقدّسه، الطبعه الثالثه، ۱۴۰۶ ه. ۵۱- مجمع البحرین، للشیـخ فخر الـدین بن محمد علیّ بن أحمد بن طریح الرماحی النجفی، المشـهور بالطریحی (۹۷۹- ۱۰۸۵) مؤسّـسه البعثه، الطبعه الاولی، ۱۴۱۴ ه. ۵۲- مجمع البیان فی تفسـیر القرآن، لأمین الإسـلام أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی (حوالی ۴۷۰- ۵۴۸) دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۴ ه. ۵۳- محجه البیضاء فی تهذیب الأحیاء، لمحمد بن المرتضـی المدعو بالمولی محسن الکاشـانی، المعروف بالفیض (۱۰۰۷- ۱۰۹۱) مؤسّـسه النشـر الإسلامی، قم، الطبعه الرابعه، ۱۴۱۷ ه. ۵۴- مختصر بصائر الدرجات، لأبی محمد الحسن بن سلیمان بن محمد بن خالد الحلّی (من أعلام

القرن الثامن الهجری) دار المفید، بیروت، الطبعه الاولی، ۱۴۲۳ ه. ۵۵- مرآه العقول فی شرح أخبار آل الرسول، للعلّامه المولی محمد باقر بن محمد تقی المجلسی (۱۰۳۷ - ۱۱۱۰، ۱۱۱۱) دار الکتب الإسلامیه، طهران، الطبعه الاولی، ۱۴۰۷ ه. ۵۶- المراجعات، للسید عبد الحسین شرف الدین یوسف بن إسماعیل الموسوی (۱۲۹۰ - ۱۳۷۷) تحقیق حسین الراضی، الجمعیّه الإسلامیه، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۲ ه. ۵۷- مروج الذهب، لأبی الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی (م ۳۴۶) دار الهجره، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۴ ه. ۵۸- المسند، لأبی عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشیبانی (۱۶۴- ۲۴۱)، دار الفکر، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۴ ه. ۵۹- مقاتل الطالبیّن، لعلیّ بن الحسین بن محمد بن أحمد بن الهیثم بن عبد الرحمن، المعروف بأبی الفرج الأصبهانی (۲۸۴- ۳۵۶) منشورات الشریف الرضی، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۶ ه. ۶۰- معجم رجال الحدیث، للسید أبی القاسم بن علی أکبر بن هاشم الموسوی الخوئی (۱۳۱۷- ۱۴۱۳) مرکز نشر آثار الشیعه، قم، الطبعه الرابعه، ۱۴۱۰ ه.

۶۱- مقتل الحسین علیه السلام (وقعه الطف)، للمؤرّخ لوط بن یحیی بن سعید بن مخنف بن سلیم الأزدی (م ۱۵۸) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۳۶۷ ش. ۶۲- الملهوف علی قتلی الطفوف، للسیّد رضی الدین أبی القاسم علیّ بن سعد الدین أبی ابراهیم موسی بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴) دار الاسوه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۴ ه. ۶۳- المناقب، للحافظ أبو المؤیّد الموفّق بن أحمد بن محمد البکری المکّی الحنفی، المعروف ب أخطب خوارزم (۴۸۴- ۵۶۸) مکتبه نینوی الحدیث، طهران ۶۴- مناقب آل أبی طالب علیهم السلام، لأبی جعفر محمّد بن علیّ بن شهرآشوب السروی المازندرانی (م ۵۸۸) انتشارات علّامه، المطبعه العلمیّه، قم. ۶۵- منتهی الآمال، للشیخ عباس القمّی (۱۲۹۴- ۱۳۵۹)، مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵ ه.

۶۶- المنجد فی اللغه و الأعلام، لویس معلوف، مؤسّسه انتشارات دار العلم، قم، الطبعه الاولی، ۱۳۸۲ ش. ۶۷- المیزان فی تفسیر القرآن، للعلّامه السید محمد حسین الطباطبائی (۱۳۲۱- ۱۴۰۳) مؤسّسه مطبوعاتی إسماعیلیان، قم، الطبعه الثالثه، ۱۳۹۳ ه. ۶۸- نهج البلاغه من کلام مولانا أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام، تحقیق الشیخ محمد عبده، الناشر سفاره الجمهوریّه الإسلامیّه الإیرانیّه فی دمشق. ۶۹- نوادر الأخبار، للعلّامه محمد بن مرتضی المعروف بالمولی محسن، و المشهور بالفیض الکاشانی (۱۰۰۷- ۱۰۹۱) مؤسّسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی، طهران، ۱۳۷۰ ش. ۷۰- وسائل الشیعه (تفصیل وسائل الشیعه إلی تحصیل مسائل الشریعه)، للشیخ محمد بن الحسن الحرّ العاملی (۱۰۳۳- ۱۱۰۴) مؤسّسه آل البیت علیهم السلام، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۰۹- ۱۴۱۲ ه. ۷۱- ینابیع المودّه لذوی القربی، للشیخ سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی (۱۲۲۰- ۱۲۹۴) مطبعه الاسوه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۶ ه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.